



الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد: مرح رافع البرغش

إشراف: أ. د بشرى خيربك

١٤٤٠-١٤٤١هـ / ٢٠١٩-٢٠٢٠م

الإهداء

إلى من رحل عن عالمنا، وما زال دويُّ نَصَائِحِهِ يوجهني....

إلى أبي رحمه الله

إلى من علمتني العطاء، وغمرتني بحنانها وكرمها....

إلى أمي حفظها الله

إلى من أهتدي بنور علمه في كل نجاح لي في حياتي العلمية..

إلى مثلي الأعلى بعد الله ﷻ، وقدوتي بعد رسول الله ﷺ...

إلى أستاذي ووالدي مصطفى الخطيب رحمه الله

فهرس المحتويات

المقدمة:..... ١

الفصل الأول التمهيدي

أهمية العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام منذ نشأة السلطنة العثمانية
حتى نهاية القرن السادس عشر

- أولاً: أهمية مصر وبلاد الشام العلمية بالنسبة للسلطنة العثمانية..... ٧
- ثانياً: لمحة عامة عن التعليم في السلطنة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية القرن
السادس عشر..... ١٥
- ١- الكتاتيب أو مكاتب الصبيان..... ١٥
- ٢- المدارس..... ١٦
- ثالثاً: العوامل التي ساهمت في التبادل العلمي بين مصر وبلاد الشام:..... ٢٧
- ١- العوامل الجغرافية..... ٢٧
- ٢- العوامل السياسية..... ٢٨
- ٣- العوامل الاقتصادية..... ٣١
- ٤- العوامل الاجتماعية والفكرية..... ٣٥
- ٥- العوامل الفردية..... ٣٦
- رابعاً: لمحة عن العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرن السادس عشر..... ٣٧
- خامساً: استنتاجات الفصل الأول..... ٤٥

الفصل الثاني

حركة طلاب العلم بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

- أولاً: لمحة عامة عن المراحل الأولى للتعليم في مصر وبلاد الشام خلال القرنين السابع عشر
والثامن عشر..... ٤٧
- ثانياً: ارتحال طلاب العلم من بلاد الشام إلى مصر:..... ٤٩
- ١- المعاهد العلمية المصرية التي استقطبت طلاب بلاد الشام:..... ٥٣
- أ- الجامع الأزهر..... ٥٣
- ب- الخانقاه الصلاحية..... ٦١

٦٣.....	ج- المعاهد العلمية الأخرى
٦٤.....	٢- أماكن الإقامة
٦٥.....	٣- مصادر الدخل والإنفاق
٦٨.....	٤- مراسم إنهاء الدراسة وأخذ الإجازات
٦٩.....	ثانياً: ارتحال طلاب العلم من مصر إلى بلاد الشام:
٧١.....	١- المعاهد العلمية الشامية التي استقطبت طلاب مصر:
٧١.....	أ- الجامع الأموي
٧٤.....	ب- المسجد الأقصى
٧٨.....	ج- الزاوية الأسعدية
٧٩.....	د- المعاهد العلمية الأخرى
٧٩.....	٢- أماكن الإقامة
٨٠.....	٣- مصادر الدخل والإنفاق
٨٠.....	ثالثاً: استنتاجات الفصل الثاني

الفصل الثالث

أنواع العلوم والإجازات الممنوحة بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

٨٢.....	أولاً: العلوم التي كانت تُدرس بين مصر وبلاد الشام:
٨٢.....	١- العلوم الشرعية
٨٢.....	أ- القراءات القرآنية
٨٥.....	ب- الفقه الإسلامي
٨٩.....	ج- التفسير
٩٢.....	د- الحديث النبوي الشريف
٩٥.....	٢- اللغة العربية وآدابها
٩٨.....	٣- العلوم العقلية
١٠٢.....	ثانياً: الإجازات العلمية:
١٠٣.....	١- مفهوم الإجازة اللغوية والاصطلاحي
١٠٤.....	٢- أنواع الإجازات العلمية الممنوحة بين مصر وبلاد الشام:
١٠٤.....	أ- الإجازة بالإفتاء والتدريس

- ب-الإجازة بالقرآن الكريم.....١٠٥
- ج-الإجازة بالقراءة.....١٠٦
- د-الإجازة بكتاب.....١٠٧
- هـ-الإجازة بالرواية.....١٠٨
- و-الإجازة بالمكاتبة.....١١١
- ٣- مقارنة أسلوب الإجازة بين مصر وبلاد الشام:.....١١١
- أ- إجازة علماء الشام لطلاب مصر:.....١١٢
- (١)- النموذج الأول.....١١٢
- (٢)- النموذج الثاني.....١١٤
- ب- إجازة علماء مصر لطلاب بلاد الشام:.....١١٦
- (١)- النموذج الأول.....١١٦
- (٢)- النموذج الثاني.....١١٧
- ثالثاً: استنتاجات الفصل الثالث.....١١٩

الفصل الرابع

حركة العلماء المسلمين والرحالة المتصوفة والقسيسين والحاخامات بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

- أولاً: حركة العلماء المسلمين بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:.....١٢١
- ١- علماء مصر في بلاد الشام:.....١٢١
- أ- الارتحال لتولي المناصب.....١٢٤
- ب- أماكن إقامة العلماء المصريين.....١٢٨
- ج- مصادر دخل العلماء المصريين وإنفاقهم.....١٣٠
- ٢- علماء بلاد الشام في مصر:.....١٣١
- أ- الارتحال لتولي المناصب.....١٣٤
- ب- أماكن إقامة العلماء الشوام.....١٣٨
- ج- مصادر دخل العلماء الشوام وإنفاقهم.....١٣٨
- ثانياً: نماذج من حركة الرحالة المتصوفة العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:.....١٣٩
- ١- الرحالة عبد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ/١٦٤١-١٧٣١م):.....١٤١

أ- مولده ونشأته.....	١٤١
ب-رحلة النابلسي إلى مصر.....	١٤٢
ج- نشاط النابلسي العلمي في مصر.....	١٤٤
٢- الرحالة مصطفى البكري الصديقي (١٠٩٩-١١٦٢هـ/١٦٨٨-١٧٤٨م):.....	١٤٩
أ- مولده ونشأته.....	١٤٩
ب-رحلة الصديقي إلى مصر.....	١٥٠
ج- نشاط الصديقي العلمي في مصر.....	١٥٢
٣- الرحالة مصطفى أسعد اللقيمي (١١٠٥-١١٧٨هـ/١٦٩٣-١٧٦٤م):.....	١٥٤
أ- مولده ونشأته.....	١٥٤
ب-رحلة اللقيمي إلى بلاد الشام.....	١٥٤
ج- نشاط اللقيمي العلمي في بلاد الشام.....	١٥٥
ثالثاً: حركة القسيسين العلميّة بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:.....	١٥٦
١- حركة انتقال القسيسين العلمية من بلاد الشام إلى مصر.....	١٥٧
٢- حركة انتقال القسيسين العلمية من مصر إلى بلاد الشام.....	١٦٠
رابعاً: حركة الحاخامات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر.....	١٦٢
١- حركة انتقال الحاخامات العلمية من مصر إلى بلاد الشام.....	١٦٣
٢- حركة انتقال الحاخامات العلمية من بلاد الشام إلى مصر.....	١٦٤
خامساً: استنتاجات الفصل الرابع.....	١٦٥
الخاتمة:.....	١٦٧
الملاحق:.....	١٧١
قائمة المصادر والمراجع:.....	١٧٩

الجداول

الفصل الأول التمهيدي: أهمية العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام منذ نشأة السلطنة العثمانية حتى نهاية القرن السادس عشر:

- الجدول رقم (١) نسبة العلوم المُدرسة في السلطنة العثمانية بالنسبة إلى العدد الإجمالي للمتعلمين.....٢٦
- الجدول رقم (٢) نسبة العلماء والطلاب الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر في القرن السادس عشر.....٤٢
- الجدول رقم (٣) نسبة العلماء والطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام في القرن السادس عشر.....٤٢
- الجدول رقم (٤) مذاهب العلماء والطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام في القرن السادس عشر.....٤٣
- الجدول رقم (٥) مذاهب المرتحلون من بلاد الشام إلى مصر في القرن السادس عشر.....٤٤

الفصل الثاني: حركة طلاب العلم بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

- الجدول رقم (١): نسبة الطلاب الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.....٥٢
- الجدول رقم (٢): نسبة الطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.....٧٠

الفصل الرابع: حركة العلماء المسلمين والرحالة المتصوفة والقسيسين والحاخامات بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

- الجدول رقم (١): العلماء المصريين في بلاد الشام خلال القرن السابع عشر.....١٢٢
- الجدول رقم (٢): العلماء المصريين في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر.....١٢٣
- الجدول رقم (٣): علماء بلاد الشام في مصر خلال القرن السابع عشر.....١٣٢
- الجدول رقم (٤): علماء بلاد الشام في مصر خلال القرن الثامن عشر.....١٣٣

الملاحق

- الملحق الأول: نماذج من الإجازات العلمية التي مُنحت لطلاب بلاد الشام في مصر..... ١٧١
- الملحق الثاني: نماذج من قرارات تعيين العلماء المصريين في بلاد الشام..... ١٧٥
- الملحق الثالث: تولي العلماء الشوام المناصب في الأزهر الشريف..... ١٧٦
- الملحق الرابع: أوقاف السادة المصريين في بلاد الشام..... ١٧٨

المُقدِّمة:

كان للتماثل الكبير في البيئة الطبيعية والمناخ أثره الكبير في إيجاد اقتصاد متشابه، بل نُظِم اجتماعية متماثلة إلى حدٍّ ما في معظم المناطق التي حكمها العثمانيون، هذا وقد كان للموقع الذي امتدت عليه الولايات العثمانية أثره الكبير في المصير السياسي والاقتصادي والفكري على وجه الخصوص؛ إذ كانت الحياة الفكرية عند العثمانيين عامَّةً استمراراً للحياة الفكرية الإسلامية. كذلك فإنَّ المؤسسات العلميَّة التي أنشأتها السُّلطنة العثمانية بغية تكوين ما تحتاجه من مرجعيات تشريعية وقضائية وتعليمية، هي استمرارٌ لهذه الحياة الفكرية الإسلامية.

وعلى الرغم من الشروط العلميَّة والتنظيمية الدقيقة التي حكمت بناء هذه المؤسسات التعليمية (المدارس) في مرحلة التأسيس في السُّلطنة، فإنَّها كانت استعادة للنموذج التعليمي الذي أسسه نظام الملك (٤٠٨-٤٨٥هـ / ١٠٩٢-١٠١٧م) في مرحلة الصعود السلجوقي؛ بهدف تطويع مؤسسات العلم وتقنينها على نحو يجعلها إحدى مرتكزات مؤسسات السُّلطة السياسية الحاكمة، ومما هو جدير بالذكر أنَّ هذه المؤسسات قد جمعت بين المسجد والزاوية؛ لأنَّهما المركزان الثقافيان الثابتان اللذان انتظمت خلالهما العلاقات الثقافية والاجتماعية والإنتاجية في المجتمع.

وعلى الرغم من تشابه المؤسسات التعليمية في كل ولايات السُّلطنة وخاصة العربية منها - فقد شهدت هذه المؤسسات عملية انتقال أو ارتحال لطلابها وأساتذتها بين ولاية وأخرى؛ بهدف الاستفادة والاستزادة من العلوم التي كانت سائدة آنذاك تبعاً لمتطلبات تلك المرحلة، وقد كان لكل من مصر وبلاد الشَّام ثوابت علميَّة أكَّدت كلُّ منهما على ترسيخها من خلال العلاقات العلميَّة التي استمرَّت بينهما في كل العصور؛ مع بقاء الخصوصية التي طبعت كل من مصر وبلاد الشَّام في شتى الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والثقافية.

أهمية البحث:

كان لارتباط مصر وبلاد الشام بروابط سياسية واقتصادية واجتماعية على مرّ العصور بحكم الجوار الجغرافي، ووحدة الدين واللغة والعادات والسمات الحضارية، ولتبعية مصر وبلاد الشام لحكم واحد في معظم العصور بما فيها العصر العثماني، وعدم فرض قيود على حركة السكان بين الولايات العثمانية، أثر كبير في عملية انتقال طلاب العلم والعلماء والرّحالة بين المدن العربية والإسلامية عامّة والمدن الشّامية والمصرية الكبرى خاصّة بحرية واطمئنان، مما أسهم في توثيق العلاقات العلميّة بين مصر وبلاد الشام، فظهر علماء في كلّ من الولايتين جمعوا بين العلوم المُدرّسة التي كانت تُدرس آنذاك في الولايتين، وبرعوا فيها، ثم أسهموا في نشرها ليس بين طلاب مصر وبلاد الشام فحسب، بل في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي بما فيها دار السّلطنة العثمانية كذلك، لذلك من المهم دراسة العلاقات العلميّة بين مصر وبلاد الشام في القرنين السّابع عشر والثّامن عشر.

أسباب اختيار البحث:

تركّزت الدراسات والأبحاث التي تناولت العلاقات البينية بين الولايات العثمانية على دراسة العلاقات السياسية والاقتصادية في حين ظلت العلاقات الاجتماعية بحاجة إلى المزيد من الدراسة، ولأسيما أنّ الدراسات الخاصة بهذا المجال اقتصرّت على دراسة أوضاع الشّوام في مصر عامّة، دون النظر إلى طبيعة العلاقات العلميّة بينهما، والتي تعكس بشكل جلي مدى التّواصل العلمي وأثره في إثراء الحياة العلميّة لدى الولايتين.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول معرفة مدى تطور العلاقة العلميّة بين بلاد الشام ومصر أو تراجعها، وفضلاً عن محاولة معرفة مسوغات هذه الصّلات، ودور السلطنة العثمانية في استمرارية هذه العلاقات، وهل كان الاهتمام محصوراً في العلوم الشرعية دون العلوم العقلية، إلى جانب تتبّع دور المسيحيين واليهود في توثيق العلاقات العلميّة بين مصر وبلاد الشام إن وجدت، إضافة إلى دور التصوف في هذه العلاقات.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى تقديم دراسة أكاديمية حول العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر، من خلال العمل على إحصاء عدد طلاب العلم والعلماء الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى مصر، والتركيز على المراكز العلمية التي استقطبتهم، إلى جانب العلوم التي درّسوها ودرّسوها، والمؤلفات التي صنّفوها بشتى أنواعها وأصنافها، فضلاً عن تسليط الضوء على خصوصية هذه العلاقة لما تمثله مصر وبلاد الشام من أهمية بالنسبة للسلطنة العثمانية، ودور هذه العلاقة في ترسيخ التواصل بين مصر وبلاد الشام على أسس ثابتة في شتى المجالات.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على منهج البحث التاريخي، الذي يقوم على جمع المعلومات والبيانات ذات الصلة بالموضوع من مصادرها الأصلية التي أرّخت للقرنين السابع عشر والثامن عشر، وتشتمل على عدد من وثائق المحاكم الشرعية، وكتب التاريخ والتراجم والرحلات، المخطوطة منها والمطبوعة، مع التركيز على كل ماله صلة بالعلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام، كما تمّ الاعتماد على الأسلوب الوصفي من خلال وثائق المحكمة الشرعية، والأدبيات^(١) والإجازات المخطوطة، ومن ثم إخضاعها للنقد والتحليل لمعرفة مدى مصداقيتها.

الصعوبات التي واجهت البحث:

احتاج البحث المعنون بـ: "العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر" جهداً كبيراً ومركزاً لضخامة كتب التراجم والأدبيات والإجازات المخطوطة والمطبوعة التي أرّخت لتلك المرحلة إلى جانب البحث في وثائق المحاكم الشرعية، إذ تطلّب البحث تتبع تراجم كل من الطلاب والعلماء والرّحالة المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام، وتتبع الطلاب والعلماء والرّحالة الشوام الذين انتقلوا إلى مصر، ومن ثم استخراج المعلومات التي تفيد البحث.

(١) - الأدبيات: جمع ثبت، ثبت المحدث، ما يجمع فيه مروياته وأسماء شيوخه. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: فتح

المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق صلاح محمد عويضة، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١،

٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٦٣.

وعلى الرغم من ضخامة التَّراجم التي تفيد البحث، إلا أنَّ معلوماتها كانت شحيحة نوعاً ما، ومتناثرة، ولم يذكر فيها سوى المشايخ الذين دَرَسَ على أيديهم طلاب العلم في الولاية التي انتقلوا إليها، إلى جانب ذكر بعض العلوم التي درسوها وأماكن وفاتهم، وهذا الأمر تطلب جهداً إضافياً في تتبع هؤلاء المشايخ وتقصِّي مسيرتهم العلميَّة؛ لمعرفة المراكز العلميَّة التي عُينوا فيها وأفادوا منها، إلى جانب معرفة العلوم التي تبجَّروا فيها واشتهروا بها، وأفادوا طلاب العلم. كما أنَّ أغلب كتب التَّراجم الخاصة بمرحلة البحث غفلت عن ذكر الكتب التي درسها طلاب العلم في بلاد الشَّام ومصر، واكتفت بذكر أسماء العلوم التي درسوها، مما تطلَّب جهداً إضافياً في تتبع إجازات طلبة العلم وأثبتاتهم؛ للحصول على بعض أسماء هذه الكتب. وحرصاً مني على الأمانة العلميَّة فقد تركتُ المعلومات التي اقتبسيتها من المصادر كما هي دون تصحيح ما ورد فيها من أخطاء إملائية ولغوية، كي أبقى على روح العصر الذي دونت فيه.

ومن أبرز الصعوبات التي واجهت البحث صعوبة التعامل مع سجلات المحاكم الشرعية في دمشق وطلب الخاصة بمرحلة البحث وقراءتها والبحث فيها؛ لإيجاد الطلاب والعلماء المصريين الذين كان لهم شأن علمي في بلاد الشَّام. وقد كُتبت الوثائق بخط يصعب قراءته، الأمر الذي احتاج إلى كثير من الجهد والصبر والأناة والمثابرة.

وهنا لا بد من التنويه إلى أنَّ المعلومات التي وُجدت حول العلاقات العلميَّة بين مصر وبلاد الشَّام في القرنين السَّابع عشر والثَّامن عشر فرضت خطة البحث، فاعتمد في تقسيم مخطط البحث على: طلاب العلم المسلمين والعلماء المسلمين والرَّحالة المتصوفة والقسيسين والحاخامات فقط، أما بالنسبة للطلاب المسيحيين واليهود والشيعة في هذه المرحلة، فلم يرد في البحث معلومات تفيد هذا الجانب مع الأسف - لكون المصادر لم تذكر أي عملية تتقل لهم.

وقد تضمن البحث مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة تضمنت نتائج البحث، مع ثبت خاص بالمصادر والمراجع التي اعتمدها البحث، فضلاً عن مجموعة من الوثائق المتعلقة بموضوع الدراسة على شكل ملاحق لإغناء البحث. تناولت المقدمة أهمية البحث، وأسباب اختياره، وهدفه، وإشكاليته، ومنهجه، وأهم مصادره.

وفي الفصل الأول التمهيدي المعنون بـ: "أهمية العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام"، تم الحديث عن الأهمية العلمية لمصر وبلاد الشام بالنسبة للسلطنة العثمانية، ومن ثمَّ تحدث بلمحة عن التعليم في السلطنة العثمانية منذ نشأتها وحتى نهاية القرن السادس عشر، إلى جانب توضيح العوامل المؤثرة في التبادل العلمي بين مصر وبلاد الشام، ومن ثم العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام قبيل مرحلة البحث، أي: في القرن السادس عشر الميلادي.

أما الفصل الثاني الذي عنوانه: "حركة الطلاب في المعاهد العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر"، فقد خُصَّص للحديث عن المعاهد العلمية التي استقطبت طلاب العلم من بلاد الشام إلى مصر، ومن مصر إلى بلاد الشام، وتحدث بالتفصيل عن أماكن إقامتهم، ومصادر دخلهم وإنفاقهم.

وجاء الكلام في الفصل الثالث على "أنواع العلوم والإجازات بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر"، فوضَّح البحث العلوم التي كانت تُدرس من العلوم الشرعية، بما فيها: القراءات القرآنية، والفقه الإسلامي، والتفسير، والحديث النبوي الشريف، إلى جانب: علوم اللغة العربية، والعلوم العقلية، ومن ثم وضَّح مفهوم الإجازات العلمية، وأنواع الإجازات المتبادلة بين الولاياتين، ثم خُصَّص جانبٌ من الفصل للمقارنة بين الإجازات من حيث أسلوبها؛ من أجل معرفة الاختلاف في أسلوب كتابة الإجازات بين الولاياتين.

أما الفصل الرابع الذي عنوانه: "حركة العلماء المسلمين والرَّحالة المتصوفة والقسيسين والحاخامات بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر"، فقد أُفرد للحديث عن العلماء المسلمين بين مصر وبلاد الشام، وتتبع المناصب العلمية التي تولوها وأماكن إقامتهم ومصادر دخلهم وإنفاقهم، ثم الحديث عن نماذج من حركة الرَّحالة المتصوفة العلمية بين مصر وبلاد الشام، وأهمهم: الرَّحالة عبد الغني النابلسي، ومصطفى البكري الصديقي، ومصطفى أسعد اللقيمي، ثم وضَّح حركة القسيسين العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن ثم حركة الحاخامات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وانتهى البحث

إلى خاتمة تضمّنت أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة، وقائمة للملاحق، ومن ثم قائمة المصادر والمراجع.

وفي الختام، أتقدّم بخالص الشكر والتقدير إلى كل من أسهم في إنجاز هذه الرسالة، وأخصّ بالذكر الأستاذة الدكتورة بشرى خير بك؛ لتفضلها بقبول الإشراف على هذا البحث، وعلى ما بذلته من جهدٍ كبيرٍ، وما قدمته من نصح وتوجيه وإرشاد يسّر لي إتمام الرسالة، فجزاها الله عني خير الجزاء، كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة التحكيم الموقرة لما سببذلونه من جهد في تنقيح البحث وتقييمه وتقويمه وتصويب عثراته، كي يصبح على أكمل وجه.

وأتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور مصطفى الخطيب رئيس قسم التاريخ والحضارة في مجمع الفتح الإسلامي فرع جامعة بلاد الشام، وإلى الأستاذ الدكتور عبد الكافي المرعب رئيس قسم اللغة العربية في المجمع اللذين كان لمساعدتهما الأثر الأكبر في رفع الروح المعنوية والعلمية لي طوال مرحلة الدراسة.

وكذلك أتقدم بالشكر والتقدير للمراكز العلمية والبحثية والجامعات والمكتبات العامة والخاصة بما فيها مكاتب الكنائس والبطريركيات القائمين والمواقع الإلكترونية داخل الجمهورية العربية السورية وخارجها التي قدمت المساعدة في توفير المصادر والمراجع اللازمة، وأخص بالذكر الدكتور أحمد هبهاب الذي وفر لي مخطوطات عدة من الجامعة الإسلامية في السعودية، والشكر كل الشكر لكل من مدّ يد العون في سبيل إنجاز هذا العمل، وإتمامه بشكله النهائي.

الفصل الأول التمهيدي

أهمية العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام منذ نشأة السلطنة العثمانية
حتى نهاية القرن السادس عشر

أولاً: أهمية مصر وبلاد الشام العلمية بالنسبة للسلطنة العثمانية.

ثانياً: لمحة عامة عن التعليم في السلطنة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية القرن
السادس عشر:

١- الكتاتيب أو مكاتب الصبيان.

٢- المدارس.

ثالثاً: العوامل التي ساهمت في التبادل العلمي بين مصر وبلاد الشام:

١- العوامل الجغرافية.

٢- العوامل السياسية.

٣- العوامل الاقتصادية.

٤- العوامل الاجتماعية والفكرية.

٥- العوامل الفردية.

رابعاً: لمحة عن العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرن السادس عشر.

خامساً: استنتاجات الفصل الأول التمهيدي.

أولاً: أهمية مصر وبلاد الشام العلمية بالنسبة للسلطنة العثمانية:

حافظت السلطنة العثمانية عُقب توسعها في الأناضول (آسيا الصغرى) على المراكز التعليمية التي ورثتها عن سلاجقة الأناضول^(١)، وعلى ما اكتسبته من علاقاتها مع البلدان الأخرى كبلاد: ما وراء النهر، وبلاد فارس، والعراق، وبلاد الشام، ومصر، والحجاز^(٢). من خلال طلبه العلم الذين جعلوا من بلاد الشام (حلب، ودمشق، وحمص، وحمّة، والقدس، ونابلس، والرملة، والخليل، وغزة...)، ومصر (القاهرة، والإسكندرية، ودمياط، وأسيوط...)، قبلتهم، وكان لكل من الجامع الأموي في دمشق والمسجد الأقصى في بيت المقدس والأزهر الشريف في القاهرة أثر كبير في جذب الطلاب واستقطابهم من مختلف الولايات العثمانية^(٣).

ونظراً لأهمية مصر وبلاد الشام العلمية، فقد حرصت السلطنة العثمانية منذ القرون الأولى على توثيق علاقاتها العلمية معهما، إلا أن هذه العلاقة لم تظهر جلياً وبنشاط واضح حتى أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي؛ أي في السنوات الأولى لدولة المماليك الجراكسة (٧٨٤-٩٢٣هـ/ ١٣٨٢-١٥١٧م)، في وقت كان فيه السلطان بايزيد الأول (٧٩٢-٨٠٥هـ/ ١٣٨٩-١٤٠٢م)^(٤) على رأس الحكم في السلطنة العثمانية آنذاك. إذ نلمس من المصادر توافد طلاب العلم

(١)- **سلاجقة الأناضول**: أحد فروع دولة السلاجقة، وقد حكموا بلاد الأناضول بين العامين (٤٧٠-٧٠٧هـ/ ١٠٧٧-١٣٠٨م)، تفرعت هذه الأسرة عن السلاجقة الكبار، بعد معركة ملاذكرد (٤٦٣هـ/ ١٠٧١م) وهزيمة الروم، ويعد قنلش بن أرسلان مؤسس هذه الدولة، وهو من أقرباء الحاكم السلجوقي طغرل بك. استمر حكم سلاجقة الأناضول عبر ثمانية عشر سلطاناً، حتى استولى المغول عليها، ومن بعدهم العثمانيون. أوزتونا، يلماز: **المدخل إلى التاريخ التركي**، ترجمة أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٢٩٣-٣١٧.

(3)- Ozcep, Ferhat: **Notes on the history of geophysics in the Ottoman Empire**, Department of Geophysical Engineering, Istanbul University, 2014, p.p 166.

(٣)- المحبي، محمد أمين بن فضل الله: **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، ٤ أجزاء، د.م، د.ط، د.ت، ج١، ص ٥-٣٢٠.

(٤)- هو رابع سلاطين آل عثمان، تولى عرش السلطنة بعد مقتل والده السلطان مراد الأول (٧٦١-٧٩١هـ/ ١٣٦٠-١٣٨٩م) في معركة كوسوفو (٧٩١هـ/ ١٣٨٩م)، وأثبت كفاءته العسكرية وقدراته التنظيمية أثناء قيادته الجيوش العثمانية إلى النصر على الفرنجة في المعركة المذكورة، ورث بايزيد عن أبيه دولة واسعة، فانصرف إلى تدعيمها بكل ما يملك من وسائل، فانتزع من البيزنطيين مدينة فيلادلفية وأخضع البلغار في العام (٧٨٨هـ/ ١٣٩٣م) إلى سلطنته، وهزم التحالف الأوروبي في معركة نيقوبوليس (٧٩٤هـ/ ١٣٩٢م)، لكنه هُزم في معركة أنقرة (٨٠٤هـ/ ١٤٠٢م) ضد تيمورلنك وأُسِر، وبعد وفاته حلّ الخراب والفوضى بالسلطنة العثمانية بسبب تنازع أبنائه على الحكم. أوزتونا، يلماز: **موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية ١٢٣١-١٩٢٢م**، ترجمة محمود سلمان، جزءان، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م، مج١، ص ١٠٣-١٠٦.

العثمانيين إليهما؛ للاستفادة والاستزادة من العلوم الشرعية والصوفية وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية^(١) من كبار علماء ومشايخ هذين الصرحين العلميين^(٢).

وقد أورد المؤرخ طاشكيري زاده (ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م)^(٣) في كتابه "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية" ترجمة مفصلة لهم بلغت نسبتهم حوالي (١١.٢٧%)^(٤) من بين هؤلاء مَنْ ذاع صيته واشتهر كالشيخ داوود بن محمود القيصري (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م)^(٥): الذي بدأ تحصيل علومه الأولية في مدينته قيصرية بالأناضول، وبعد إتمام تحصيله العلمي ارتحل إلى مصر لطلب العلوم الشرعية والعقلية وعلوم اللغة العربية، وبقي هناك ثلاث سنوات أو أربع، مشغلاً بالدراسة والبحث، ثم

=Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, Tarih ve Medeniyet, Istanbul, tarih yok, p.p 12.

(١)- هي علوم طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة من الملل أو بشعب من الشعوب فقط، والعلوم العقلية موجودة منذ القدم، وتتطلب جهداً فكرياً وتعتمد على العقل الذي يعدُّ نوراً روحانياً، فيه تدرك النفس العلوم الضرورية، وتُقسم العلوم العقلية إلى أربعة أقسام: علم المنطق، والعلم الطبيعي، والعلم الإلهي، وعلم التعاليم. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد السلام الشدادى، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط ١، ٢٠٠٥م، ج ٣، ص ٧١-٧٦.

(٢)- أوغلي، أكمل الدين إحسان، صالح، صالح سعداوي: الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسিকা، استانبول، د.ط، ٢٠٠٣م، ص ١٥٦-١٦٦.

(٣)- أحمد بن طاشكيري زاده: ولد في بورصة ونشأ بها، وقد بدأ تحصيل علومه الأولية على يد أبيه وكبار علماء عصره، حتى صار مدرساً في مدرسة "ديمتوقه" في العام ٩٣١هـ/ ١٥٢٥م، ثم عين للتدريس في مدارس كبرى عدة، كان آخرها في مدرسة "الصحون الثمانية"، ثم تولى القضاء في بروسه واستانبول، لكنه أصيب بالعمى بعد ثلاث سنوات، حيث توفي في استانبول ودُفن فيها، وله: "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية" و"مفتاح السعادة" و"نوادير الأخبار في مناقب الأخيار"، وغيرها الكثير. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله: فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار "تاريخ ملوك آل عثمان"، تحقيق سيد محمد السيد، مؤسسة العالي ألتاتورك للثقافة واللغات والتاريخ، أنقرة، د. ط، ٢٠٠٩م، ص ٩٦-٩٧.

(٤)- طاشكيري زاده، أحمد بن مصطفى: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويليها العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٧٥م، ص ١-٥٠٣.

(٥)- داوود بن محمود بن محمد القيصري: أديب، ومتصوف، ولد في قيصرية بالأناضول، وبها نشأ، وأخذ العلم على علماء عصره حتى برع في عدة فنون، من آثاره: "تحقيق ماء الحياة وكشف أسرار الظلام" و"نهاية البيان في دراية الزمان" و"رسالة في إيضاح بعض أسرار تأويلات القرآن للكاشاني" وغيرها الكثير. القيصري، داوود: الرسائل، تحقيق محمد بايراقدار، مطبعة قيصري، د. ط، ١٩٩٧م، ص ٨-٩.

عاد إلى بلاده، فعينه الغازي أورخان (٧٢٤-٧٦١ هـ / ١٣٢٤ - ١٣٦٠ م)^(١) مديراً ومُدَرَّساً في مدرسة أزنك^(٢) في العام (٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م)^(٣) "لمهارته في العلوم الشرعية والعقلية، وكونه متقدماً على أقرانه، فدرس هناك وأفاد وأجاد حتى وفاته"^(٤).

ومن العلماء العثمانيين الكبار الذين وفدوا على مصر أيضاً شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفناري الرومي (ت ٨٣٤ هـ / ١٤٣١ م)^(٥): الذي زار مصر في طريقه للحج في العام (٨٢٢ هـ / ١٤١٩ م) للتعلم بالعلوم الشرعية والعربية على يد كبار علمائها وفقهائها، ثم عاد إلى دار السلطنة وتولى القضاء في بورصة (شمال غرب آسيا الصغرى)، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته وله: "شرح إيساغوجي"، و"عويصات الأفكار"، و"فصول البدائع في أصول الشرائع وأنموذج العلوم" وغيرها الكثير^(٦).

واشتهر من العلماء العثمانيين المولى حاجي باشا (ت ٨٢٧ هـ / ١٤٢٤ م)^(٧) الذي رحل إلى مصر لتحصيل العلم، وهناك قرأ العلوم الشرعية والعقلية على كبار علماء القاهرة، ثم اشتغل بالطب مستفيداً من علوم الأطباء ومعارفهم هناك، فلما أتقنه فوض إليه بيمارستان المنصور قلاوون (في

(١) - ثاني سلاطين السلطنة العثمانية، تولى عرش السلطنة بعد والده الغازي عثمان الأول، وكان عمره (٤٥) عاماً، فقام بالتعاون مع أخيه علاء الدين على توسيع رقعة البلاد من (١٦٠٠٠) كم^٢ إلى (٩٥٠٠٠) كم^٢، وافتتحت مدن عدة في عهده، كما تمكن من عبور بحر إيجه إلى منطقة الروم إيلي، وافتتح عدداً من القلاع، ونقلت العاصمة إلى بورصة، وضربت النقود، وأسس جيش الانكشارية، وأصدرت بعض القوانين في عهده. كولن، صالح: **سلاطين الدولة العثمانية**، ترجمة منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م، ص ٩-١٢.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 7.

(٢) - القيصري: الرسائل، ص ٨-٩.

(3) - Atçıl, abdurrahman: **scholars and sultans in the early modern ottoman empire**, university Cambridge press, United Kingdom, 2017, p.p 31.

(٤) - الكفوي، محمود بن سليمان: **كتاب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م، ج٢، ص ٤٢٩.

(٥) - محمد بن حمزة بن محمد، شمس الدين الفناري: **عالم بالمنطق والأصول**، ومن فقهاء الحنفية، ولد في فنار بالأناضول ونشأ وتعلم بها، ثم انتقل إلى بورصة واستقر به المقام هناك حتى وفاته. البغدادي، إسماعيل باشا: **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، ١٩٥١م، ج٢، ص ٢٤١، طاشكيري زاده: **الشقائق النعمانية**، ص ١٨-٢٠.

(٦) - البغدادي: **هدية العارفين**، ج٢، ص ٢٤١، طاشكيري زاده: **الشقائق النعمانية**، ص ١٨-٢٠.

(٧) - حاجي باشا، أصل اسمه جلال الدين خضر: ولد في قونية وبها نشأ، وتلقى على علماء عصره علومه الأولية، ثم طاف في البلاد المجاورة للتبحر في العلوم على اختلاف أصنافها حتى مهر في الطب. طاشكيري زاده: **الشقائق النعمانية**، ص ٥٢.

القاهرة) وبقي فيه مدة طويلة ثم عاد إلى الأناضول، وقد عرف حاجي باشا بمصنفاته في الطب، ومع ذلك فقد اشتغل بالتفسير والكلام والمنطق، وكتب كل مؤلفاته بالعربية، ولاسيما مؤلفاته في الطب^(١).

ونظراً لاهتمام سلاطين بني عثمان الأوائل بالتعليم، فقد توافد الشيوخ والأئمة والعلماء العرب والمسلمون - الذين كان لهم تأثير واضح ومهم في الطلاب العثمانيين دون غيرهم - للتدريس أو لتولي القضاء في إحدى المدن العثمانية، وقد قَدَّم هؤلاء المدرسون النموذج المثالي للتدريس والتعليم، وفي الوقت نفسه قُوبِلَ جهدهم ونشاطهم بالتقدير والاحترام، وقُدِّمَت لهم مكافآت مجزية، من أشهرهم: الشيخ شمس الدين محمد بن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م)^(٢) أحد أبرز علماء عصره في علم القراءات، فله أثر واضح في الحياة العلمية عند العثمانيين، وكان قد سافر إلى مدينة الإسكندرية في العام (٧٨٩هـ / ١٣٨٧م)، ثم ما لبث أن انتقل منها إلى أنطاليا (جنوب غرب آسيا الصغرى) بطريق البحر، ومنها إلى بورصة عاصمة السلطنة العثمانية في ذلك الوقت، وهناك التحق بالسلطان بايزيد الأول (٧٩١-٨٠٤هـ / ١٣٨٩-١٤٠٢م)، واستقر فيها للتدريس والإفادة، فأخذ عنه الكثير من الطلاب العثمانيين، وحُصِّصَ له راتبٌ كبيرٌ^(٣).

ومن علماء دمشق الذين رحلوا إلى دار السلطنة وأفادوا من هذه الرحلة الشيخ يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيفي (ت ١٠٥٦هـ / ١٦٤٦م)^(٤) الذي بدأ تحصيل علومه الأولية على يد كبار علماء عصره بدمشق، وبعد إتمام تحصيله العلمي انتقل إلى استانبول وعيّن إماماً للسلطان عثمان الثاني (١٠٢٧-١٠٣١هـ / ١٦١٨-١٦٢٢م)^(٥)، ثم عاد إلى دمشق بعد وفاة السلطان، وعمل واعظاً

(١) - طاشكيري زاده: الشقائق النعمانية، ص ٥٢.

(٢) - أحمد بن محمد بن محمد، أبو بكر، شهاب الدين ابن الجزري القرشي الشافعي: مقرئ، دمشقي المولد والوفاة، أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الاثنتي عشرة، وتصدر للتدريس، وله: "الحواشي المفهمة في شرح المقدمة" وهي المقدمة الجزرية. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ١٩٣.

(٣) - طاشكيري زاده: الشقائق النعمانية، ص ٢٥-٣٠.

(٤) - يوسف بن أبي الفتح بن منصور السقيفي الدمشقي الحنفي: ولد بدمشق ونشأ بها، وأخذ عن علماء عصره كالحسن البوريني (ت ١٠٢٣هـ / ١٦١٥م)، وكان ذكياً حسن الطبع، لطيف الشعر. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١-٤٩٣.

(٥) - هو السلطان العثماني السادس عشر، تولى العرش وعمره (١٤) عاماً إلا أنه كان يتمتع بشخصية فذة وثقافة عالية، وكان يؤمن بحاجة السلطنة إلى تبديل نظامها في كافة المجالات بإصلاحات جذرية، وعندما حاول إصلاح الجيش اصطدم مع الانكشارية وأدى ذلك إلى مقتله. فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط ١، ١٩٨١م، ص ٢٧٧-٢٧٩.

واعظاً في الجامع الأموي بدمشق، فاستدعاه السلطان مراد الرابع (١٠٣٢-١٠٥٠هـ / ١٦٢٣-١٦٤٠م)^(١) في العام (١٠٤٤هـ / ١٦٣٤م)؛ ليكون إماماً له، فبقي بهذا المنصب حتى وافاه أجله^(٢).

ومنهم أيضاً المؤرخ الكبير صاحب التصانيف الشهيرة شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م)^(٣): الذي انتقل من موطنه مصر إلى دار السلطنة؛ لطلب العلم، فواصل دراسته فيها، ولما تخرج عُين قاضياً في بلاد الروم، وبقي في هذا المنصب مدة من الزمن، ثم عاد إلى القاهرة، فتوفى فيها، وقد ألّف الشهاب الخفاجي كتباً كثيرة، أشهرها: "ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا"، و"شرح درّة الغواص في أوهام الخواص للحريري"، و"شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل"، و"طراز المجالس" وغيرها الكثير^(٤).

وكان للتبادل الثقافي بين السلطنة العثمانية ومصر وبلاد الشام أثر كبير في تعلم الطلاب والعلماء العثمانيين اللغة العربية، فقد كانوا يدونون بها مؤلفاتهم الرئيسية، ويتكلمونها قبل أن تمتد سلطنتهم إلى الأراضي العربية، ويتقنونها عبر الدراسة المباشرة للقرآن الكريم والعلوم الشرعية، وعبر ترجمة المصادر العربية والإسلامية إلى اللغة العثمانية، أو عن طريق وفود بعض العلماء العرب إلى مدن السلطنة العثمانية، وانتقال بعض العلماء العثمانيين إلى الولايات العربية، للحج، وطلب العلم،

(١) - هو السلطان العثماني السابع عشر، تولى الحكم وعمره (١١) عاماً، وكانت السلطنة تعاني من الاضطرابات الداخلية والخارجية، وعندما بلغ مراد الرابع الحادية والعشرين قرر الإمساك بناصية الحكم، وتمكن بعد سلسلة من الاجراءات الناجحة من إعادة الأمن والنظام للسلطنة العثمانية، لكنه توفي وهو في ريعان شبابه تاركاً ورائه سلطنة قوية ومستقرة وجيشاً منظماً لم يشهد مثله منذ عهد القانوني.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 36.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١-٤٩٣.

(٣) - شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي، قاض، أديب، لغوي، ولد في «سرياقوس» وهي قرية في نواحي القاهرة، لأب من كبار علماء عصره، نشأ الشهاب في حجر أبيه ورعايته، يعلمه ويؤدبه، فتلقن منه علومه الأولى، وعليه تخرج في الإنشاء والكتابة، ولما استوى يافعاً درس على كبار علماء عصره، ثم ارتحل إلى بلاد الروم للدراسة، وتولى بها القضاء، ثم عزل عنه وعاد إلى القاهرة، فتوفي بها. الخفاجي، أحمد بن محمد: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الطلو، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط، ٢٠٠٥م، ص ٣-٤.

(٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٣١-٣٤٣.

والاحتكاك بالعلماء العرب، فالحضارة العربية الإسلامية كانت في الحقيقة حجر الزاوية في بنية الحضارة العثمانية^(١).

ونتيجة للظروف السابقة فقد حفل العصر العثماني على امتداده، واتساع أراضيه، بكم هائل من المؤلفات التي كُتبت باللغة العربية بأيدي علماء اختلفت أجناسهم وألوانهم ولغاتهم، ولكن اتحدت ثقافتهم بسبب اتباعهم المنهج الديني نفسه، واشتركوا في معرفتهم العظيمة باللغة العربية وآدابها، وما اتصل بها من علوم شرعية وفقهية وتفسيرية وفلسفية وغير ذلك، وهذا يدل على أنَّ السلطنة العثمانية لم تمنع العلماء العثمانيين من التصنيف باللغة العربية التي كانوا يتقنوها فضلاً عن لغتهم الأصلية^(٢).

ومن العلماء العثمانيين الذين كان لهم أثر واضح، ولمدة طويلة في الحياة الدينية والعلمية في مصر وبلاد الشام؛ لكونه متقناً للغة العربية الشيخ أكمل الدين البابرّي الرومي (ت ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م)^(٣) الذي بدأ تحصيل علومه الأولية في الأناضول، ثم رحل إلى حلب ونزل في المدرسة الساوجية^(٤) وأقام بها مدة من الزمن، ثم انتقل إلى مصر، فدرس على كبار علمائها الفقه واللغة العربية، حتى أصبح له نفوذ كبير في الحياة السياسية، وله مشاركات كبيرة في القضاء والدين والمسائل الحقوقية بين الناس وبين الولاة والأمراء وغير ذلك، وقد ظلّ بالقاهرة إلى أن وافاه أجله، وكان قد ألّف كتباً عدة ورسائل باللغة العربية، منها: "شرح مختصر ابن الحاجب"، و"شرح المنار"، و"التلخيص"، و"شرح البزدوي" وغيرها^(٥).

(١) - الداوقى، إبراهيم: التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والتركية في العهد العثماني، بحث أعد في كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، ١٩٨٨م، ص ٣٣٩-٣٦٢.

(٢) - أوغلي، صالح: الثقافة التركية في مصر، ص ١٥٦-١٦٦.

(٣) - محمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبدالله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرّي: علامة بالفقه الحنفي، عارف بالأدب، نسبته إلى بابرّي بالأناضول، التي ولد بها، ووفاته في مصر. ابن حجر، أحمد بن علي: أنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، ٤ أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د، ط، ١٩٦٩م، ج ١، ص ٢٩٨.

(٤) - المدرسة الساوجية: إحدى مدارس الشافعية في حلب، انشأها التاجر الحلبي جمال الدين الساوجي. النعيمي، عبد القادر محمد: الدارس في تاريخ المدارس، أعدّ فهارسه إبراهيم شمس الدين، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ج ١، ص ٢٠٧.

(٥) - ابن حجر، أحمد بن علي: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ٤ أجزاء، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيد آباد، الهند، ط ٢، ١٩٧٢م، ج ٦، ص ١.

ومن العلماء العثمانيين البارزين في هذا المجال محمد بن أحمد بن عبدالله المعروف بـ: ماميّا الرومي (ت ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م)^(١) الذي انتقل إلى دمشق وانتظم في سلك الجيش الإنكشاري^(٢) مدة من الزمن، ثم عدل عن الجندية، وانصرف إلى طلب العلم، وخاصة اللغة العربية، فأصبح ترجمان المحكمة الصالحية^(٣) بدمشق، وكانت له أشعار جيدة، وله ديوان شعر اسمه: "روضة المشتاق" جمعه في العام ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م وله ديوان آخر اسمه: "برهان البركان"، إلى جانب الكثير من المقاطع الشعرية المتفرقة^(٤).

وقد ذكر الزّاهب الإيطالي تودريني^(٥) ما يدل على تعلم العثمانيين اللغة العربية في كتابه: "الأدب التركي" الذي ألفه أثناء رحلته إلى استانبول (١١٩٥-١٢٠٠هـ/ ١٧٨١-١٧٨٦م) إذ وجد الفرصة للتعرف على المجتمع العثماني عن كثب - على الرغم من أنه لا يتوقف عن نقد العثمانيين

(١) - محمد بن أحمد بن عبدالله: ولد في استانبول، ونشأ وتعلم بها، ثم انتقل إلى دمشق وبرع بالأدب والشعر، واستقر هناك حتى وافاه أجله. الغزي، محمد بن محمد: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل منصور، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٤٥-٤٦. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، ١٠ أجزاء، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٩٨٦م، مج ١٠، ص ٦٠٦-٦٠٧.

(٢) - الجيش الإنكشاري: بمعنى القوات الجديدة، وهي فيالق عسكرية تكونت من أبناء رعايا السلطنة الذين تم جمعهم ما بين الخامسة والسادسة عشرة من عمرهم من مختلف الولايات العثمانية في أوروبا في وقت محدد من السنة، وقد قدمت الإنكشارية للسلطنة في القرنين السابع عشر والثامن عشر خدمات كبيرة ثم فسد نظامها، وتمردت على السلطنة فأبادهها السلطان محمود الثاني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨-١٨٣٩م) في مذبحة جرت في استانبول في العام ١٢٦٨هـ/ ١٨٢٦م، ويقال: إن الغازي أورخان (٧٢٤-٧٦١هـ/ ١٣٢٤ - ١٣٦٠م) قد اصطحب الفرقة الأولى من هؤلاء المجندين إلى مسكن الدرويش حاج بكتاش ورجاه أن يباركهم ويخلع عليهم اسماً، وأن بكتاش وضع كفه فوق رأس أحد الواقفين في الصف الأول، ثم قال للسلطان: "إن القوات التي أنشأتها ستحمل اسماً" يني جري" وستكون وجوههم بيضاء وضيئة، وستكون أذرعهم اليمنى قوية وسيوفهم في المعارك، ولن يبرحوا ميدان القتال إلا وقد انعقدت لهم ألوية النصر"، وتخليداً لبركة بكتاش كان الإنكشارية يضعون على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأبيض، شبيهة بقلنسوته. يُنظر: صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط ١، ٢٠٠٠م، ص ٤١.

(٣) - المحكمة الصالحية: تقع بمنطقة الصالحية في مبنى المدرسة الجهاركسية الحنفية، وهي إحدى المحاكم الخاصة بالأحياء الجديدة خارج السور القديم للمدينة. ابن طولون، محمد شمس الدين: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، ١٩٨٠م، ص ٢٠٨.

(٤) - الغزي: الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٤٥-٤٦. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ١٠، ص ٦٠٦-٦٠٧.

(٥) - الراهب آبي تودريني: أديب إيطالي، اشتهر برحلته إلى السلطنة العثمانية، والتي أطلق عليها "الأدب التركي". مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ط ١، ١٩٩١م، ج ٢، ص ٤٧٢.

في بعض الأمور - "إن الأمر الذي جعل علماء السلطنة العثمانية أصحاب علم وفضل وجديرين بالثقة أنك لا تشهد عندهم أي نشاط فكري هابط، وجميعهم يجيدون اللغة العربية واللغة الفارسية؛ نتيجة اتصالهم مع بلاد فارس ومصر وبلاد الشام، وذكر أيضاً: "أنها أكثر مما لدى أوروبا (أي المدارس) كلها من حيث استقلالها العلمي وخصائصها الأخرى"^(١).

وتعقيباً على ما سبق يمكن القول: إنَّ التَّبادل الثقافي والمعرفي بين مصر وبلاد الشام والسلطنة العثمانية كان قائماً ومستمراً منذ نشأة السلطنة، وليس فقط عند امتداد حكم السلطنة إلى الولايات العربية واستقطابها لكبار العلماء، حيث وفَّرت السلطنة للعلماء الوافدين إليها من مصر وبلاد الشام سُبُل حياة أفضل، وأمدتهم بكل ما يحتاجونه، فضلاً عن تسليمهم بعض المناصب الإدارية والدينية الرفيعة هناك، وذلك لرغبتها في تشجيع العلماء على الاستقرار فيها، مما دفع عدداً ليس بقليل من علماء مصر وبلاد الشام إلى الاستقرار هناك.

أما بالنسبة للطلاب العثمانيين الذين انتقلوا إلى مصر وبلاد الشام، فكانت الغاية من رحلتهم إتقان اللغة العربية من كبار علمائها إلى جانب التعمق بالعلوم الشرعية وأخذ أمَّات الكتب عن كبار العلماء المتبحرين في هذه العلوم، ثم العودة إلى موطنهم لإفادة طلبه العلم هناك، أو الاستقرار في مصر أو بلاد الشام وتولي المناصب فيها، وهذا ما يؤكد الأهمية العلمية لمصر وبلاد الشام بالنسبة للسلطنة العثمانية.

(١) - مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، ص ٤٧٢.

ثانياً: لمحة عامة عن التعليم في السلطنة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية القرن

السادس عشر:

ورثت السلطنة العثمانية أسلوب إنشاء المعاهد والمراكز العلمية عن السلاجقة والعصور الإسلامية السابقة، وتكون التعليم في أنحاء السلطنة من مرحلتين شملت المرحلة الأولى التعليم الأولي في الكتاتيب^(١)، أما المرحلة الثانية، فقد كانت في المدارس التي أنشأها سلاطين بني عثمان منذ قيام سلطنتهم^(٢).

١- الكتاتيب أو مكاتب الصبيان:

عرفت عند العثمانيين بأسماء أخرى، مثل: دار التعليم، ودار الحفظ، وطاش مكتب أو مكتب، وهي المكان الذي يتولى مهمة التعليم والتربية الأولى للعثمانيين، أي: المدرسة الأولية^(٣)، وُخصت للأطفال والصبيان لتعليمهم القراءة في لغتهم الأم العثمانية إلى جانب اللغة العربية؛ ليتمكن من قراءة القرآن الكريم وحفظه عن ظهر قلب، فضلاً عن تعليمهم الكتابة وبعض الحساب والقليل من المعارف الدينية واللغوية، وكانت تقام هذه الكتاتيب بالقرب من المساجد، أو في المساجد نفسها، أو في الزوايا والخوانق، أو في منزل معلم الكتاب (الملا)^(٤).

وكانت العادة أن يلتحق الطفل بهذه المكاتب عند بلوغه سن الخامسة، ويبدأ دروسه فيها باحتفال مفعم بالحركة والحيوية، ولم تكن هناك شروط للقبول أو الانخراط في تلك الكتاتيب، إذ تستطيع كل عائلة مسلمة أن تلحق أطفالها بها^(٥)، أما بالنسبة لتعيين المعلمين (الملاي) في الكتاب، فلم تكن هناك شروط خاصة ينبغي توافرها في الملا سوى أن يكون ذا شخصية دينية، وحافظاً للقرآن الكريم، ويجيد القراءة والكتابة، وملماً إلى حد ما بأمور الدين وبعض علوم اللغة العربية، وبعض العمليات

(١) - الكتاتيب: المفرد منها كُتَّاب، وكتب الرجل وأكْتَبَه كِتَاباً: علمه الكِتَابَ، ورجل مُكْتَبٌ: له أجزاء تُكْتَب من عنده، والمُكْتَب: المُعَلِّم، وقال اللحياني: هو المكتب الذي يُعَلِّم الكتابة، وقال الحسن: كان الحاج مُكْتَباً بالطائف، يعني مُعَلِّماً، والمُكْتَبُ: موضع الكُتَّاب، والمكتب والكُتَّاب: موضع تعليم الكُتَّاب، الجمع: الكتاتيب والمكاتب، وقال المبرد: المُكْتَبُ: موضع التعليم والمُكْتَبُ: المُعَلِّم، والكُتَّاب الصبيان. ابن منظور، محمّد بن مكرم: لسان العرب، ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٩٩٣م، ج١، ص٦٩٩.

(٢) - مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، ص٤٤٨.

(٣) - مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، ص٤٤٩.

(4) - Atçıl: scholars and sultans in the early modern ottoman empire, p.p 31.

(5) - Akyüz, Yahya: Türk Eğitim Tarihi (Baslangıçtan1993'e), Kültür Koleji Yayınları, istanbul, 1994, s.s 68.

الحسابية الأولية، وكان الملاً يختار واحداً أو أكثر من بين طلابه القدماء الذين قطعوا شوطاً في تعلم القراءة والكتابة الذين هم أكبر المتعلمين سناً، ليكون نائباً عنه ومساعداً له في أعماله^(١)، وعند إتقان الطالب التعليم الأولي في الكتاتيب ينتقل إلى المرحلة الثانية من التعليم في المدارس العثمانية للتعلم في العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها^(٢).

٢- المدارس:

بدأ إنشاء المدارس في السلطنة العثمانية منذ أيام الغازي أورخان (٧٢٤-٧٦١ هـ / ١٣٢٤ - ١٣٦٠ م) في مدينة أزنك (شمال غرب آسيا الصغرى) في العام ٧٣٥ هـ / ١٣٣٥ م^(٣)، وعُيّن للتدريس فيها العالم المشهور داود القيصري (ت ٧٥١ هـ / ١٣٥٠ م)، وفي عهد السلطان مراد الأول (٧٦٠-٧٩١ هـ / ١٣٥٩-١٣٨٩ م)^(٤) والسلطان بايزيد الأول (٧٩١-٨٠٤ هـ / ١٣٨٩-١٤٠٢ م) أقامت السلطنة العثمانية عدداً من المدارس الجديدة، كما شكلت العديد من المؤسسات في مجالي التعليم والقضاء، وفي عهد السلطان مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥ هـ / ١٤٢١-١٤٥١ م)^(٥) انتشرت المدارس بكثرة، بكثرة، حيث أنشئت المدارس الكبرى في أدرنه وبورصة (شمال غرب آسيا الصغرى) وغيرها من المدن العثمانية، ومن أشهرها: "دار الحديث في أدرنه"^(٦).

وفي عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦ هـ / ١٤١٣-١٤٢٥ م)^(٧) حرصت السلطنة حرصاً كبيراً على الاهتمام بالتعليم وتطوير مؤسساته وأسايبه، فقد بادر هذا السلطان بعد اتخاذه القسطنطينية

(1) -Akyüz, Yahya: *Türk Eğitim Tarihi*, s.s 72-73.

(2) -Basaran, Ethem: *Türkiye Eğitim Sistemi*, Ankara, 1994, s.s 54.

(3) -Atçıl: *scholars and sultans in the early modern ottoman empire*, p.p 31.

(٤) - ثالث سلاطين بني عثمان، تولى عرش السلطنة بعد وفاة والده "الغازي أورخان" فوسع حدود بلاده بفتوحاته التي قام بها في الروم إيلي حتى أوصلها إلى ٢٩١٠٠٠ كم، وافتتح أدرنه واتخذها عاصمة له، وانتصر على حملة الفرنجة في معركة كوسوفو (٧٩١ هـ / ١٣٨٩ م)، لكنه تُوفي إثر طعنة صربي يدعى "ميلوش" بخنجره أثناء تفقده حال جيشه في الميدان، ونقل جثمانه إلى بروسه.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 9.

(٥) - سادس سلاطين بني عثمان، تولى عرش السلطنة بعد وفاة والده وعمره (١٨) عاماً، فحاض حروباً كثيرة ضد الفرنجة وأمراء الأناضول، وقد ترك في حياته السلطنة مرات عدة لابنه محمد الثاني، وسعى دائماً إلى إحياء دور التعليم والتصنيع في بلاده، تُوفي في مدينة أدرنه وُقِّل جثمانه إلى بورصة.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 15.

(٦) - إينالجيك، خليل: *تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار*، ترجمة محمد الأرناؤوط، جزءان، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م، ج ٢، ص ٢٥٧.

(٧) - سابع سلاطين بني عثمان، تولى عرش السلطنة إثر وفاة والده السلطان مراد الثاني (٨٢٤-٨٥٥ هـ / ١٤٢١ - ١٤٥١ م)، وامتدت مدة حكمه ثلاثين عاماً، تمكن خلالها من توسيع حدود السلطنة توسعاً كبيراً؛ إذ أضاف =

(استانبول) عاصمة لسلطنته في العام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م) إلى تأسيس ثماني مدارس ووضعها تحت تصرف أشهر العلماء، ثم بنى جامع محمد الفاتح خلال السنوات (٨٦٧-٨٧٥هـ/١٤٦٣-١٤٧٠م)، وأنشأ حوله ثماني مدارس سُميت: "بالصحن الثمان" أو "المدارس الثمانية"؛ نسبة إلى صحنها الواقعة شمال مسجد الفاتح وجنوبه، "ويُطلق على الطالب الذي يدرس في هذه المدارس بـ: الدانشمند (طالب العلم) ويسمى مساعد الأستاذ: (المعيد)، والأستاذ: (المدرس)"^(١) الذي خُصص له أجرٌ يوميٌّ يختلف بحسب الدرجة التنظيمية للمدرسة إذ يتراوح بين (٢٠ و ٥٠) أقة^(٢)، وهذا ما أكدّه المؤرخ "إسماعيل حقي أوزون جارشيلي" إذ أوضح "أنّ الدرجات الأكاديمية للمدارس جرى تنظيمها في عهد السلطان الفاتح تبعاً لمقدار الأجر اليومي الذي يحصل عليه المدرس الذي يتولى التدريس فيها وتبعاً للكتاب الأساسي اللازم تدريسه فيها"^(٣).

ونظراً للتفوق العلمي الذي حققه طلاب تلك المدارس والسمعة الحسنة لها عمد السلطان سليمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م)^(٤) إلى إنشاء المدارس السليمانية في العام ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، وخصص لعلمائها وطلابها مخصصات كبيرة^(٥)، وتعدّ مدارس الفاتح الثمانية ومدارس

=امبراطوريتين (الإمبراطورية البيزنطية وامبراطورية طرابزون)، وبعض الدول الصغيرة والكبيرة إلى أملاك السلطنة العثمانية، وأنشأ الكثير من المدارس أشهرها: "الصحن الثمانية"، ويعد الفاتح من أعظم السلاطين العثمانيين، ولقب بالفاتح لفتحته القسطنطينية في العام (٨٥٧هـ/١٤٥٣م). فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ١٦٠-١٦٧. **Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher**, p.p 17.

(١)- كوندز، أحمد آق وأوزتوك، سعيد: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، استانبول، د. ط، ٢٠٠٨م، ص ٦٢٧.

(٢)- الأقة: عملة عثمانية فضية تساوي ربع أو ثلث البارة، سكها الغازي أورخان (٧٢٤-٧٦١هـ/١٣٢٤ - ١٣٦٠م) في العام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م. عامر، محمود: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد ١١٧-١١٨، ٢٠١٢م، ص ٣٦٢.

(3) - **Uzunçarşılı, İsmail Hakkı : Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı, TÜRK TARİH KURUMU BASIMEVİ, Ankara, 1988, s.s 11-12.**

(٤)- عاشر سلاطين بني عثمان وأعظمهم، تولى العرش إثر وفاة والده السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) وكان عمره آنذاك (٢٥) عاماً وامتدت مدة حكمه (٤٦) سنة تمكن خلالها من تحقيق انتصارات مهمة على الجبهة الأوروبية، كما نجح في ضم العراق وليبيا إلى أملاك السلطنة، فتوسعت رقعة البلاد إلى ١٤.٨٩٣.٠٠٠ كم، حيث حكم ثلاث قارات وسبعة أبحر، ونتيجة لإصداره القوانين لقّبه شعبه بـ: القانوني، أما الأوروبيون، فقد لقّبوه بالعظيم.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 23.

(٥)- إينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢، ص ٢٥٦.

السليمانية من أرفع المدارس العثمانية وأعلاها شأنًا ومكاناً؛ إذ دُرِّست فيها العلوم على اختلاف أنواعها^(١)، وعلى رأس هذه العلوم:

أ- العلوم الشرعية:

يُقصد بالعلوم الشرعية كل ما له علاقة بعلوم القرآن الكريم والحديث النبوي وما يتعلق بالعقائد والعبادات والمعاملات. فالعلوم الشرعية هي العلوم التي مصدرها الوحي ولا دخل للإنسان فيها وتُعنى بأمور: العقيدة، والتشريع، والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية، ونظام المجتمع ومن هذه العلوم: علم العقيدة، وعلم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم التشريع (الفقه)، وأصوله، ومقاصده، وتاريخه... إلخ^(٢)، وقد اهتمت السلطنة العثمانية كاهتمام باقي الدول الإسلامية بالعلوم الشرعية، لأنها أساس التعليم في مناهجها من حيث اعتمادها بالدرجة الأولى على: القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، بحيث تتمثل منهجيتها في البحث عن الدليل في القرآن الكريم أولاً، ثم في الأحاديث النبوية ثانياً، ثم في الآراء الاجتهادية لكبار الفقهاء ثالثاً. وكان المدرس أو الشيخ يمثل الركن الأساسي في التعليم الإسلامي، ويحظى بمكانة عالية؛ لأنه متقن للعلوم الشرعية، والبعض منهم يتقن إلى جانبها العلوم الروحية^(٣). ومعظم المدارس والمعاهد التي خصصت لتدريس العلوم الشرعية بُنيت خلال مدة حكم السلطان أورخان (٧٢٤-٧٦١ هـ / ١٣٢٤-١٣٦٠ م)، والسلطان مراد الأول (٧٦٠-٧٩١ هـ / ١٣٥٩-١٣٨٩ م)، والسلطان بايزيد الأول (٧٩١-٨٠٤ هـ / ١٣٨٩-١٤٠٢ م)، والسلطان محمد الأول (٨٥٥-٨٨٦ هـ / ١٤١٣-١٤٢٥ م) بالتساوي بين الأناضول (آسيا الصغرى) والروملية^(٤).

أتبع في هذه المدارس نظام محدد لتدريس الطلاب تبعاً لمستويات محددة: في المستوى الأول من هذه المدارس كان الطلاب يدرسون كتاب "الهداية في شرح بداية المبتدي" لمؤلفه: علي بن أبي

(١)- كوندز وأوزتوك: الدولة العثمانية المجهولة، ص ٦٢٨.

(٢)- أبو عبيدة، طه عبد المقصود: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤ م، ص ٩٥٣.

(٣)- إينالجيک: تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢، ص ٢٦١، ٢٥٥.

(٤)- الروملي: اسم أطلقه العثمانيون على الأراضي الأوروبية التي سيطر عليها الجيش العثماني إبان عبورهم مضيق الدردنيل. البجوونج، جان: بصمات في التاريخ العثماني، ترجمة عيبر الشناوي، دار النيل، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥ م، ص ١٥.

بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني (ت ٥٩٣هـ/١١٩٧م)^(١) وفي المستوى المتوسط كان الطلاب يتعلمون فيه أصول الفقه، من خلال دراسة كتاب "التلويح على التوضيح" لمؤلفه: سعد الدين مسعود بن عمر التفازاني (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)^(٢)، أما المستوى المتقدم، فقد خُصص لتعليم تفسير القرآن، من خلال دراسة كتاب "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" لمؤلفه: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ/١١٤٤م)^(٣).

وقد سعى الكثير من الطلاب والعلماء ممن درسوا في المدارس الشرعية إلى السفر والارتحال؛ للاستزادة في العلوم الشرعية على أشهر علماء تلك المرحلة ومن منبعها الأصلي، وكانت وجهتهم الرئيسية نحو منطقتين: إحداهما: آسيا الوسطى التي تضم: خوارزم، وما وراء النهر، وفارس. وثانيتهما: هي الشرق الأوسط التي تضم: الحجاز - والتي كان يقصدها طلاب العلم سعياً لتأدية الحج وأخذ العلم عن علمائها - وكذلك العراق، وبلاد الشام، ومصر^(٤).

والى جانب العلوم الشرعية انتشر علم التصوف^(٥) في أراضي السلطنة العثمانية انتشاراً كبيراً، حيث وصل إليها العديد من أتباع الطرق والجماعات الصوفية المتعددة في المناطق الحدودية المحيطة بالسلطنة العثمانية كالأخية^(٦)، ومن وراء النهر (خوارزم وخراسان وأذربيجان)، ومن العراق

(١) - علي بن أبي بكر الفرغاني المرغيناني: من أكابر فقهاء الحنفية نسبته إلى مرغينان (من نواحي فرغانة)، كان حافظاً مفسراً محققاً أديباً، من المجتهدين، وله تصانيف عدة، أشهرها: "بداية المبتدي" و"الهداية في شرح البداية" و"منتهى الفروع" و"الفرائض" و"مناسك الحج" وغيرها الكثير. الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م، ج ٤، ص ٢٦٦.

(٢) - سعد الدين مسعود بن عمر التفازاني: من أئمة العربية والبيان والمنطق، وُلِدَ بتقازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فثُوفِي فيها، ودُفِنَ في سرخس، ومن أشهر كتبه: (تهذيب المنطق) و(المطول) في البلاغة، وغيرها الكثير. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٣) - محمود بن عمر بن محمد الزمخشري: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب، وُلِدَ في زمخشري (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة، فجاور بها زمناً، فلقب بجار الله، وتقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم)، فثُوفِي فيها، أشهر كتبه: (الكشاف) في تفسير القرآن، (أساس البلاغة)، (المفصل) وغيرها الكثير. الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ١٧٨.

(٤) - إينالبيك: تاريخ الدولة العثمانية، ج ٢، ص ٢٤٦.

(٥) - التصوف: هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة، ومال، وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج ٣، ص ٤٩.

(٦) - الأخية: مفردا آخي، وهي مؤسسة اجتماعية نشأت في الأناضول في القرن الرابع عشر الميلادي، تركزت أعمالها في القيام بخدمة الناس وتعليمهم حب العمل ومساعدة المحتاجين والفقراء. صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٣.

وبلاد الشام ومصر، يُضاف إلى ذلك وجود الجماعات الصوفية التي ورثتها السلطنة العثمانية عن السلاجقة والدول الإسلامية التي سبقتها، فشكّلت هذه الجماعات نسبةً كبيرة في السلطنة العثمانية، وقد ازدادت عن طريق المراكز الصوفية المنتشرة بكثرة، كالزوايا والخوانق التي خُصّصت لـ: التعليم، والتربية، واكتساب المعارف الشرعية والصوفية، كما دُرّس التصوف في المدارس والجوامع بدليل أنّ عدداً غير قليل من المشتغلين بالعلوم الشرعية والآداب والعلوم العقلية قد أخذوا الكثير من علم التصوف، بل انخرطوا في سلوكه واشتهروا في ميدانه^(١)، وهذا يدل على السياسة التي اتبعتها السلطنة العثمانية آنذاك.

ومما سبق يمكن القول إنّ السلطنة العثمانية اهتمت بالعلوم الشرعية والتصوف اهتماماً كبيراً، وذلك من خلال إنشاء المدارس المخصصة لتدريس العلوم الشرعية والحديث والقرآن الكريم والزوايا والتكايا التي أسستها في الأراضي الخاضعة لها، يُضاف إلى ذلك اهتمامها باستقطاب أشهر العلماء المضطلعين بتلك العلوم من بلاد الشام ومصر والعراق وما وراء النهر؛ لأخذ العلوم عنهم، وإسناد أرفع المناصب الدينية في دار السلطنة لهم.

ب- اللغة العربية وآدابها:

على الرغم من عدم استعمال اللغة العربية لغةً رسمية للسلطنة العثمانية، إلا أنها لاقت اهتماماً كبيراً منذ القرون الأولى من إنشاء سلطنتهم، بدأ هذا الاهتمام مع إحاطة الغازي عثمان (٦٨٧-٧٢٦هـ/ ١٢٨٨-١٣٢٦م)^(٢) نفسه "بعلماء ومشايخ قبيلته الذين كانوا يهتمون بحفظ القرآن الكريم وتحفيظه، والمتقنين للغة العربية"^(٣)، ومع تولي الغازي أورخان (٧٢٤-٧٦١هـ/ ١٣٢٤ - ١٣٦٠م) الحكم خرج التعليم من المسجد إلى المدرسة إثر إنشائه أولى المدارس العثمانية في مدينة أزنك التي قرر فيها تدريس أمهات الكتب الشرعية باللغة العربية^(٤). بل "دُرست اللغة كمادة مستقلة فيها، وكان تدريسها على قسمين: النحو والصرف، واعتمد هذا النمط في كافة المدارس العثمانية"^(٥)، ومع هذا

(١)- مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، ص ٣٣٧.

(٢)- أول سلاطين بني عثمان وواضع أسس السلطنة التي سُميت باسمه، وهو الابن الأصغر لأرطغرل الغازي ابن سليمان شاه، ترأس الغازي عثمان وهو في (٢٣) من عمره عشيرة قابي إثر وفاة والده في العام ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م، وبسبب ما تمتع به من المروءة والأخلاق العالية رُشح لأن يكون زعيم قومه وعشيرته، فأسس السلطنة العثمانية وحارب البيزنطيين وسيطر على الكثير من مدينتهم؛ حتى توسعت رقعة السلطنة العثمانية من (٤.٨٠٠) كم إلى (١٦.٠٠٠) كم، وبقي يحارب البيزنطيين حتى وافاه أجله أمام مدينة بورصة في العام ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 5.

(٣)- حرب، محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط ٣، ٢٠١٢م، ص ٣١٤.

(٤)- حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٣١٥.

(٥)- حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٣١٦.

الاهتمام خرج العديد من الطلاب والعلماء العثمانيين المتقنين للغة العربية إلى جانب لغتهم الرسمية - اللغة العثمانية- وبرعوا وألفوا وصنفوا بها، ومما زاد إتقانهم لهذه اللغة رحلاتهم العلمية والدينية إلى البلاد العربية وخاصة إلى بلاد الشام مصر والحجاز^(١).

ومن أشهر العلماء العثمانيين الذين تعلموا اللغة العربية وصنفوا وألفوا بها، بل حازوا على شهرة واسعة في السلطنة العثمانية وأوروبا وحتى في العالم العربي وما تزال شهرتهم هذه مستمرة إلى يومنا المورخ "كاتب جلبي" الشهير بـ "حاجي خليفة" (ت ١٠٦٧هـ / ١٦٥٦م)^(٢) الذي أتقن اللغة العربية إلى جانب لغته العثمانية، وألف وصنّف بها، ومن آثاره التي تركها: "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" و"جهاناما" و"تحفة الكبار في أسفار البحار" و"فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار تاريخ ملوك آل عثمان"، وغيرها الكثير^(٣)، ولم يكن هذا حال حاجي خليفة فقط، إذ برع عدد كبير من العلماء العثمانيين باللغة العربية، وألفوا بها، ويشهد على ذلك العدد الهائل من المخطوطات العربية التي لا تزال محفوظة بمكتبات تركيا إلى اليوم.

ج- علم الطب:

اهتم العثمانيون بالعلوم الطبيّة منذ القرون الأولى للسلطنة العثمانية لمعالجة مرضاهم، إذ سعى سلاطين بني عثمان إلى أن تكون دور الشفاء في القمة من حيث التنظيم والتيسير، وهذا أمرٌ طبيعي لسلطنة كبرى تخوض المعارك والحروب على جميع الجبهات^(٤)، ونظراً للأهمية الكبيرة للطب بنى السلاطين العثمانيون العديد من المدارس الطبية ودور الشفاء، ومن أشهر هذه المدارس "دار طب" التي بناها السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥١٢م) في بورصة^(٥)، وخُصّصت لتدريس لتدريس العلوم الطبية^(٦).

(١)- أوغلي، صالح: الثقافة التركية في مصر، ص ١٦٠-١٦٦.

(٢)- مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة: وُلد في القسطنطينية "استانبول" ونشأ فيها، ولما ترعرع استخدم كاتباً في الأناضول (آسيا الصغرى) ثم انتقل إلى بغداد وارتقى في المناصب حتى أصبح من رؤساء الكتاب ثم عاد إلى استانبول، واشتغل بالعلم والتأليف حتى وافاه أجله. حاجي خليفة: فذلكة أقوال الأخيار، ص ١٧-٣٧.

(٣)- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: تحفة الكبار في أسفار البحار، تحقيق محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط ١، ٢٠١٧م، ص ٥-٦. حاجي خليفة: فذلكة أقوال، ص ١٧-٢٠.

(٤)- أوزوتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سليمان، مراجعة محمود الأنصاري، شركة الهلال للمساهمة، استانبول، د. ط، ١٩٩٠م، ج ٢، ص ٥٣٢.

(5)- Somel, selcuk aksin: The A to Z of the ottoman empire, the scarecrow press, America, 2010, p.p 177.

(6)- Ágoston , Gábor and Masters, Bruce :Encyclopedia of the Ottoman empire, Library Library of Congress, New York, 2009, p.p 359.

ومن المدارس الطبية أيضاً مدرسة الطب السلیمانیة التي بُنيت في عهد السلطان سلیمان القانوني (٩٢٦-٩٧٤هـ / ١٥٢٠-١٥٦٦م) أواخر القرن السادس عشر^(١)، وكان هدفها تدريب المؤهلين الذين سيعهد إليهم بإدارة المؤسسات الطبية في السلطنة العثمانية، ويمكن توظيفهم في البلاط الإمبراطوري أو كمحاضرين في كليات السلطنة^(٢)، واعتمد في هذه المدارس تدريس الكتب الأصلية في الطب، كمؤلفات: ابن سینا (ت ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م)^(٣) والرازي (ت ٣١٣هـ / ٩٢٥م)^(٤) وأبي القاسم الزهراوي (ت ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م)^(٥)، وقد قام العلماء العثمانيون بترجمة كتب كثيرة، كما ألفوا عدداً كبيراً من المؤلفات الطبية التي اختصت في العلوم الطبية والأمراض المنتشرة خلال تلك المرحلة وبيان طرق معالجتها^(٦).

د - علم الرياضيات:

على الرغم من التعصب الشديد لدى بعض العلماء العثمانيين للعلوم الشرعية، والنظر إلى كل ما خرج عنها أنها علوم تتعارض مع الدين، إلا أنّ العلماء في المدارس العثمانية أيدوا رأي أبي حامد الغزالي النيسابوري الطوسي (ت ٥٠٥هـ / ١١١١م)^(٧) الذي ذكر: "أن رفض المنطق والرياضيات لا معنى له طالما أنها تتضمن العناصر الأساسية لكل العلوم وتدريب العقل على التفكير السليم، وتساعد على إدراك الحقائق السامية"^(٨)، لذلك فقد برع الطلاب العثمانيون بعلم الرياضيات "العلوم

(1)- Somel: *The A to Z of the ottoman empire*, p.p 177.

(2)- Ágoston and Masters: *Encyclopedia of the Ottoman empire*, p.p 358.

(٣)- الحسين بن عبد الله بن سینا: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعات، وُلد في إحدى قرى بخارى، ونشأ وتعلم فيها، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همدان، وثار عليه عسكراها ونهبوا بيته فتواری، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، ومن أشهرها: القانون في الطب، وعاد أواخر أيامه إلى همدان، فمرض في الطريق، ومات بها. الزركلي: *الأعلام*، ج ٢، ص ٢٤١.

(٤)- محمد بن زكريا الرازي: طبيب حكيم كيماوي. ولد بالري ونشأ بها، ثم اشتغل بعلم الإكسير، وسافر إلى بغداد، واشتغل بالعلوم العقلية والأدبية، واشتهر بالطب، وله تصانيف كثيرة فيه، منها: الحاوي في صناعة الطب. كحالة، عمر رضا: *معجم المؤلفين تراجم مصنفی الكتب العربية*، ١٥ جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج ١٠، ص ٦-٧.

(٥)- أبو القاسم الزهراوي: ولد في الزهراء (قرب قرطبة) وإليها نسبته، ويعد أشهر من ألف في الجراحة عند العرب، وأول من استعمل ربط الشريان لمنع النزيف، أشهر كتبه: (التصريف لمن عجز عن التأليف)، وله (تفسير الأكيال والأوزان) وغيرها الكثير. الزركلي: *الأعلام*، ج ٢، ص ٣١٠.

(٦)- مجموعة مؤلفين: *الدولة العثمانية تاريخ وحضارة*، ج ٢، ص ٦٢٤-٦٢٩.

(٧)- محمد بن محمد الغزالي الطوسي: أبو حامد، حجة الإسلام فيلسوف ومتصوف، ولد في الطابران (قصبه طوس، بخراسان) ونشأ فيها ثم رحل إلى نيسابور، ثم إلى بغداد، فالحجاز، فبلاد الشام، فمصر، وعاد إلى بلده فتوفى فيها، وله نحو مئتا مصنف. ابن العماد الحنبلي: *شذرات الذهب*، مج ٤، ص ١٠.

(٨)- إينالجيک: *تاريخ الدولة العثمانية*، ج ٢، ص ٢٦٧.

الرياضية" منذ القرون الأولى لعهدهم، وخاصة في القرن السادس عشر الذي أُطلق عليه "العصر الذهبي لعلم الرياضيات في السلطنة العثمانية"^(١)، ويشهد على اهتمام العثمانيين بهذا العلم تميزهم بصنع المدافع العثمانية، ويُذكر أنَّ الجبر الذي دُرِسَ في مدارس السلطان محمد الفاتح أخذ كما هو ودُرِسَ في أواخر القرن الخامس عشر في بعض الجامعات الأوروبية كجامعة البندقية، وجامعة فلورنسا، وجامعة بولونيا^(٢).

وقد برع في علم الرياضيات عددٌ كبيرٌ من العلماء العثمانيين، منهم: موسى باشا المشهور بلقب قاضي زاده (ت ٨٤٠هـ / ١٤٣٦م)^(٣) الذي كانت تعليقاته على إقليدس (نحو ٣٦٥-٣٠٠ ق.م)^(٤) والجغميني (ت ٦١٨هـ / ١٢٢١م)^(٥) تدرس في المدارس العثمانية حتى أواخر السلطنة العثمانية، وقد طبعت أيضاً، واشتهر منهم لطف الله التوقاتي المشهور بـ "المنلا لطفي" (ت ٩٠٤هـ / ١٤٩٩م)^(٦) الذي الذي يُعدّ من ألمع علماء الرياضيات في عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤١٣-١٤٢٥م) وعهد السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥١٢م) إذ عُين في مدرسة مدينة بروسه، ومدرسة دار الحديث بأدرنه، ثم أعطاه السلطان إحدى المدارس الثمانية وبقي فيها حتى وفاته، كما برع الكثير من العلماء العثمانيين في هذا المجال وصنفوا واشتهروا به^(٧).

(1)- Aslan, irem: **16th century mathematics general features**, yayinlanan makale, Ankara University, Ankara, tarih yok, s.s 1.

(٢)- أوزوتونا: **تاريخ الدولة العثمانية**، ج ٢، ص ٥٣٥.

(٣)- قاضي زاده: عالم فلكي ورياضي اشتهر في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، ولد في بروسه وفيها تلقى تعليمه الأساسي، ولما بلغ أشده سافر إلى خراسان وما وراء النهر؛ للاتصال بكبار علماء الرياضيات والفلك في العالم، وأنشأ مرصد سمرقند بناءً على طلب حاكمها، وبعد الانتهاء من المرصد أسندت إدارته إليه، فكان يلقي فيه المحاضرات العامة، وبقي يدرس ويصنف حتى قتل إثر معارضته بعض المنجمين. زناتي، أندر محمود: **موسوعة تاريخ العالم تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر**، دن، دم، د.ط، ٢٠٠٧م، ج ٢، ص ٢٩.

(٤)- إقليدس: عالم يوناني اشتهر بعلوم الرياضيات عامة والهندسة بشكل خاص، لذلك أُطلق عليه "أبو الهندسة".

مجموعة مؤلفين: **الموسوعة العربية**، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م، مج ٣، ص ٩١.

(٥)- محمود بن محمد بن عمر الجغميني الخوارزمي: عالم بالفلك والحساب، نسبته إلى جغمين (من أعمال خوارزم)، خوارزم)، من كتبه (الملخص) في علم الهيئة. البغدادي: **هدية العارفين**، ج ٢، ص ٤١٠.

(٦)- لطف الله التوقاتي: ولد بتوقاد (شمال آسيا الصغرى) ونشأ فيها وتلقاه باللغة العربية وآدابها حتى أقامه السلطان الفاتح أميناً على خزانة الكتب في قصره، فتابع تحصيله العلمي، ثم انتقل إلى بروسه وانكب على التصنيف، فألف "المطالب الإلهية" و"السبع الشداد" و"مراتب الوجود" و"مباحث البرهان" وغيرها الكثير. الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ٣٠٢.

(٧)- طاشكيري زاده: **الشقائق النعمانية**، ص ١٦٩.

هـ - الهندسة المعمارية:

تُسمى عند العثمانيين: "حمى الإعمار العثماني"، ولقد اهتم العثمانيون بالعمارة اهتماماً كبيراً، ويظهر هذا الاهتمام واضحاً من خلال روائع المنشآت المعمارية التي بناها العثمانيون في استانبول والولايات العربية العثمانية من مساجد وجوامع وقصور ومدارس، وغيرها من المنشآت التي لا يزال بعضها قائماً إلى اليوم، إذ تأثر الفن المعماري العثماني بالتقاليد السلجوقية منذ بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، كما تأثر بالفن الإسلامي بعدّها دولة إسلامية، وبالفن البيزنطي والإيطالي والسوري والفارسي وحتى الصيني^(١).

فظهر عدد كبير من المهندسين المعماريين الذين تأثروا بالفنون السابقة، وطوروها لإبراز طابعهم الخاص، ومن أشهرهم: المعماري سنان باشا (ت ٩٩٦هـ / ١٥٨٨م)^(٢)، الذي زار جميع الأقطار من بلاد فارس إلى المجر، ودقق الآثار العمرانية منذ العصور الغابرة إلى عصره، ثم بنى عدداً كبيراً من القصور والمدارس والمساجد التي تميزت بـ: الجمال، والدقة، والإبداع^(٣)، "إذ عمل مدة (٤٩) عاماً في مجال الهندسة المعمارية، فشيّد (٣٦) قصراً، و(٨) جسور، و(٨١) مسجداً وغيرها الكثير، ولم تقتصر أعماله على العاصمة استانبول، بل امتدت لتشمل أنحاء واسعة من أراضي السلطنة العثمانية^(٤)".

و - علم الفلك والتنجيم:

اهتم العثمانيون بعلم الفلك والتنجيم أكثر من اهتمامهم بالعلوم الأخرى، إذ لم يكن علم الفلك علماً جديداً في عهد السلطان محمد الفاتح (٨٥٥-٨٨٦هـ / ١٤١٣-١٤٢٥م) لأن العثمانيين اقتبسوا من العصور الإسلامية السابقة هذا المجال وألفوا وصنفوا فيه، إلا أنه في عهد الفاتح ازدادت التراجم والمؤلفات الفلكية، وبلغت ذروتها في عهد السلطان بايزيد الثاني (٨٨٦-٩١٨هـ / ١٤٨١-١٥١٢م)،

(١) - مانتزان، روبير: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، جزءان، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط١، ١٩٩٣م، ج٢، ص ٣٥١-٣٥٦.

(٢) - المعماري سنان باشا: ولد عام ١٤٩٥م في مدينة قيصري، وعمل في تشييد الآثار المعمارية كالجوامع والخانات والحمامات ومياه السبل، وقام بجولات عديدة في بلاد فارس والأقطار العربية، ودقق في آثارها المعمارية التي بنيت فيها، وترقى إلى منصب نقيب المعماريين وهو في الرابعة والأربعين من عمره، وشيّد مساجد رائعة من حيث البناء. البجورنج: بصمات في التاريخ العثماني، ص ٩٥-٩٦-٩٧، ١٠٢.

(٣) - أوزوتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ج٢، ص ٥٣٨-٥٣٩.

(٤) - سليمان، صبحي ومروان، أحمد: مشاهير الفن المعماري، دار الكتب المصرية - وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م، ص ٢٠.

والسلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م)^(١) وامتد الاهتمام بعلم الفلك ليشمل كافة الأراضي التابعة للعثمانيين، ومما يدل على اهتمام سلاطين بني عثمان بهذا العلم إكرامهم علماء الفلك القادمين من بلاد ما وراء النهر وبلاد الشام وتولييتهم المناصب العليا في دار السلطنة.

ومن بين الفلكيين الذين اشتهروا في دار السلطنة الفلكي علاء الدين علي بن محمد القوشجي (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤م) الذي قدم من سمرقند (في أوزبكستان آسيا الوسطى) إلى دار السلطنة "فاستقبله العلماء وعينه الفاتح مدرساً في إحدى مدارس استانبول، وعين له كل يوم مئتي درهم وعين لكل من أولاده منصباً"^(٢)، والفلكي تقي الدين الشامي (ت ٩٩٣هـ / ١٥٨٥م) الذي انتقل مع والده إلى استانبول، وعين في منصب منجم باشي (رئيس المنجمين) نظراً لبراعته في العلوم الفلكية^(٣).

كما أسست هيئات علمية عثمانية عدة في علم الفلك، أشهرها: منصب رئاسة المنجمين (منجم باشي)، وهي الهيئة التي كانت تتولى رئاسة الفلك والتنجيم عند العثمانيين، ودور التوقيت (موقتخانه) التي خصصت لتعيين الأوقات وبخاصة أوقات الصلاة، ومرصد اسطنبول (اسطنبول رصدخانه سي) الذي أقامه الراصد تقي الدين الشامي في عهد السلطان مراد الثالث (٩٨٢-١٠٠٦هـ / ١٥٧٤-١٥٩٥م)^(٤).

يُضاف إلى هذه العلوم اهتمام العثمانيين اهتماماً كبيراً بعلمي الجغرافية والتاريخ، حتى فاقوا الفارسيين في هذه المجالات، وعلى الرغم من أنهم لم يتوصلوا في التاريخ إلى مستوى العرب، لكنه من الممكن عدّهم في المجال الجغرافي على مستوى واحد مع العرب، كما برعوا بالرسم والموسيقى، وغيرها من الفنون الأخرى^(٥)، ومن خلال تتبع كتب التراجم التي ذكرت علماء السلطنة العثمانية ككتاب المؤرخ طاشكبري زاده "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية"^(٦) مثلاً الذي أورد تراجم تراجم كبار علماء السلطنة العثمانية - منذ بداية تأسيس السلطنة حتى عهد السلطان سليمان القانوني

(١)- تاسع سلاطين بني عثمان، تولى العرش إثر وفاة والده السلطان بايزيد الثاني (ت ٩١٨هـ / ١٥١٢م)، وقد اهتم بتمرد إخوته لإبعادهم عن السلطة، ثم افتتح بلاد فارس إثر انتصاره في معركة تشالديران (٩٢٠هـ / ١٥١٤م) ثم افتتح بلاد الشام ومصر بعد معركة مرج دابق (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) والريدانية (٩٢٣هـ / ١٥١٧م)، ففضى بذلك على السلطنة المملوكية (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٦٠-١٥١٧م).

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 21.

(2)- Unat, yavuz: **Development of Astronomy in ottoman**, yayinlanan makale, Kastamonu University, Ankara, 2012, s.s 1-2.

(3)- Unat: **Development of Astronomy in ottoman**, s.s 3.

(٤)- مجموعة مؤلفين: **الدولة العثمانية تاريخ وحضارة**، ج ٢، ص ٤٩٠، ٤٩٢، ٤٩٣.

(٥)- أوزوتونا: **تاريخ الدولة العثمانية**، ج ٢، ص ٥٥٣، ٥٤٩، ٥٤٥، ٥٢٨.

(٦)- طاشكبري زاده: **الشقائق النعمانية**، ص ١-٥٠٣.

(٩٢٦-٩٧٤هـ/١٥٢٠-١٥٦٦م) - وأهم العلوم التي درسوها من: شرعية، وصوفية، وطبيعية، وتطبيقية ... إلخ، والجدير بالذكر أن مُسميات العلوم في الجدول وضعت حسب ما ورد في كتاب الشقائق النعمانية، حيث درس بعض العثمانيين العلوم الشرعية والعقلية معاً، ودرس البعض منهم العلوم الشرعية أو الصوفية، أما البعض الآخر منهم فقد درس العلوم العقلية عامةً، والبعض منهم اختص بعلم معين من العلوم العقلية "كعلم الرياضيات، أو الطب، أو علم الفلك والتنجيم"، ودرس بعض العثمانيين اللغة العربية وآدابها، والجدول الآتي يوضح نسب العلوم المُدرسة في السلطنة العثمانية:

❖ الجدول رقم (١) نسبة العلوم المُدرسة في السلطنة العثمانية بالنسبة إلى العدد الإجمالي للمتعلمين:

العلوم المُدرسة في السلطنة العثمانية	العدد	النسبة المئوية %
العلوم الشرعية والعقلية	١٧٢	٣٧.٢٢
العلوم الشرعية	٨١	١٧.٥٣
العلوم الصوفية	٨٧	١٨.٨٣
العلوم العقلية	٦٧	١٤.٥
علم الرياضيات	١٦	٣.٤٦
علم الطب	١٦	٣.٤٦
اللغة العربية وآدابها	١٨	٣.٨٩
علم الفلك والتنجيم	٥	١.٠٨
المجموع	٤٦٢	١٠٠

نستنتج - من خلال الجدول رقم (١) - نسبة العلوم المُدرسة في السلطنة العثمانية منذ نشأتها إلى نهاية القرن السادس عشر، وهذه النسب المذكورة تبين مدى سعي طلاب العلم العثمانيين إلى طلب العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها، مع تعصُّب بعض علماء السلطنة للعلوم الشرعية، فعلى الرغم من ضعف نسبة العثمانيين الذين أتقنوا العلوم العقلية مقارنةً بالعلوم الشرعية والصوفية، إلا أن السلطنة العثمانية سعت منذ نشأتها إلى استقطاب كبار العلماء المتقنين للعلوم الطبيعية والتطبيقية من بلاد ما وراء النهر والعراق وبلاد الشام ومصر، ودليل ذلك التراجم التي ذكرتها "الشقائق النعمانية"، إذ بلغت نسبتهم حوالي ٣٥.٨%، وهذا ينفي ما أكدته بعض المصادر من إهمال السلطنة العثمانية العلوم الطبيعية والتطبيقية، واقتصار العلم فيها على العلوم الشرعية فقط. وهنا لا بد من التأكيد على أن هذه النسبة لم يتم تحقيقها في الولايات العربية، ومنها مصر وبلاد الشام، إضافة إلى ذلك فقد لجأت السلطنة إلى استقطاب العلماء من

كل أصقاعها وبشكل مستمر، خاصةً وأن مستوى التعليم في دار السلطنة كان أكثر تطوراً منه في الولايات العربية، مما منع المنطقة العربية من عملية التراكم المعرفي خلال العصر العثماني، وكان لذلك أثره العميق في المجتمع العربي.

ثالثاً: العوامل التي ساهمت في التبادل العلمي بين مصر وبلاد الشام:

من الصعب الفصل بين العوامل: الجغرافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية، بين مصر وبلاد الشام في ظل الحكم العثماني؛ لارتباطهما الوثيق ببعضهما البعض؛ إذ ساهمت هذه العوامل في تقوية العلاقات بين مصر وبلاد الشام إلى حد كبير.

١ - العوامل الجغرافية:

كان للعوامل الجغرافية التي ربطت مصر ببلاد الشام منذ القدم بطرق برية وبحرية مهمة أثر كبير في استمرارية العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وقد أدى هذا الارتباط إلى زيادة الصلة بين الولايتين، ولذلك أدى إلى تشابه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية بينهما، حيث تشغل مصر ما يقارب مليون كيلو متر مربع من الركن الشمالي من قارة أفريقيا، ويحيط بها من الشمال البحر المتوسط، ومن الشرق فلسطين - حدودها البرية والبحرية مع بلاد الشام - والبحر الأحمر، ومن الجنوب السودان، ومن الغرب طرابلس الغرب (ليبيا)، أما بلاد الشام فهي تقع في الشمال من شبه الجزيرة العربية، وتمتد من جبال طوروس شمالاً إلى الحجاز جنوباً، ومن وادي العرق شرقاً إلى البحر المتوسط غرباً، وتشغل ما يقارب (٣١٧) ألف كيلو متر مربع^(١).

وعليه فإن ارتباط موقع مصر ببلاد الشام بطرق برية وبحرية له أهميته، حيث يسر على التجار وطلاب العلم الانتقال منذ القدم عبر هذه الطرق إلى البلد الآخر، وخاصة الطريق البحري الذي فاق في أهميته طريق القوافل، فكانت الأعمال التجارية بين مصر وبلاد الشام تُنقل عن طريق البحر عبر الموانئ الرئيسة لبلاد الشام إلى موانئ مصر والعكس صحيح، أما طلاب العلم الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام ومن بلاد الشام إلى مصر، فقد سلكوا الطريقين البري والبحري للوصول إلى الولاية الأخرى^(٢)، وقد أدى الارتباط الجغرافي بين مصر وبلاد الشام إلى استمرار التواصل بينهما سياسياً وعسكرياً وتجارياً وفكرياً منذ أقدم العصور إلى اليوم.

(١) - مجموعة مؤلفين: جغرافية البلاد العربية، مكتبة العلوم والآداب للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٤٩م، ص ١٥-٣٠.

(٢) - الغزي: الكواكب السائرة، ج١، ص ٦١-٦٢.

٢ - العوامل السياسية:

ارتبطت مصر ببلاد الشام بظروف سياسية واحدة؛ نتيجة لخضوعهما لحكم واحد، مما أدى إلى انعكاس الأحداث التي مرّت بها مصر على بلاد الشام والعكس صحيح، فمثلاً حينما راجت بعض الشائعات عن هزيمة قوات السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م) في مصر، فإن أهالي بلاد الشام استغلوا هذه الشائعات وثاروا ضد العثمانيين في كل من صدد ودمشق، مما اضطر السلطات العثمانية في دمشق (٩٢٣هـ / ١٥١٧م) أن تذكر في بلاغاتها الرسمية إشادتها بالعناصر المملوكية التي تعاونت معها، وتتكيلها بالعناصر الشعبية التي وقفت ضدها وساعدت الجيش المملوكي، وفي هذا تذكير لعوام دمشق بوجوب الخضوع للعثمانيين وتشجيع الموالين للعثمانيين^(١).

كما كان لإعلان نبأ القبض على السلطان طومان باي (٩٢٢-٩٢٣هـ / ١٥١٦-١٥١٧م)^(٢) أثر كبير على تعاظم نفوذ العثمانيين في بلاد الشام وتوطيد سلطتهم، ما جعلهم يتخذون إجراءات كثيرة لإدخال تنظيمات جديدة كـ: تخفيض سعر العملة العثمانية بمقدار النصف، واتخاذ إجراءات أمن مشددة لإرهاب الأهالي، وضبط الممتلكات، والتفتيش على المستندات المتعلقة؛ لمعرفة المزورة منها وتدقيق مستندات الأوقاف^(٣) وبذلك استُغلت انتصارات العثمانيين في مصر؛ لإدخال كثير من التنظيمات في بلاد الشام.

والحق أن الإجراءات العثمانية التي تمت في بداية الحكم العثماني في كل من مصر وبلاد الشام لم تعطِ النتائج الإيجابية المتوخاة، لأن الهدف الأساسي منها في تلك المرحلة هو تسيير الأمور مؤقتاً، لذلك اهتمت بالمقام الأول بالشؤون المالية وفرض الضرائب، وهو الأمر الذي كان يهم العثمانيين بالدرجة الأولى، وهذا بدوره أدى إلى زيادة التذمر وإشاعته بين الناس وتناقله بين

(١) - رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦-١٧٩٨م، د.ن، دمشق، ط ٢، ١٩٦٨م، ص ١٠٧.

(٢) - السلطان طومان باي: آخر سلاطين المماليك (الأشرف أبو النصر طومان باي) الذي حكم بعد السلطان قانصوه الغوري، إلا أنه لم يبقَ كثيراً في الحكم، حيث شُنق على باب زويلة في القاهرة، وانتهت بذلك السلطنة المملوكية. مأمون، جيهان ممدوح: دولة سلاطين المماليك في مصر، تقديم قاسم عبده قاسم، سلسلة عصور مصرية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٢٨.

(٣) - رافق: بلاد الشام ومصر، ص ١٠٩-١١٢.

الولايات بشكل عام وليس فقط بين مصر وبلاد الشام^(١)، واعتماداً على ما ذكرته المصادر المعاصرة أنه حينما حدثت أول انتفاضة ضد الحكم العثماني في بلاد الشام بزعامة جان بردي الغزالي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)^(٢) الذي عمل على إلغاء التنظيمات العثمانية بالتدرج لمحاولة كسب ود الأهالي، حدث اتصال بين والي الشام وخاير بك (ت ٩٢٨هـ/١٥٢٢م)^(٣) للتعاون فيما بينهما ضد الحكم العثماني، لكن خاير بك رفض التعاون مع الغزالي ضد العثمانيين وأظهر ولاءه لهم^(٤).

وهكذا فإن أول فتنة ضد الحكم العثماني توضح التعاون بين مصر وبلاد الشام من أجل إعادتهما إلى الحوزة المملوكية الخالصة مرة ثانية، ولو قدر لهذا التعاون أن يتم لربما تغير تاريخ المنطقة، ولكن إلغاء الخطة التي رسمها الغزالي أدى إلى فشل الثورة المملوكية ضد النظام العثماني، وعلى الرغم من موقف خاير بك العدائي من ثورة الغزالي، فإن ذلك لم يمنع من وجود عناصر مملوكية في مصر وصلها نبأ الثورة وتمردت على السلطة العثمانية في مصر، ولأدت

(١) - عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم: القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨م) بحوث في التاريخ الحديث بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ١٧١.

(٢) - جان بردي الغزالي: أحد القادة المماليك الذين شاركوا السلطان الغوري في معركة مرج دابق ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م ضد السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م)، وأوكلت إليه قيادة ميمنة جيشه في معركة مرج دابق، وقاتل وجادل، وظل الغزالي محافظاً على ولاءه للمماليك بعد الواقعة، وقاتل العثمانيين في كل المواجهات العسكرية التي دارت بين الطرفين إلى أن تمكن السلطان سليم (٩١٨-٩٢٦هـ/ ١٥١٢-١٥٢٠م) من امتلاك القاهرة، فعندها قدم الغزالي ولاءه وأعلن خضوعه للعثمانيين، ولما عرف السلطان سليم خبرته الإدارية والعسكرية عينه والياً على بلاد الشام قبيل عودته إلى استانبول، وأعلن الغزالي تمرده على السلطنة العثمانية ونادى بنفسه سلطاناً على بلاد الشام بعد وفاة السلطان سليم في العام ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م، فما كان من الحكومة العثمانية إلا أن أرسلت الوزير فرهاد باشا الذي تمكن من القضاء على حركة الغزالي، وأرسل رأسه إلى استانبول في العام ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م. ابن طولون، محمد شمس الدين: إعلام الوري بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٢٧٤-٢٥٣.

(٣) - خاير بك: أحد أمراء المماليك الجراكسة، كانت بدايته عندما قدمه والده إلى السلطان الأشرف قايتباي (٩٠١-٩٠٤هـ/ ١٤٩٦-١٤٩٨م)، فتدرج في المناصب الحربية حتى وصل إلى رتبة حاجب الحجاب في عهد السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م) الذي عينه نائباً على حلب في العام ٩٠١هـ/ ١٥٠٤م واستمر بهذا المنصب حتى انهيار السلطنة المملوكية، ثم عين والياً على مصر تحت الحكم العثماني. التونجي، محمد: بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٩٦.

(٤) - رافق: بلاد الشام ومصر، ص ١٢٢.

بالفرار إلى بلاد الشام، وانضمت إلى جانب الغزالي، أي أن رد الفعل إزاء ثورة الغزالي في مصر كان قوياً، حتى إن المماليك كانوا ينتظرون هجوم الغزالي على مصر ليعلنوا ثورتهم^(١).

لكن السلطات العثمانية تمكنت من القضاء على هذه الثورات، وتثبيت دعائمها في مصر وبلاد الشام، وساد الهدوء الولايتين - حتى الربع الأخير من القرن السادس عشر - وانعكس أثر ذلك كما يتضح من استقرار تاريخ الولايتين على العلاقات السياسية بينهما، وقد أتاح هذا الهدوء الفرصة للولاة أن يقوموا ببعض المشاريع الخيرية، وأن يؤمّنوا طرق الاتصال بين الولايتين، واستمر الأمر كذلك حتى انتهاء مرحلة الهدوء إثر بدء تمردات العسكر في الولايتين ضد الحكم العثماني، والهجوم على خزنة مصر المرسلة إلى استانبول في العام ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م في منطقة عكار (في لبنان)^(٢).

وفي المرحلة التي كانت تشهد تمردات السباهية^(٣) في مصر في مطلع القرن السابع عشر شهدت منطقة حلب في بلاد الشام تمردات أفراد أسرة آل جانبولاد^(٤)، وبخاصة تمرد علي باشا جانبولاد (١٠١٥-١٠١٧هـ / ١٦٠٥-١٦٠٧م) الذي تمكن من الاستيلاء على ولاية حلب قهراً،

(١) - رافق: بلاد الشام ومصر، ص ١٢٣-١٢٤.

(٢) - رافق: بلاد الشام ومصر، ص ١٩٥.

(٣) - السباهية: الخيالة والفرسان في الجيش العثماني، واصطلاح على استعماله للدلالة على الخيالة صاحب الأرض الميري الذي يشترك في الحرب مع أفراد من الذين كلفوا بإحضارهم للحرب. صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٣٢.

(٤) - أسرة آل جانبولاد: كانت هذه الأسرة تقيم في أرجاء كلس وحلب، وكان جانبولاد أو جانبولاط كما عُرف فيما بعد أمير أكراد حلب وزعيم طائفة الموحدين الدروز في شمالي سورية، وقد ناصر الجنبلاطيون بقيادة قاسم جنبلاط السلطان العثماني سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ / ١٥١٢-١٥٢٠م) في معركة مرج دابق ٩٢٢هـ / ١٥١٦م، كما ووقف جانبلاط إلى جانب العثمانيين في حروبهم في كل من بلغراد ورودرس، فتولى سنجق المعركة كمكافأة له، كما جعل أكراد حلب بيده، وتولى حسين جنبلاط ولاية حلب خلال المدة (١٠١٠-١٠١٤هـ / ١٦٠١-١٦٠٥م) فقتله العثمانيون، فثار ابن أخيه علي بن أحمد عليهم واستولى على ولاية حلب حتى العام ١٠١٩هـ / ١٦١١م، غير أن العثمانيين تغلبوا عليه، فاضطر النزوح إلى لبنان مع أسرته، وأقاموا بحمي المعنيين الذين أنزلوهم في مزرعة الشوف بجبل لبنان، ومنحهم لقب المشايخ، وما لبثوا أن نقلوا مركز زعامتهم إلى قرية المختارة، وأصبحوا من أكثر الأسر الإقطاعية ثروة وجاهاً، وقد امتد إقطاعهم إلى: بعقلين، وإقليم الخروب، وإقليم التفاح، وجبل الريحان، وجزين، والبقاع الغربي. البعيني، حسن أمين: دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠ - ١٩٤٣ دراسة في تاريخهم السياسي، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م، ٣٥-٣٨. قرألي، بولس: علي باشا جنبلاط والي حلب ١٦٠٥ - ١٦١١م، منشورات دار المكشوف، بيروت، د.ط، ١٩٣٩م، ص ١١-٢٥.

وكون جيشاً كبيراً، فكلف السلطان العثماني والي مصر بإرسال قوات من طرفه؛ للمشاركة في القضاء على هذا التمرد الذي وقع في بلاد الشام ضد الحكم العثماني، وفعلاً توجهت القوات من مصر وشاركت في القضاء على الفتنة المحلية، ثم تكرر إرسال مثل هذه القوات من مصر إلى بلاد الشام للقضاء على الفتن التي كانت من جانب الأمراء المحليين أو البدو ضد الحكم العثماني حتى القضاء على نفوذ أسرة آل العظم^(١) في الربع الأخير من القرن الثامن عشر، إذ تم ذلك بناءً على تدخل من جانب أمراء الجند المماليك -الذين حكموا مصر باسم السلطان العثماني- في مصر^(٢).

ومما يؤكد ارتباط أحداث تاريخ الولايتين السياسي أن أول غزو أجنبي في العصر الحديث على المنطقة (الحملة الفرنسية) كان يستهدف الولايتين معاً، حيث تمت مقاومة هذا الغزو من جانب الشعبين المصري والشامي مقاومة عنيفة^(٣)، وهكذا نرى أن علاقة مصر ببلاد الشام من الناحية السياسية لم تنقطع بانتهاء السلطنة المملوكية التي سيطرت على الولايتين، بل استمرت العلاقات السياسية بين مصر وبلاد الشام كما كانت عبر التاريخ استمراراً كبيراً في ظل الحكم العثماني أي منذ القرن السادس عشر وحتى نهاية السلطنة، مما ساعد في تعزيز العلاقات العلمية بين الولايتين.

٣ - العوامل الاقتصادية:

أسهمت العوامل الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام في القرن السادس عشر بدور مميز، من خلال عمليات التبادل التي جرت بينهما، حيث كانت مصر في العصر العثماني بمثابة

(١) - أسرة آل العظم: اختلف الإخباريون حول أصول آل العظم، فمن قائل إنهم من قونية، ومن قائل إنهم من قبيلة بني عزم العربية في حوران، والثابت أن جد الأسرة في بلاد الشام كان جندياً من معرة النعمان (جنوب إدلب)، وقد قُتل في المعارك التي دارت مع التركمان الذين هاجموا المعرة، وولد له في المعرة إسماعيل، الذي كان أول من عين من آل العظم والياً في بلاد الشام، في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري/ القرن الثامن عشر الميلادي، وفي عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م وعُين أخاه سليمان باشا على ولاية صيدا، وعين ابنه إبراهيم بن إسماعيل على ولاية طرابلس، وهكذا أصبحت الولايات الثلاث: الشام وطرابلس وصيدا، في أيدي الولاة من آل العظم، وخضعت لهم بالتالي جميع أنحاء فلسطين. ياغي، أحمد إسماعيل: **العالم العربي في التاريخ الحديث**، العبيكان للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م، ص ١٠٣-١٠٥.

(٢) - رافق: **بلاد الشام ومصر**، ص ١٩٦-١٩٧.

(٣) - رافق: **بلاد الشام ومصر**، ص ١٩٩-٢١٧.

المحور الرئيس الذي تتم عن طريقه العمليات التجارية بين الولايات العربية في المشرق والمغرب، فمنها تخرج القوافل المُحملة بالبضائع إلى هذه الولايات، وإليها تعود هذه القوافل محملة بمنتجات الولايات المختلفة، وقد كان لموقع مصر الاستراتيجي في قلب الوطن العربي وارتباطه مع بلاد الشام أثره في البحر المتوسط الذي يربطهما مع السلطنة العثمانية والدول الأوروبية، مما جعل كلاً من مصر وبلاد الشام سوقين اقتصاديين مفتوحين لممارسة النشاط التجاري بين بلدان المشرق والمغرب عامة، وبين بعضهما مع بعض خاصة^(١).

فقد قدر لعدد كبير من الشوام^(٢) أن يعملوا بالتجارة سواء أكان العمل داخل مصر أم ما بين مصر وبلاد الشام، فبرز تجار بلاد الشام على مسرح السوق التجارية في مصر وشاركوا في بيع السلع والمنتجات القادمة عن طريق البحر الأحمر والمتوسط، وسعى بعضهم إلى تكوين شركات تجارية خاصة بالتجارة بهذه السلع، يضاف إلى ذلك متاجرتهم بهذه السلع لحسابهم الخاص، سواء أكان على مستوى صغير أم على مستوى كبير، كما سعى بعضهم الآخر إلى تكوين شركات للتجارة، وبخاصة تجارة الأقمشة والمنسوجات والحرير وحتى تجارة الجلود^(٣).

إذ كان النشاط التجاري بين مصر وبلاد الشام يتم عبر طريقين رسميين، هما: "الطريق البحري والطريق البري، ويقصد بالأول انتقال المرتحلين بين البلدين عبر البحر المتوسط، أما الثاني فهو طريق القوافل الذي يجتاز الأراضي الزراعية والصحراوية المصرية إلى الأراضي الشامية^(٤)"، غير أن الطريق البحري فاق في أهميته طريق القوافل لسهولة وسرعته، فكانت الأعمال التجارية بين مصر وبلاد الشام تُنقل عن طريق البحر عبر الموانئ الرئيسة لبلاد الشام: (اللاذقية - بيروت - يافا - عكا) إلى موانئ مصر: (دمياط - الإسكندرية - رشيد) والعكس

(١)- هويدي، صلاح أحمد: الجاليات في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني (٩٢٣-١٢١٣هـ/ ١٥١٧-١٧٩٨م) دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ص١٦٥.

(٢)- الشوام: استخدم لفظ الشوام تاريخياً للإشارة إلى سكان بلاد الشام، واستخدمه المصريون للتفريق بين الوافدين من بلاد الشام "الشوام" وبين الوافدين من المغرب العربي "المغاربة". مجموعة مؤلفين: المدن العربية الكوسموبوليتية بين ١٨٧٠-١٩٣٠، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م، ص٩٧.

(٣)- هويدي: الجاليات في مدينة الإسكندرية، ص١٦٥-١٦٦.

(٤)- حنفي، سحر علي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م، ص٢٩.

صحيح، ولم تمثل التجارة بين مصر وبلاد الشام عبر طريق القوافل سوى (٢٠%) من الحركة التجارية بينهما^(١).

ونظراً لأهمية الطريق البحري بين مصر وبلاد الشام، فقد وفد عدد كبير من تجار بلاد الشام إلى أهم المراكز التجارية عبر البحر في مصر: (القاهرة - الإسكندرية - دمياط...) ^(٢) لبيع بضائعهم أو الاستقرار فيها، وكان من أشهر التجار الذين انتقلوا إلى القاهرة: التاجر أحمد إسماعيل أبو طاقية الحمصي الذي انتقل أواخر القرن السادس عشر وأوائل السابع عشر مع عائلته لممارسة الأعمال التجارية في القاهرة، حيث كانت التجارة دائماً مهنة الميسورين والأحسن حالاً من غيرهم من أفراد المجتمع، كالصناع والحرفيين سواء أكانوا في مدن بلاد الشام أم مصر، ولم يكن أبو طاقية فريداً في هذا المجال إذ انتشرت ظاهرة انتقال التجار من بلاد الشام إلى مصر، هؤلاء الذين ترددوا على مصر بتجارته قبل أن يقرروا الاستقرار فيها بصفة دائمة^(٣).

وكان للإسكندرية الشأن نفسه من حيث وفود التجار الشوام إليها، فقد عملوا في تجارة القمح والدقيق والمواد الغذائية، مثل: الجبن، والعسل، والتمر، والزبيب، والفلفل الأسود، والبن، فضلاً عن عملهم في تجارة اللحوم، وتجارة الأغنام، وتجارة الجمال، كما تاجروا في: الجلود، والأقمشة، والمنسوجات، وعملوا في تجارة الورق، وتجارة الخشب، وتعاملوا بالبيع والشراء في المراكب^(٤)، ولم يقتصر عملهم على التجارة، بل اشتغلوا أيضاً بأمور المال وحساب المكوس^(٥) والضرائب^(٦). ولقد ولقد اشترك الشوام في مدينة الإسكندرية في قطاع الحرف اليدوية، وصناعة النسيج والستائر

(١) - ريمون، أندريه: الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم وباتسي جمال الدين، مراجعة وإشراف: رؤوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٣٠١ - ٣٠٣.

(٢) - حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام، ص ٢٩ - ٣٠.

(٣) - حنا، نللي: تجارة القاهرة في العصر العثماني سيرة أبو طاقية شاهبندر التجار، ترجمة رؤوف عباس، د.ن، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م، ص ٥٠ - ٥٤.

(٤) - مجموعة مؤلفين: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زهوان، د. ط، ١٩٨٨م، ص ٦٦٥.

(٥) - المكوس: مفرداها مكس، وهي الضريبة التي يأخذها المكاس ممن يدخل البلد من التجار والفلاحين على البضائع القادمين بها. الخطيب، مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ص ٤٠٦.

(٦) - إبراهيم، سمير: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢م، ص ٤١.

واشتهروا بها، كما برعوا في صناعة الخبز والحلوى، وعملوا أصحاباً للمقاهي، أو أجراء لدى الغير، ودخلوا في التنظيمات الطائفية الحرفية، وهكذا فقد أسهموا في كل الأنشطة الاقتصادية التي كانت موجودة في الإسكندرية في العصر العثماني^(١).

كما شغلت مدينة دمياط دوراً مهماً في الحركة التجارية بين مصر وبلاد الشام، حيث ربط نهر النيل بينها وبين كافة المدن والقرى الواقعة على ضفتيه في مصر حتى أسوان جنوباً، فضلاً عن ارتباط دمياط بالبرلس ورشيد عبر طريق بحري يخترق شمال الدلتا، ويسمى: "درب البرلس ورشيد"، وهذا الميناء يقع على طريق التجارة والمواصلات البحرية والبرية، مما جعله ميناءً تجارياً مهماً ومستودعاً تجارياً لمدن الدلتا والصعيد الواقعة على النيل، ومنفذاً لتصدير منتجات تلك المناطق إلى بلاد الشام وآسيا الصغرى^(٢).

وعلى الرغم من نشاط الطريق البحري الذي تميز بسهولة وسرعته في نقل البضائع من مصر إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى مصر، إلا أن زيادة نشاط القراصنة في البحر المتوسط وبخاصة قرصنة مالطة الذين يعدّون الاعتداء على السفن الإسلامية والتجار المسلمين ضرباً من ضروب الجهاد الديني ضد الإسلام، في حين لا يُقدّمون على الاعتداء على التجار المسيحيين؛ لأنهم ينظرون إليهم على أنهم عناصر تشترك معهم في الدين من ناحية، وأقليات تتعرض للاضطهاد والضغط من قبل السلطنة العثمانية من ناحية أخرى، مما ترتب عليه تركيز تجارة مصر الخارجية في البحر المتوسط وبخاصة التجارة بين مصر والشام في أيدي التجار الشوام المسيحيين، واضطرت الأقليات المتبقية من التجار المسلمين إلى توكيل تجار مسيحيين يقومون بمهمة نقل البضائع أو مشاركتهم، وذلك لحماية بضائعهم من مخاطر القرصنة البحرية، واقتصر دور معظم التجار المسلمين على متابعة العملية التجارية داخل مصر^(٣).

وقد أدى تركيز التجارة بين مصر والشام بأيدي التجار الشوام المسيحيين إلى ندرة ارتياد الطريق البري، فإلى جانب مميزات الطريق البحري السابقة الذكر، فإن ابتعادهم عن الطريق البري يحميهم من أخطار البدو الذين كانوا يغالون في الاعتداء على التجار، إذا علموا أنهم من أهل

(١)- هويدى: الجاليات في مدينة الإسكندرية، ص ١٧٣-١٧٥.

(٢)- سليمان، عبد الحميد حامد: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٥م، ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٣)- حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام، ص ٨٤.

الذمة، وقد أدى ذلك إلى القضاء على الطريق البري بين مصر والشام، فلم يلجأ إليه التجار إلا مضطرين، وهذا في حالات محددة^(١).

وخلاصة القول إن العلاقة الاقتصادية بين مصر وبلاد الشام لم تكن مقتصرة على نشاط الشوام في مصر فقط دون أن يقوم أبناء مصر بمثل هذا الدور في بلاد الشام، حيث أسهم التجار المصريون الذين انتقلوا إلى بلاد الشام لمتابعة أعمالهم التجارية بنفس الدور الذي قام التجار الشوام في مصر، إذ انتقلوا عبر موانئ بلاد الشام المهمة في ذلك الوقت، وأسهموا في عمليات التبادل التجاري بين البلدين^(٢)، وبذلك فإن النشاط التجاري وعمليات التبادل بين مصر وبلاد الشام -التي حافظ عليها كل من التجار الشوام الذين انتقلوا إلى مصر والتجار المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام- قد أسهمت في استمرار العلاقات الاقتصادية بين الولايتين في ظل الحكم العثماني، وانعكس ذلك على توثيق العلاقات العلمية بين الولايتين.

٤ - العوامل الاجتماعية والفكرية:

أدى التقارب الجغرافي والوحدة الطبيعية بين مصر وبلاد الشام، وما كان بينهما من تفاعل مستمر في المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية، إلى تشابه الحياة الاجتماعية في كل من الولايتين، فالمنتبع لسكان المدن الكبرى في مصر خلال المرحلة العثمانية لا يكاد يجد حياً من أحيائها لا يقطنه بعض الشوام ممن يمارسون أحد الأنشطة الاقتصادية. وبسبب اشتغال الشوام في مصر بالمهن التجارية والحرفية التي تمس حياة المجتمع اليومية، فقد حدث اختلاط كبير بينهم وبين المصريين، وهذا ما أدى إلى اندماج الشوام بفئات المجتمع المصري، وزاد هذا الاندماج قوة زواج المصريين من الشاميات وزواج الشاميين من المصريات^(٣)، ولم يقتصر الأمر على استقرار الشوام في مصر، إذ تبين من بعض وثائق المحاكم الشرعية في دمشق وحلب أن عدداً كبيراً من المصريين انتقلوا إلى حلب ودمشق، وتملكوا فيها البيوت والأسواق واستقروا فيها حتى وافاهم أجلهم^(٤).

وكان للعوامل الفكرية والثقافية أثر كبير في انتقال المصريين إلى بلاد الشام، وانتقال الشوام إلى مصر وتوثق العلاقات الاجتماعية والفكرية بينهما، حيث سعى طلاب العلم والعلماء في كل

(١) - حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام، ص ٨٥-٨٦.

(٢) - حنفي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام، ص ٨٧-٩٣.

(٣) - هويدي: الجاليات في مدينة الإسكندرية، ص ١٧٦-١٨٢.

(٤) - وثيقة رقم ٩٧، سجل حلب، رقم ١٥٠، ص ٢٢، سجلات المحاكم الشرعية، حلب، تاريخ ٩٧٢هـ/ ١٥٦٥م.

وثيقة رقم ٣١، سجل دمشق، رقم ١٢١، ص ١٦، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ٩٩٠هـ/ ١٥٨٣م.

من مصر وبلاد الشام إلى السفر والارتحال إلى الولاية الأخرى؛ لتلقي مختلف العلوم على يد أشهر علمائها، فقد شغل الشوام وخاصة المسلمون منهم دوراً ثقافياً مهماً في مصر في العصر العثماني بالاشتراك مع إخوانهم المصريين وكان لهم رواق في الأزهر^(١) أوقف عليه أوقاف كبيرة، وأهل هذا الرواق كثيرون من جميع مدن بلاد الشام^(٢)، وسيتم عرض هذا الموضوع بالتفصيل ضمن الفصلين الثاني والثالث.

ونتيجة لما سبق ذكره فقد كان للارتباط الجغرافي بين مصر وبلاد الشام دوره في تيسير انتقال الأهالي من ولاية لأخرى، فشغل الشوام دوراً بارزاً في تاريخ مصر في العصر العثماني، كما شغل المصريون الدور نفسه في تاريخ بلاد الشام، مما أدى إلى اندماج واسع النطاق بين فئات المجتمع، كما كان للعوامل الفكرية والثقافية دورها الكبير في استمرارية العلاقات بين الولايتين في ظل الحكم العثماني.

٥ - العوامل الفردية:

كان لعدم فرض القيود على حركة السكان بين الولايات العثمانية أن أُتيحت الفرصة أمام طلبة العلم والعلماء والرحالة للسفر والارتحال بين المدن العربية والإسلامية عامة والمدن الشامية والمصرية الكبرى خاصة بحرية واطمئنان، بهدف الاستزادة في العلم، واكتساب خبرات جديدة على طبائع الشعوب الأخرى وزيارة المزارات الدينية، وغيرها من فوائد السفر والارتحال، مما أسهم في توثيق العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام، فظهر نتيجة لذلك علماء من كلا الولايتين جمعوا بين العلوم الشرعية والصوفية والعربية والعقلية المُدرسة في أكبر المراكز التعليمية في مصر وبلاد الشام كالأزهر الشريف والجامع الأموي والمسجد الأقصى... الخ، وبرعوا فيها ثم أسهموا في نشرها، ليس بين طلاب مصر وبلاد الشام فحسب، بل في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي بما فيها دار السلطنة العثمانية كذلك، مما أفرز في النهاية عدداً من الأسماء اللامعة من العلماء في مجالات كثيرة^(٣).

(١) - أنشأ هذا الرواق السلطان المملوكي قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٧-١٤٩٥م) وزاد فيه الأمير عثمان كتحدا وعبد الرحمن كتحدا في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، حتى صار أكبر من رواق الصعايدة، وكان في أعلاه ما يقارب ثلاثين حجرة لمجاوري الشوام، وبه خزانة كتب، وقد أوقف عليه كل من الأمير عثمان والأمير عبد الرحمن كتحدا أوقافاً ظلت جارية مدة وجيزة من الزمن. خفاجي، محمد عبد المنعم: الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، ٦ أجزاء، مكتبة الكليات الأزهرية، بيروت، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٧م، ج ٢، ص ١٥٢.

(٢) - مبارك، علي: الخطط التوفيقية الجديدة، ٦ أجزاء، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط ١، ١٣٠٦هـ، ج ٤، ص ٢٢.

(٣) - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ١٠، ص ١٨٦-١٨٧. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥١-٦٢.

رابعاً: لمحة عامة عن العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرن السادس عشر:

شهدت العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام خلال العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٦٠-١٥١٧م) تطوراً ملحوظاً؛ لكون سلاطين المماليك اهتموا اهتماماً بالغاً بالتعليم، بسبب حُبهم للعلم والعلماء ومشاركتهم في تحصيله، فضلاً عن حرصهم الشديد على إنشاء المدارس والمكتبات ودور العلم، ووقفهم عليها أوقافاً كثيرة، إلى جانب تشجيعهم طلاب العلم الذين لم يكتفوا بما حصلوه من المعارف في أوطانهم على السفر والارتحال؛ للتعمق بالعلوم العقلية والنقلية^(١).

وعلى الرغم من الفساد الشديد والعجز والضعف الذي أصاب السلطنة المملوكية في مرحلتها الأخيرة، إلا أنَّ الاهتمام بالتعليم استمر، إذ أولى السلطان المملوكي قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)^(٢) العلم والتعليم عنايةً خاصة، حيث بنى "مدرسة الغوري" جوار مسجده، كما بنى مكتباً للأطفال^(٣)، وكان حريصاً على عقد المجالس العلمية والدينية في القلعة مرة أو مرتين أو أكثر كل أسبوع، وشجع الرحلة في سبيل العلم إلى كافة البلدان الإسلامية عامة، وإلى بلاد الشام خاصة؛ لأنها امتدادٌ للأراضي التابعة لحكمهم^(٤). وبسبب هذه الظروف فقد شهد عصر الغوري ظهور عددٍ كبير من العلماء والأئمة الفضلاء الذين امتهنوا مهنة التدريس والإفادة أو الذين اشتغلوا بالقضاء أو الإفتاء، ونالوا شهرة واسعة ليس بمصر فحسب، وإنما في أرجاء العالم الإسلامي^(٥)، فتوافد الطلاب من جميع البلدان العربية وخاصة من مدن بلاد الشام الكبرى: (دمشق، وحلب، وحماة، وإدلب، واللاذقية، والقدس، وغزة - صفد - بيروت)^(٦) لأخذ العلم عليهم، وطلب الإجازة العلمية منهم.

(١)- علي، محمد كمال الدين: الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة دراسة عن التاريخ والمؤرخين

٧٨٤-٩٢٢هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م، أطروحة دكتوراه، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٧-٣٦.

(٢)- الملك الأشرف، سلطان المماليك البرجيين، حكم بين العامين (٩٠٦-٩٢٢هـ/ ١٥٠١-١٥١٦م)، وقتل في معركة

مرج دابق في العام ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م. طقوش، محمد سهيل: التاريخ الإسلامي (الوجيز)، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م، ص ٣٣٨.

(٣)- سليم، محمود رزق: الأشرف قانصوه الغوري، مكتبة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ٢١.

(٤)- الطباع، إياد خالد: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢٠.

(٥)- سليم: الأشرف قانصوه الغوري، ص ٢١.

(٦)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ١، ص ٩-٣٢٥.

ومن أشهر علماء الأزهر الشريف البارزين في هذه المرحلة الشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م)^(١) الذي تصدر للإفادة والتدريس في الأزهر الشريف^(٢) فتوافد عليه حوالي ٧٧.١٤% (بالنسبة لكل طلاب العلم الشوام الذين وفدوا إلى مصر) من طلاب بلاد الشام لأخذ العلم عنه، ومن أشهر من تتلمذ على يده القاضي محمد بن أحمد بن الفرفور الدمشقي الشافعي (ت ٩٣٧هـ/١٥٣١م)^(٣) الذي انتقل إلى الأزهر ولزم الأنصاري للتعمق بالفقه الإسلامي والحديث الشريف حتى برع بهما وأجيز فيهما^(٤)، كما اشتهر الشيخ عمر بن أحمد بن الشماع الحلبي الشافعي (ت ٩٤٦هـ/١٥٤٠م)^(٥) الذي ارتحل إلى القاهرة؛ لتلقي الحديث على الشيخ الأنصاري، "فزادت إجازاته الخاصة بالسماع على المائتين والإجازة العامة دون سماع على المائة"^(٦)، ومن طلاب بلاد الشام الذين لازموا الأنصاري الشيخ حسن بن صالح السرميني (ت ٩٢٠هـ/١٥١٥م)^(٧) الذي أخذ عنه العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية وبرع فيها، ثم أفاد فيها طلاب العلم عند عودته إلى موطنه^(٨).

-
- (١) - زكريا بن محمد الأنصاري: وُلِدَ في سُنَيْكَة (من قرى مصر) ونشأ بها، ثم توجّه إلى القاهرة، ودرس في الأزهر الشريف العلوم كلها وتبحّر بها، حتى تصدّر للإفتاء والتدريس في الأزهر، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، مج ١٠، ص ١٨٨.
- (٢) - ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، مج ١٠، ص ١٨٦-١٨٧.
- (٣) - محمد بن أحمد بن محمود بن عبدالله بن محمود قاضي القضاة، ولي الدين، ابن قاضي القضاة، شهاب الدين بن الفرفور الدمشقي الشافعي: ولد في دمشق، وحصل بها العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية على كبار علماء عصره، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف للتعمق فيها، حتى كبر شأنه، وعند عودته إلى موطنه ولي قضاء حلب ودمشق. الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.
- (٤) - الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ٢، ص ٢٢-٢٣.
- (٥) - عمر بن أحمد بن علي بن محمود، زين الدين بن الشماع الحلبي الشافعي: ولد في حلب، وبها نشأ، وأخذ العلوم الشرعية على كبار علماء عصره حتى برع في الحديث النبوي الشريف، ثم ارتحل إلى مصر للاستزادة في الأزهر الشريف. الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- (٦) - الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ٢، ص ٢٢٢-٢٢٣.
- (٧) - حسن بن صالح السرميني الحلبي: ولد في حلب، ولزم منذ صغره علماء عصره للاستفادة من علمهم، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف للاستزادة. الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ١٧٩.
- (٨) - الغزي: **الكواكب السائرة**، ج ١، ص ١٧٩.

ولعل من أشهر علماء مصر في هذه المرحلة الشيخ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)^(١) الذي تولى التدريس في جامع ابن طولون^(٢)، وفي مشيخة الخانقاه البيبرسية^(٣)، فقصده حوالي ٦٢.٨٥% (بالنسبة لكل طلاب العلم الشوام الذين وفدوا إلى مصر) من طلاب العلم من بلاد الشام لأخذ العلم عنه، ومنهم الشيخ محمد بن بدر الدين الغزيري الغزي الشافعي (ت ٩٨٤هـ/ ١٥٧٧م)^(٤) الذي انتقل إلى مصر لطلب العلوم الشرعية، فاستجاز له والده من السيوطي^(٥)، ومن أخذ عليه الشيخ محمد بن أبي الوفاء بن الموقع الحلبي (ت ٩٧٠هـ/ ١٥٦٣م)^(٦) الذي انتقل إلى مصر ودرس العلوم الشرعية والعقلية على يد العديد من المشايخ، ومن جملتهم الشيخ السيوطي^(٧)، ومنهم الشيخ محمد بن محمد بن العجيمي المقدسي (ت ٩٣٨هـ/ ١٥٣١م)^(٨) الذي تلقى تلقى العلوم الشرعية على يده^(٩)، ومنهم أيضاً المؤرخ محمد بن علي بن طولون الدمشقي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٧م)^(١٠) الذي أجيز

(١)- جلال الدين السيوطي: عالم موسوعي في: التفسير، والحديث، والتاريخ، واللغة، والفقه، والأدب، وُلِدَ في مدينة أسيوط (في صعيد مصر)، ونشأ بها، وتولّى الإفتاء والقضاء، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ حتى وافاه أجله. الطباع: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، ص ٤٣٣-٤٣٨.

(٢)- جامع ابن طولون: أنشأه مؤسس الدولة الطولونية أحمد بن طولون بين العامين ٦٧٨-٧٧٨هـ/ ١٢٧٩-١٣٧٧م ليكون ثالث مسجد جامع بعد جامع عمر بن العاص (في القسطنطينية) وجامع العسكر (في مدينة العسكر) بمصر. عوض، حازم: القاهرة محروسة بألف مفندة، دار المنهل، د.م، ط ١، ٢٠١٧م، ص ٣١.

(٣)- مشيخة الخانقاه البيبرسية: وهي من جملة دار الوزارة الكبرى، وهي من أجل خانقاوات القاهرة بنياناً، وأوسعها مقداراً، وأتقنها صنعة، بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس قبل أن يلي السلطنة في العام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م، وبنى بجانبها رباطاً كبيراً، وجعل بجانب الخانقاه فيه بها قبره. المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٤)- محمد بن بدر الدين الغزيري الغزي الشافعي: وُلِدَ في غزة، ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر، وأخذ بها عن علماء الأزهر، ثم عاد إلى بلده، وأفاد بها حتى وفاته. الغزي: الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٣-٩.

(٥)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٣-٩.

(٦)- محمد بن أبي الوفاء بن الموقع الحلبي: ولد في حلب وبها نشأ، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف ولازم مشايخه حتى حتى برع في العلوم الشرعية. الغزي: الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٦٦.

(٧)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ٣، ص ٦٦.

(٨)- محمد بن محمد بن العجيمي المقدسي: ولد في بيت المقدس، ونشأ فيها، ثم ارتحل إلى القاهرة ودرس العلوم على على اختلاف أنواعها وأصنافها، وتفوق على أقرانه. الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ١٢.

(٩)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ١٢.

(١٠)- محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي: مؤرخ، عالم بالتراجم والفقه الإسلامي، وله مشاركة في سائر العلوم ولاسيما العقلية منها، من آثاره: "قضاة دمشق"، و"الفلاند الجوهريّة"

إجازة مكاتبة من السيوطي^(١).

ولم ينحصر طلب العلم في مصر على الأزهر الشريف فقط؛ إذ سعى عدد كبير من طلاب بلاد الشام للدراسة في المدارس الكبرى في مصر، وكذلك في المساجد والزوايا للاستفادة والاستزادة في العلوم الشرعية والعقلية، فقد كان من المعتقد أن كمال العلم لا يتم إلا بالرحلة، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته عندما وضّح: "إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكة ورسوخها"^(٢).

ولم يقتصر الأمر على انتقال الطلاب من بلاد الشام إلى مصر لطلب العلم فيها، فعلى الرغم من الأوضاع السياسية والعسكرية التي شهدتها بلاد الشام ومصر خلال الصراع المملوكي-العثماني على المنطقة، الذي كانت الغلبة فيه للعثمانيين إثر معركة مرج دابق (٩٢٢هـ / ١٥١٦م) إلا أن العلاقات العلمية لم تتغير بين الولايتين، فقد استمر توافد بعض طلاب العلم المصريين إلى بلاد الشام لتلقي العلم فيها، وكانت وجهتهم الرئيسة نحو الجامع الأموي في دمشق، والمسجد الأقصى في القدس، وغيرها من المراكز العلمية الكبرى؛ للأخذ عن جهابذة علمائها ومتصوفيهها.

ومن أهم علماء الشام الكبار في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي الذين درّس طلاب العلم المصريين على أيديهم: الشيخ محمد بن محمد الغزي الدمشقي (ت ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م)^(٣) الذي تصدر للإفادة والتدريس في دمشق فتوافد عليه طلاب العلم من بلاد الشام ومصر؛ لأخذ العلم عنه^(٤)، ومن طلاب مصر الذين قصدوه: الشيخ عبد الجليل الزرخوني المصري (ت ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م) الذي انتقل إلى دمشق لملازمة شيخ الإسلام محمد الغزي، وقد ذكر الغزي في كتابه "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة" ما يوضح ذلك؛ إذ بين في ترجمته أنه كان: "أحد جماعة شيخ الإسلام الوالد

=في تاريخ الصالحية" وغيرها الكثير. ابن طولون، محمد بن علي: الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٢٧-٣٠. الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٥١-٥٣.

(١)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٥١-٥٣.

(٢)- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ج ٣، ص ٢٢٦.

(٣)- محمد بن محمد الغزي: ولد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها، ثم ارتحل إلى القاهرة وأخذ هناك عن علمائها، حتى أجز منهن ونبغ في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، ثم عاد إلى موطنه وأفاد طلاب العلم. الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٦.

(٤)- الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٣-٥.

وتلاميذه ومحبيه^(١)، واشتهر محمد بن عبد الجليل الزرخوني (ت ٩٦٤هـ/ ١٥١٩م) الذي تبحر في العلوم الشرعية على يد الغزي و"أصبح ينوب عنه في إمامة الجامع الأموي بدمشق"^(٢).

ولم يكن هذا حال الغزي فقط، إذ برز علماء وطلاب علم كثيرون في القرن السادس عشر، ممن أسهموا إسهاماً كبيراً في توثيق العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام، ومع تتبع كتب التراجم التي ألّفت في هذا القرن ككتاب محمد بن محمد الغزي (ت ٩٣٥هـ/ ١٥٢٩م) "الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة"، وكتاب محمد بن إبراهيم ابن الحنبلي (ت ٩٧١هـ/ ١٥٦٣م)^(٣) "در الحبيب في تاريخ أعيان حلب"، يتضح عدد الطلاب المرتحلين من مصر إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى مصر ونسبتهم ومذهب كل منهم، كما هو مبين في الجداول الآتية التي تم من خلالهما رصد حركة طلاب العلم.

(١) - الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ١٥٤.

(٢) - الغزي: الكواكب السائرة، ج ٢، ص ٤٠.

(٣) - محمد بن إبراهيم بن يوسف الحلبي القادري التاذفي الحنفي: ولد في حلب، ولازم منذ صغره كبار علماء عصره، حتى برع في العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها، وألف فيها عدة كتب ورسائل وشروحات. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٨، ص ٣٦٥.

❖ الجدول رقم (٢) نسبة العلماء والطلاب الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر في القرن السادس عشر:

الرحلة إلى مصر	العدد	النسبة %
من دمشق	٢٦	٢٤٠٧٦
من حلب	٤٥	٤٢.٨٥
من حماة	٤	٣.٨
من إدلب	٢	١.٩٠
من اللاذقية	١	٠.٩٥
من القدس	٨	٧.٦
من غزة	٣	٢.٨٥
من صفد	٣	٢.٨٥
من بيروت	٢	١.٩٠
من الخليل	١	٠.٩٥
من الرملة	٢	١.٩٠
من طرابلس	٣	٢.٨٥
من حمص	٢	١.٩٠
من بعلبك	١	٠.٩٥
من البقاع	١	٠.٩٥
من عجلون	١	٠.٩٥
العدد والنسبة	١٠٥	١٠٠

❖ الجدول رقم (٣) نسبة العلماء والطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام في القرن السادس عشر:

الرحلة	العدد	النسبة %
من مصر إلى دمشق	٢٤	٤٨.٩
من مصر إلى حلب	٢٣	٤٦.٩
من مصر إلى القدس	٢	٤
العدد والنسبة	٤٩	١٠٠

❖ الجدول رقم (٤) مذاهب العلماء والطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام في القرن السادس عشر:

المرتحلون إلى بلاد الشام		المرتحلون من المذهب الشافعي		المرتحلون من المذهب الحنفي		المرتحلون من المذهب الحنبلي		المرتحلون من المذهب المالكي		غير محدد المذهب	
العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
١٣	٥٤.١٦	٤	١٦.٦	٠	٠	٢	٨.٣	٥	٢٠.٥	٠	٠
٩	٣٩.١	٤	١٧.٣	٢	٨.٦	٠	٠	٨	٣٤.٧	٠	٠
٢	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
٢٤		٨		٢		٢		١٣			

❖ الجدول رقم (٥) مذاهب المرتحلون من بلاد الشام إلى مصر في القرن السادس عشر:

المرتحلون إلى مصر	المرتحلون من المذهب الشافعي		المرتحلون من المذهب الحنفي		المرتحلون من المذهب الحنبلي		المرتحلون من المذهب المالكي		غير محدد المذهب	
	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
من دمشق	١٦	٦١.٥٣	٤	١٥.٣٨	٠	٠	٠	٠	٦	٢٣
من حلب	٢٤	٥٣.٣٣	١٢	٢٦.٦٦	٢	٤.٤٤	٠	٠	٧	١٥.٥٥
من حماة	٤	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من إدلب	٢	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من اللاذقية	١	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من القدس	٥	٦٢.٥	١	١٢.٥	١	١٢.٥	١	١٢.٥	٠	٠
من غزة	٢	٦٦.٦٦	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	٣٣.٣
من صفد	٣	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من بيروت	٢	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من الخليل	١	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من الرملة	٢	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من طرابلس	٠	٠	١	٣٣.٣٣	١	٣٣.٣	٠	٠	١	٣٣.٣
من حمص	١	٥٠	١	٥٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من بعلبك	١	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من البقاع	١	١٠٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠
من عجلون	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	٠	١	١٠٠
العدد والنسبة	٦٥		١٩		٤		١		١٦	

من خلال الجداول (٢) و (٣) و (٤) و (٥) يتبين نسبة طلبة العلم والعلماء الشوام في مصر بلغت حوالي ٥٨%، بينما بلغت نسبة الطلبة والعلماء المصريين في بلاد الشام حوالي ٣٢%، فعلى الرغم من أوضاع مصر المضطربة التي شهدتها عقب انهيار السلطنة المملوكية إلا أنَّ طلاب العلم والعلماء الشاميين استمروا بالسفر والارتحال لأخذ العلم على يد كبار علمائها ومشايخها وفقهائها.

أما بالنسبة للمذاهب التي كانت منتشرة بكثرة بين الطلاب المصريين والشاميين الذين ارتحلوا من مصر إلى بلاد الشام ومن بلاد الشام إلى مصر، فقد غلب على أكثرهم المذهب الشافعي؛ لأن الأغلبية من سكان مصر وبلاد الشام كانوا شافعيين، وترجع هذه الشهرة إلى أن الناصر صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ / ١١٣٧-١١٩٣م)^(١)، كان يميل إلى الشافعية، وهذا ما أعطى فرصة واسعة لإنشاء المدارس لتدريس المذهب الشافعي، كما أن سلاطين المماليك كافة كانوا شافعيين المذهب باستثناء السلطان سيف الدين قطز (٦٥٧-٦٥٨هـ / ١٢٥٩-١٢٦٠م)^(٢) الذي كان حنفياً^(٣)، ولذلك كانت نسبة المذهب الشافعي أكبر من نسبة المذاهب الأخرى في القرن السادس عشر.

خامساً: استنتاجات الفصل الأول التمهيدي:

- لقد فاقت مصر وبلاد الشام الولايات العربية الأخرى من حيث أهميتهما العلمية بالنسبة للسلطنة العثمانية، ويعود السبب في ذلك إلى قوة الجذور الحضارية لهما، مما ساعد على توافد طلاب العلم والعلماء العثمانيين لتلقي العلوم الشرعية والصوفية والعربية والعقلية فيها، فأدى ذلك إلى ازدياد أعداد العثمانيين المتقنين للغة العربية إلى جانب اللغة العثمانية، كما تتوضح الأهمية العلمية لهاتين الولايتين من خلال

(١) - أبو المظفر يوسف بن أيوب بن شادي، صلاح الدين الأيوبي الملقب بالملك الناصر، قائد عسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن، ويعد من أشهر ملوك الإسلام وقادته، فقد قاد حملات ومعارك عدة ضد الفرنجة (٤٩١-٦٩٠هـ / ١٠٩٨-١٢٩١م)؛ لاستعادة الأراضي المقدسة، فحرر معظم أراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس في معركة حطين ٥٨٣هـ / ١١٨٧م. ابن شداد، يوسف بن رافع: *سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى النوار السلطانية والمحاسن اليوسفية*، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د. ط، ٢٠١٥م، ٢٠٨-٢١٨.

(٢) - الملك المظفر سيف الدين قطز واسمه الحقيقي: محمود بن خوارزم شاه، ولقب بسيف الدين، تولى عرش في العام ٦٥٧هـ / ١٢٥٩م، ويعد أبرز ملوك مصر على الرغم من أن مدة حكمه لم تدم سوى عامٍ واحدٍ؛ وذلك لأنه نجح في إعادة تعبئة الجيش المملوكي وتجميعه؛ لإيقاف زحف المغول وهزمهم في معركة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م. عكاشة، أمير: *ملوك ورؤساء صنعوا تاريخاً (مصر أوراق مبعثرة)*، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٧م، ص ١٥٧.

(٣) - عكاشة، طلعت: *الفتاوي الدينية وأثرها في المجتمع مصر والشام - عصر سلاطين المماليك*، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨م، ص ٦-١٨.

اهتمام السلاطين العثمانيين باستقطاب كبار العلماء العرب والمسلمين منهم إلى دار السلطنة؛ للاستفادة من علومهم وتولييتهم أرفع المناصب بها.

• أما بالنسبة للعلوم التي دُرست في السلطنة العثمانية فقد انصب اهتمامهم على دراسة العلوم الشرعية وعلم التصوف. لكن لم يكن هذا حال كل العلماء والطلاب العثمانيين، إذ سعى البعض منهم إلى دراسة العلوم الطبيعية والتطبيقية: (كالطب، والفلك، والرياضيات، والهندسة، والجغرافية...) إلى جانب العلوم الشرعية، بينما فضّل بعضهم الآخر دراسة العلوم الطبيعية والتطبيقية عامة، ثم اختصوا باختصاص محدد منها عن طريق الارتحال إلى البلدان المجاورة للتعمق بالاختصاص على يد كبار علمائه حتى برعوا فيه، لكن نسبة الطلاب المتقنين لهذه العلوم بقيت قليلة مقارنة مع أعداد الطلاب الذين درسوا الشرعية، وهذا ما جعل السلطنة تستقطب أشهر علماء الرياضيات والفلك والطب من مختلف البلدان المجاورة وخاصة من بلاد الشام ومصر لنشر معارفهم والاستفادة من خبراتهم.

• وكان للعوامل الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي ربطت بين مصر وبلاد الشام أثر كبير في توثق العلاقات بينهما منذ أقدم العصور، ولم تكن تلك العلاقة في العصر العثماني أقل مما كانت عليه فيما مضى، إذ استمرت العلاقات على كل المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية أيضاً.

• أما بالنسبة للعلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام خلال القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي فقد بقيت قائمة ومستمرة على الرغم من الظروف التي أحاطت بالولايتين، وخاصة السياسية والاقتصادية منها التي شهدتها المنطقة، إذ برز طلاب وعلماء وفقهاء كثيرون، أسهموا في توثيق العلاقات بين الولايتين، كما استمر طلاب العلم والعلماء بالسفر والارتحال من مصر وبلاد الشام؛ لطلب العلوم الشرعية والصوفية والعقلية من الولاية الأخرى.

الفصل الثاني

حركة طلاب العلم بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

أولاً: لمحة عامة عن المراحل الأولى للتعليم في مصر وبلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر:

ثانياً: ارتحال طلاب العلم من بلاد الشام إلى مصر:

١- المعاهد العلمية المصرية التي استقطبت طلاب بلاد الشام:

أ- الجامع الأزهر.

ب- الخانقاه الصلاحية.

ج- المعاهد العلمية الأخرى.

٢- أماكن الإقامة.

٣- مصادر الدخل والإنفاق.

٤- مراسم إنهاء الدراسة وأخذ الإجازات.

ثالثاً: ارتحال طلاب العلم من مصر إلى بلاد الشام:

١- المعاهد العلمية الشامية التي استقطبت طلاب مصر:

أ- الجامع الأموي.

ب- المسجد الأقصى.

ج- الزاوية الأسعدية.

د- المعاهد العلمية الأخرى.

٢- أماكن الإقامة.

٣- مصادر الدخل والإنفاق.

رابعاً: استنتاجات الفصل الثاني.

أولاً: لمحة عامة عن المراحل الأولى للتعليم في مصر وبلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر:

قبل الحديث عن حركة انتقال طلاب العلم في المعاهد والمراكز العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر لابد من توضيح المراحل العلمية الأولى التي مر بها طلاب العلم في مصر وبلاد الشام خلال مرحلة البحث قبل ارتحالهم إلى الولاية الأخرى لطلب العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية.

لم تختلف أنظمة التعليم في مصر وبلاد الشام خلال العصر العثماني عن بعضهما البعض، فقد تكوّنت المرحلة التعليمية الأولى في هاتين الولايتين كما في العصور الإسلامية السابقة من الكتاتيب، وهي المكان الذي يتولى مهمة التعليم والتربية الأولى للطفل، أي: المدرسة الأولى، وقد شهدت مصر وبلاد الشام خلال مرحلة البحث نوعين من هذه الكتاتيب:

النوع الأول: الكتاتيب الخاصة أو الأهلية: وهي التي يتخذها من له قدرة على التعليم ليعلم فيها الأطفال والصبيان بأجر معلوم يدفعه أولياؤهم له. والنوع الثاني: الكتاتيب العامة: وهي التي أنشأتها السلطنة أو أصحاب المناصب والجاه من سلاطين، وأمراء، وتجار، وعلماء، وأوقفوا عليها الأوقاف بحيث يكون التعليم فيها مجانياً، وخصصت لـ الأيتام والمُعَدِّمين، والفقراء، والمساكين^(١).

وكانت هذه الكتاتيب تقام عادةً بالقرب من المساجد والمدارس أو في المساجد والمدارس نفسها، كما كانت تقام في الزوايا والخوانق والتُرَب أو في منزل الشيخ نفسه، أو في أي بيت أو غرفة صالحة لهذا الغرض، وقد انتشر هذا النوع من التعليم في أنحاء مصر وبلاد الشام في كل مدينة كبيرة، وقرية صغيرة^(٢). وكانت الغاية من إقامة هذه الكتاتيب تحفيظ القرآن الكريم، وتعليم القراءة والكتابة، فضلاً عن الاستخراج والضبط والفهم للمسائل وبعض متون الأحاديث وأصول الحساب والقليل من المعارف الدينية واللغوية والعربية. وعند إتمام التلميذ مرحلته التعليمية في الكتاب، وذلك بإتمامه حفظ القرآن

(١) - ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي: المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها، ٤ أجزاء، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م، ج ٢، ص ٤٥٤-٤٥٥. حجي، حياة ناصر: صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم، الكويت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٨٨-١٨٩.

(٢) - الشلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشف، القاهرة، ط ١، ١٩٥٤م، ص ٤٤.

الكريم كان يقام احتفال بهيج يشترك فيه جميع الصبيان من زملائه في الكتاب، ويسمى هذا الاحتفال بـ "الختمة"^(١).

وبعد الانتهاء من الدراسة في الكتاب يتجه غالبية طلبة العلم في مصر إلى الأزهر الشريف أو إلى إحدى المساجد أو المدارس المجاورة؛ وذلك للتبحر بالعلوم الشرعية إلى جانب علوم اللغة العربية والعلوم العقلية، ويبقى في المركز العلمي حتى ينال الإجازات العلمية، فيعكف على التدريس لإفادة طلاب العلم، أما البعض منهم فلا يكتفي بما حصَّله من معارف في موطنه فيشرع للانتقال إلى إحدى الولايات المجاورة كلَّ حسب رغبته كبلاد الشام مثلاً؛ وذلك للتحصيل العلمي.

وعند تتبع حركة انتقال الطلاب المصريين إلى بلاد الشام من خلال كتب التراجم الخاصة بمرحلة البحث يتبين أنَّ غالبية طلاب مصر توجهوا بعد إتمام تحصيلهم العلمي في الأزهر الشريف إلى الجامع الأموي في دمشق، أو إلى المسجد الأقصى في بيت المقدس، أو إلى الزاوية الأسعدية، وذلك لملازمة كبار علماء بلاد الشام ونيل الإجازات العلمية منهم، فضلاً عن التباحث معهم.

والحال نفسه بالنسبة لطلاب بلاد الشام خلال مرحلة البحث فعند انتهائهم من مرحلة الكتاب يتوجهون إما إلى المساجد والجوامع، وإما إلى إحدى المدارس، أو يتوجهون إلى الزوايا والخوانق، وعند انتهائهم من هذه المرحلة يسعون إلى تولي المناصب في إحدى مراكز العلم في بلاد الشام أو ينتقلون إلى الولايات المجاورة كمصر مثلاً؛ لملازمة علماء الأزهر الشريف ومشايخه؛ وذلك لأخذ ما تيسر لهم من العلوم على اختلاف أنواعها إلى جانب الحصول على المزيد من الإجازات العلمية.

وبناءً على ما سبق ذكره يمكن القول إنَّ مصر وبلاد الشام شهدتا أسلوباً تعليمياً شبيهاً ببعضه البعض، وكان ميدانه: الكتاتيب، والمدارس، والجوامع، وبيوت العلماء. أما التعليم الذي كان يجري في "الزوايا والتكايا ويستهدف - بخلاف التعليم المدرسي - تعليم التجمعات الشعبية في الغالب وتربية نفوس المنسوبين لتلك الزوايا والتكايا، فقد شغل مكانة مهمة في الحياة التعليمية، والدينية، والصوفية، والثقافية عند العثمانيين"^(٢).

(١) - ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمّد: تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨١م، ص ٥٢.
الشيزري، عبد الرحمن بن نصر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيّد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط ٢، ١٩٨١م، ص ١٠٠.

(٢) - مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ٢، ص ٤٤٩.

ثانياً: ارتحال طلاب العلم من بلاد الشام إلى مصر:

الارتحال في طلب العلم ليس بالشيء الجديد، فقد شهد التاريخ تنقل طلاب العلم بين البلدان والأقاليم للاستزادة منذ القدم، وأتى الإسلام وأكد على ذلك مجدداً حتى قيل: "من لم يرحل، فلا ثقة بعلمه"^(١)، لأن الارتحال بحد ذاته يزيد من أفق الإنسان بغض النظر عن الهدف منه، فكيف إذا كان بهدف أخذ العلم. لذلك نجد أن العديد من طلاب العلم في بلاد الشام قد رحلوا في القرنين السابع عشر والثامن عشر -مثل باقي العصور- من أجل الحصول على الإجازات العلمية أو ملازمة العلماء، والتلمذ عليهم لإضافتهم إلى أنسابهم^(٢)، وأسانيد علومهم المتعددة^(٣). وكانت وجهتهم الرئيسية نحو أكبر المراكز العلمية في مصر، ويظهر ذلك جلياً عند تتبع كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة التي ترجمت لأعلام القرنين السابع عشر والثامن عشر، ومن ضمنها تراجم الطلاب الشوام الذين ارتحلوا إلى مصر حيث أوردت نسبته وأماكن دراستهم، وإقامتهم، ومصادر دخلهم وإنفاقهم. ومن كتب التراجم هذه كتاب محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م)^(٤): "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، وكتابه: "تفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة"، ومخطوطته: "فيض المنان في تراجم أعيان الزمان". وكتاب الحسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م)^(٥): "تراجم الأعيان من أبناء الزمان"، وكتاب مصطفى بن

(١)- ابن عزوز، محمد: الحسرات فيمن رحل للسماع على محدث فوجده قد مات، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م، ص ٨.

(٢)- ابن حبيش، محمد البديري المقدسي: ثبت كشف الحزن وحلول المنن في أوصاف السيد حسن، مخطوط محفوظ صورة عنه في مكتبة المخطوطات الكبرى (٩ق)، رقم (٢٦٩٣)، ويوجد على هذا الرابط <http://wqf.me/?p=16659>، ق ٢-٤.

(٣)- المقدسي الحنبلي، أحمد بن عوض: ثبت الكواكب الزاهرة في آثار أهل الآخرة، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر، (٩٨ق)، رقم ٢٠٣٨، ويوجد على هذا الرابط <https://www.refaiya.uni-leipzig.de>، ق ٢-٤.

(٤)- محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي الدمشقي: مولده ووفاته في دمشق، أديب ومؤرخ موسوعي المعرفة، له مؤلفات عديدة أهمها في التاريخ "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر". المرادي، محمد خليل بن علي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤ أجزاء، المطبعة الميرية العامرة، تصوير دار ابن حزم والبشائر، القاهرة، د.ط، ١٣٠١هـ، ج ٤، ص ٨٧.

(٥)- الحسن بن محمد بن محمد بن حسن الصفوري البوريني، بدر الدين: مؤرخ، من العلماء المشهورين بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق، ولد في صفورية (في الأردن) وانتقل صغيراً مع أبيه إلى دمشق، فنشأ وتوفى فيها، وكان يجيد الفارسية والتركية، من تصانيفه: "تراجم الأعيان من أبناء الزمان" و "شرح ديوان ابن الفارض" وغيرها الكثير. البوريني، الحسن بن محمد: تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط ١، ١٩٥٩م، ص ٣-٦. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٥١-٦٢.

فتح الله الحموي (ت ١١٢٣هـ/١٧١١م)^(١): "قوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر"، وكتاب محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/١٧٩١م)^(٢): "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"، ومخطوطة مصطفى بن محمد طلس (ت ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م)^(٣): "الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر"، وكتاب حسن بن عبد اللطيف الحسيني (ت ١٢٢١هـ/١٨١٨م)^(٤): "تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري"، وكتاب عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)^(٥): "عجائب الآثار في التراجم والأخبار". أما بالنسبة للطلاب المسيحيين واليهود في هذه المرحلة، فلم تورد المصادر والمراجع التي أرخت لهم أي حركة انتقال من بلاد الشام إلى مصر لطلب العلم، إذ اقتصر انتقالهم على الاستقرار في

(١)- مصطفى بن فتح الله الشافعي الحموي: المؤرخ، الأديب، ولد في حماة وبها نشأ، ثم انتقل إلى دمشق، فقرأ على بعض علمائها، ثم ارتحل إلى مكة المكرمة واستقر فيها حتى وافاه أجله، ومن آثاره التي تركها: "قوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر". المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٧٨.

(٢)- محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل: المؤرخ، مفتي الشام، ونقيب أشرافها، ولد ونشأ في دمشق، وولي إفتاء الحنفية في العام ١١٩٢هـ/١٧٧٨م، ونقابة الأشراف في العام ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م، ثم سافر إلى حلب وتوفي فيها، من أشهر تصانيفه: "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر" و "عرف البشام فيمن ولي فتوى دمشق الشام" وغيرها الكثير. الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ٣ أجزاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٣)- مصطفى بن محمد طلس: مؤرخ، مولده ووفاته في حلب، اشتهر بكتابه "الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر". طلس، مصطفى بن محمد: الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، مخطوط محفوظ في معهد المخطوطات، المملكة العربية السعودية (٣٧ق)، رقم (٥٣٠٠)، ويوجد على هذا الرابط: <https://www.4shared.com/web/q/#quer>، ق ٢.

(٤)- حسن بن عبد اللطيف الحسيني المقدسي: ولد في القدس في العام ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، كان والده نقيباً للأشراف في القدس، ثم تولى المترجم منصب الإفتاء الحنفي في القدس لمدة ثلاثين عاماً، وتوفي في العام ١٢٢١هـ/١٨١٨م. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٢٤.

(٥)- عبد الرحمن بن حسن الجبرتي: ولد في القاهرة وتعلم في الأزهر الشريف، وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي باشا (١٢٢٠-١٢٦٤هـ/١٨٠٥-١٨٤٨م)، ومن أشهر آثاره: "عجائب الآثار في التراجم والأخبار" ويعرف بتاريخ الجبرتي. زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، د.ط، ١٩٣١م، ج ٤، ص ٢٨٣.

مصر للزواج، أو الانتقال مؤقتاً للاشتغال بالأعمال التجارية^(١). وبالنسبة لطلاب العلم الشيعة (أتباع المذهب الجعفري) فلم تذكر كتب الطبقات الخاصة بهم أي عملية انتقال بين الولايتين لطلب العلم^(٢). وعند الرجوع إلى المصادر المذكورة سابقاً، ورصد كل ما ذكر فيها من طلاب علم، كان لا بد من حصرهم، ومعرفة أعدادهم ووجهتهم عبر الجدول الآتي:

-
- (١) - حول حركة المسيحيين واليهود في القرنين السابع عشر والثامن عشر: بولس قرألي، الخوري: **السوريون في مصر**، جزآن، مطبعة جريدة العلم، لبنان، د.ط، ١٩٣٣م، ج ١، ٣٩-٥١. عبد الجبوري، أحمد: **القدس في العهد العثماني (١٦٤٠-١٧٩٩م)**، جزآن، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١١م، ج ٢، ص ٢٤٠-٢٦٣. العلبي، أكرم حسن: **يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق ٩٩١-١٣٣٦هـ/١٥٨٣-١٩٠٩م**، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط ١، ٢٠١١م، ص ٩٩. مجموعة مؤلفين: **المسيحية عبر تاريخها في المشرق**، إشراف جوزيف أبي نهر وحبیب بدر وسعاد سليم، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٦٥٥-٦٧٣.
- (٢) - الأمين، محسن: **أعيان الشيعة**، حققه وأخرجه حسن الأمين، ١٢ جزء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م، ج ١١، ص ١٥-١٦٤.

❖ الجدول رقم (١) نسبة الطلاب الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر:

في القرن الثامن عشر		في القرن السابع عشر		الرحلة إلى مصر
النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	
٢٧.٢%	٢٧	٣٨.٧٣%	٤٣	من دمشق
٢٢.٩١%	٢٢	٢٠.٧٢%	٢٣	من القدس
١٢.١%	١٢	٨.١%	٩	من حلب
٩.٣٧%	٩	٠	٠	من نابلس
٩.٣٣%	٨	٦.٨%	٧	من غزة
١%	١	٦.٣%	٥	من حماة
٠	٠	٣.٦%	٤	من بعلبك
٣.١٢%	٣	٠	٠	من الخليل
٠	٠	٢.٧%	٣	من نابلس
٠	٠	١.٨%	٢	من صفد
٠	٠	١.٨%	٢	من الرملة
٢%	٢	١.٨%	٢	من عجلون
٠	٠	٠.٩%	١	من بيروت
٠	٠	٠.٩%	١	من طولكرم
٣.١٢%	٣	٠.٩%	١	من طرابلس
٣.١٢%	٣	٠.٩%	١	من حمص
٢%	٢	٠.٩%	١	من البقاع
٢%	٢	٠.٩%	١	من صيدا
١%	١	٠	٠	من دير الزور
١%	١	٠	٠	من جنين
١٠٠%	٩٠	١٠٠%	١٠٦	العدد والنسبة

من خلال الجدول رقم (١) يمكن القول: إن مصر شهدت خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بالدرجة الأولى أكبر عملية انتقال من المرتحلين: الدمشقيين، والمقدسيين، والحلبيين إليها؛ وذلك لتلقي العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها في أكبر المراكز العلمية في القاهرة، وخاصة في الأزهر الشريف، أما بالنسبة للمرتحلين من باقي المناطق الشامية إلى مصر خلال مرحلة البحث، فقد كانت أقل نسبياً مقارنة مع المرتحلين: الدمشقيين، والمقدسيين، والحلبيين، ويعود السبب في ذلك حسب ما تؤكدته تراجمهم إلى اكتفاء طلاب هذه المناطق بالانتقال إلى المراكز العلمية الكبرى في بلاد الشام ك: الجامع الأموي في دمشق، أو الجامع الأموي في حلب، أو المسجد الأقصى في القدس؛ للأخذ عن علمائهم ومشايخهم والتبحر في العلوم هناك بعد إتمام تعليمهم الأولى في موطنهم دون السعي للسفر إلى ولايات مجاورة لطلب العلم.

١- المعاهد العلمية المصرية التي استقطبت طلاب بلاد الشام:

تركّز وجود طلاب العلم الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر في القاهرة، والتي عدّت أكبر مدن السلطنة العثمانية استقطاباً للطلاب بعد استانبول، لما تمتعت به من عراقة تاريخية ووضع اقتصادي وعلمي متميز في السلطنة العثمانية بأسرها؛ لذلك لا غرابة أن استقطبت أعداداً من الشوام؛ إما لمزاولة بعض الأنشطة الاقتصادية مثل: التجارة أو لمزاولة بعض الحرف، إلى جانب المجاورة في أشهر المراكز العلمية والدينية مثل: الأزهر الشريف، والخانقاه الصلاحية، وهو الجانب الذي سيتم تسليط الضوء عليه.

أ- الأزهر الشريف:

يعدُّ الأزهر الشريف من أشهر المساجد في العالم الإسلامي عامة، والأشهر في مصر، إذ قدّر له منذ إنشائه في العام ٣٥٩هـ/٩٧١م^(١) أن يكون حدثاً مهماً وموتلاً يقصده طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي حتى عدّوه كعبة العلم والعلماء في مصر، وقد قيل في هذا الصدد: "إن للمسلمين قبلتين: قبلّة دينية، وأخرى علمية، أما القبلة الدينية، فهي المسجد الحرام في مكة

(١) - بُني الأزهر الشريف بعد تأسيس مدينة القاهرة على يد جوهر الصقلي (ت ٣٨١هـ/٩٩٢م) قائد المعز لدين الله (٣٤١-٣٦٤هـ/٩٥٣-٩٧٥م) أول الخلفاء الفاطميين بمصر لغرض نشر المذهب الشيعي لكن ذلك لم يستمر طويلاً حيث أغلقه السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٧-١١٩٣م) لكونه من أهم مراكز نشر المذهب الشيعي، وما أن قامت سلطنة المماليك حتى أعادوا فتح الأزهر مرة أخرى لنشر المذهب السني ومنذ ذلك الوقت أصبحت مصر وأزهرها قبلة العلم والعلماء. مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج٤، ص ٥٨-٦٥. النابلسي، عبد الغني: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٨٦م، ص ٢٢٥.

المكرمة، وأما القبلية العلمية، فهي الأزهر الشريف في القاهرة^(١)؛ وهكذا فقد أدى دوراً مهماً في استمرار احتفاظ مصر بالريادة العلمية في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فبقي قبلية للطلاب والعلماء من أنحاء العالم الإسلامي عامة، ومن بلاد الشام خاصة، ويرجع اهتمام الشوام هذا إلى العلاقات القوية التي تربط بين الولايتين وتضرب بجذورها في أعماق التاريخ، حيث كانت مصر وبلاد الشام دولة واحدة في مراحل طويلة من التاريخ^(٢).

ونظراً لمكانة الأزهر العلمية وازدياد أعداد الطلاب الوافدين عليه، فقد أنشئ فيه حوالي (٢٩) رواق^(٣) سميت بأسماء البلاد التي وفد أبناؤها إلى الأزهر وأقاموا فيه لطلب العلم، ولكثرة الطلاب والعلماء المقيمين في هذه الأروقة فقد كانوا "لا يعرفون عن سكان الرواق الآخر حتى لغتهم، فالكل مشغول بعلمه وإذا أذن للصلاة والعظيمة لله فكانه يوم المحشر يحمل كل منهم كتبه وثوبه ويجدد وضوءه ويصلي ثم يعود إلى مذاكرة العلم"^(٤). وتميزت الدراسة في هذه الأروقة بالحرية التامة، فقد كفلت لطالب العلم الحرية في الدراسة، كأن يتتلمذ على من يريد من العلماء، وكان لكل طالب الحرية في أن يبقى في الأزهر ما شاء من الزمن.

وكانت طريقة التدريس في الأزهر الشريف تتم عبر الحلقات العلمية، حيث يجلس الأستاذ أمام العمود مستقبلاً القبلة، والطلبة حوله على هيئة حلقات^(٥)، وتنقسم هذه الحلقات إلى مراحل عدة: المرحلة الأولى: وهي مرحلة الكتاب، ويحفظ فيها الصغير القرآن الكريم كله عن ظهر قلب

(١) - الشناوي، عبد العزيز: الأزهر جامعاً وجامعة، مجلدان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٤م، مج ١، ص ٧٠٦.

(٢) - حول العلاقات بين مصر وبلاد الشام انظر: طقوش، محمد سهيل: تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩-٦٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨م، ص ٥١-٨٩. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام ٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ١٧٥-٢٣٣. عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ١، ١٩٧٦م، ص ٣٤١-٣٦٠.

(٣) - قام حول الأزهر الشريف حوالي ٢٩ رواق سميت بأسماء تلك البلاد التي وفد أبناؤها على الأزهر وأقاموا فيه لطلب العلم، ومن أشهرها: رواق السادة الشوام، ورواق الصعايدة، ورواق المغاربة، ورواق الحرمين، ورواق الأتراك، ورواق البغداديين، ورواق الريافة، وراق الحنابلة، ورواق الأقباط، ورواق الهنود، ورواق اليمنية. جلبي، أوليا: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش ١٠٨٢-١٠٩١هـ/١٦٧٢-١٦٨٠م، إشراف وتقديم محمد حرب، ترجمة حسين مجيب المصري وآخرون، راجعها وأكمل مواقفها ماجدة مخلوف، مجلدان، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م، مج ١، ص ٢٦١.

(٤) - جلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، مج ١، ص ٢٦١.

(٥) - مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٤، ص ٦٠.

عن طريق المؤدب والعريف، ويتعلم كذلك: الإملاء، والخطوط، والحساب، فإذا نجح في الامتحان الذي عُقد له، نُقل إلى المرحلة الثانية^(١) فيدرس فيها طالب العلم علوماً وشروحاً على الحواشي التي حفظها مع القرآن الكريم^(٢)، وفي المرحلة الثالثة: يدرس الطالب فيها علوماً أكثر اتساعاً وشمولاً من المرحلة السابقة، وربما يواصل الطلاب دراساتهم العليا أيضاً، حيث يتخصصون في أمهات الكتب التي تتناسب وعقولهم الكبيرة، التي يصل الكتاب الواحد منها إلى أجزاء كبيرة. وفي هذه المرحلة يتخصص في مادة ما كالفقه، أو التفسير، أو غيرهما، وقد يتخصص في: الوعظ والإرشاد، أو التدريس، أو القضاء، أو الإفتاء، أو غير ذلك بما يسمى بتخصص المهنة في الأزهر الشريف. وكان الطلاب عاكفين على دروسهم من أول اليوم إلى نهايته، حريصين كل الحرص على وقتهم حتى لا يضيع هباءً منثوراً. وكان الطالب بعد تخرجه يحصل على إجازة علمية؛ لتكون صكاً نافعاً ومفيداً عند عودته إلى وطنه^(٣).

وعلى الرغم من كثرة علماء الأزهر الكبار في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلا أن معظم الشوام في مرحلة البحث قصدوا علماء معينين لطلب العلم على يدهم، ومن أجل علماء مصر في القرن السابع عشر الشيخ إبراهيم اللقاني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)^(٤) الذي تميز "بسعة الإطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في الكلام، وكرس معظم وقته في التدريس والإفادة"^(٥)، فأخذ عنه من طلاب بلاد الشام أحمد بن محمد المعروف بالزريابي (ت ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م)^(٦)،

(١)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٩١.

(٢)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.

(٣)- وافي، علي عبد الواحد: لمحة في تاريخ الأزهر، كلية الآداب بالجامعة المصرية وأقسام التخصص بالأزهر، القاهرة، ط ٢، ١٩٣٦م، ص ٧٧.

(٤)- إبراهيم بن إبراهيم بن حسن الملقب برهان الدين اللقاني: ولد في لقانة (من قرى مصر) ثم انتقل إلى القاهرة منذ صغره، وأخذ على علماء عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦-٧.

(٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٦-٧.

(٦)- أحمد بن محمد المعروف بالزريابي الدمشقي: وُلِدَ بدمشق، ونشأ فيها، وقرأ على علماء عصره، ثم رحل إلى القاهرة، وتفقّه على البرهان اللقاني، ثم عاد إلى دمشق، وولي إفتاء المالكية والقضاء بمحكمة الباب. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٦.

والقاضي حسين بن محمود الزكاوي (ت ١٠٩٧هـ / ١٦٨٧م)^(١)، وعبد القادر بن أحمد المعروف بابن الغصين (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٨م)^(٢).

ومن علماء الأزهر الذين قصدهم طلبة بلاد الشام الشيخ أحمد بن أحمد الشوبري (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)^(٣) الذي أخذ عنه "جميع علماء الحنفية من أهل مصر والشام ما من أحد منهم إلا وأخذ عنه"^(٤)، وممن درس عنده من بلاد الشام: أبو المواهب الحنبلي الدمشقي (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٥م)^(٥)، وعبد الباقي المقدسي (ت ١٠٧٨هـ / ١٦٦٩م)^(٦)، وعيسى بن كنان الخلوتي (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م)^(٧).

(١) - حسين بن محمود الزكاوي الدمشقي: وُلِدَ بدمشق، وحصل علومه الأولية بها، ثم رحل إلى مصر، ودرس على البرهان اللقاني والشمس البابلي وغيرهم من علماء الأزهر، وبعد عودته إلى دمشق تولى قضاء الشافعية، وأفتى على مذهبهم. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١١٦.

(٢) - عبد القادر بن أحمد بن يحيى بن شعبان المعروف بابن الغصين الغازي الشافعي: وُلِدَ في غزة، ونشأ فيها، ثم رحل إلى مصر، وأخذ بها عن علماء الأزهر، ثم عاد إلى بلده، وأفاد بها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٣٧.

(٣) - أحمد بن أحمد الشوبري: ولد في القاهرة، ودرس منذ صغره في الأزهر الشريف على يد كبار مشايخه، حتى اشتهر وتصدر للإفادة والتدريس، فأخذ عنه عدد لا يحصى من طلاب مصر وبلاد الشام. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٧٤.

(٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٧٤.

(٥) - أبو المواهب محمد بن عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر بن عبد الباقي الحنبلي: ولد في دمشق وحصل علومه الأولية بها، ثم سافر إلى الحج ومن ثم مصر ولازم كبار علمائها ومشايخها حتى أجزى منهم، وبعد عودته إلى دمشق تصدر للإفتاء والتدريس في الجامع الأموي، وبقي يفيد طلبة العلم حتى وافاه أجله. الثعالبي، عيسى بن محمد: ثبت شمس الدين البابلي المسمى منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد ويليهِ المري الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي، تحقيق بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٢٢٠. الحنبلي، محمد بن عبد الباقي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٧، ١٦-١٧.

(٦) - عبد الباقي بن عبد الرحمن بن غانم المقدسي: وُلِدَ في القدس، وبدأ بتحصيل علومه الأولية فيها، ثم رحل إلى مصر، وأخذ العلوم على علماء الأزهر، وله مؤلفات كثيرة منها: "الرَّمز والسُّيُوف الصقال في رَقَبَة من يُنكر كرامات الأولياء بعد الإنتقال"، وبقي يفيد في مصر حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٨٥-٢٨٦.

(٧) - عيسى بن محمود بن كنان الخلوتي: وُلِدَ بصالحية دمشق، وفيها نشأ، ثم سافر إلى مصر، وطلب العلم على مشايخ الأزهر، ثم عاد إلى دمشق، وقطن في جامع الصابونية يفيد الطلاب حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٤٣.

واشتهر في الأزهر الشريف الشيخ سلطان بن أحمد سلامة المزاحي (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م)^(١) الذي وصف بأنه "إمام الأئمة وبحر العلوم وسيد الفقهاء وخاتمة الحفاظ والقراء فريد العصر وقدرة الأنام وعلامة الزمان المتبحر في العلوم الشرعية والعلوم العقلية"^(٢)، وممن قدم إليه من طلاب الشام صالح بن علي الصفدي (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٨م)^(٣)، ومحمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي (ت ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٦م)^(٤)، ومحمد بن يحيى البطني (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٥م)^(٥).

وبرز من علماء الأزهر الشريف الذين أفادوا في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية الشيخ محمد بن علاء الدين البابلي (ت ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م)^(٦)، وممن قصده من طلاب بلاد الشام لطلب العلم أبو بكر بن محمود العصفوري (ت ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م)^(٧)، وعبد الحي بن أحمد العكر

(١)- سلطان بن أحمد سلامة بن إسماعيل أبو العزائم المزاحي: ولد في القاهرة وحصل علومه الأولية فيها حتى جد واجتهد وأصبح من العلماء البارزين واشتغل بالعلوم العقلية على كبار شيوخ مصر وأجيز بالإفتاء والتدريس، فتصدر للتدريس في الأزهر الشريف فكان يجلس في كل يوم مجلساً يقرئ فيه الفقه إلى قبيل الظهر وبقيّة أوقاته لقراءة غيره من العلوم، وبقي يدرس في الأزهر حتى وافاه أجله. البرماوي، إلياس بن أحمد: إمتاع الفضلاء بترجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، تقديم محمد تميم الرّعي، جزءان، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ١٣٥-١٣٦.

(٢)- البرماوي: إمتاع الفضلاء بترجم القراء، ج ٢، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣)- صالح بن علي الصفدي الحنفي مفتي الحنفية بصفد: رَحَلَ إِلَى القاهرة وتَفَقَّه فيها على يد علماء الأزهر، ثم رَجَعَ إِلَى وَطَنه، فدرس وَأَفَاد، ووجهت الْفَتَوَى فِي صفد إِلَيْه وبقي فِي هذا المنصب حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٣٨.

(٤)- محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الحنفي مفتي الرملة: وُلِدَ فِي الرملة، ونشأ فيها، ثم رَحَلَ إِلَى مصر، ودرس فِي الأزهر الشريف، وأجازَه جَل شيوخه، ثم عاد إِلَى بلده، وتولى الْإِفْتَاء فيها، وبقي فِي هذا المنصب حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.

(٥)- محمد بن يحيى بن أحمد بن علي بن محمد الخباز المعروف بالطنيني الدمشقي الشافعي، كان في بداية أمره خَبَازاً فِي دِمَشق، فارتحل إِلَى مصر وجاور جَامِع الأزهر سِنِينَ طويلة، وَأَخَذ عَلَى يَد علمائه، وبعد عودته إِلَى دِمَشق دَرَس فِي فنون عدّة، فأَقْبِل عَلَيْهِ العامة والخاصة، وبقي يَفِيد وَيُجِيب حتى وافاه أَجَله. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٦٤.

(٦)- الثعالبي: ثبت شمس الدين البابلي، ص ٧-١٥.

(٧)- أبو بكر بن محمود بن أبي بكر بن أبي الفضل الشافعي الشهير بالعصفوري: وُلِدَ بِدِمَشق، ونشأ فيها، وقرأ العلم على كبار علماء دِمَشق، ثم رَحَلَ إِلَى القاهرة، وَأَخَذ بِهَا فِي الأزهر الشريف، وله شعر كثير جله مخطوط. المحبي، محمد أمين بن فضل الله: نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ٣ أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م، ج ١، ص ١٦٧.

(ت ١٠٨٨هـ / ١٦٧٨م) الشهير بابن العماد الحنبلي^(١)، ومحمد بن أحمد الأسطواني (ت ١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م)^(٢).

أما في القرن الثامن عشر، فكان من أشهر علماء مصر الذين قصدهم طلاب بلاد الشام؛ لأخذ العلوم الشرعية والعربية على يدهم الشيخ أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري (ت ١١٩٠هـ / ١٧٧٦م)^(٣) الذي تصدر للتدريس في الأزهر فقصده عدد لا يحصى من طلبة العلم^(٤)، وممن أخذ عنه من بلاد الشام: ياسين اللدي (ت ١١٩٠هـ / ١٧٧٧م)^(٥). واشتهر في الأزهر الشريف عبد الله بن محمد الشبراوي (ت ١١٧١هـ / ١٧٥٨م)^(٦) الذي تبحر في العلوم على

(١) - عبد الحي بن أحمد العكر الصالحي الدمشقي الشهير بابن العماد الحنبلي: وُلِدَ ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى مصر، وأخذ بالجامع الأزهر، وياشر بعد عودته إلى دمشق في الإفادة والتأليف، ومن أشهر مؤلفاته: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". الحموي، مصطفى بن فتح الله: فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق عبد الله محمد الكندري، ٤ أجزاء، دار النوادر، دمشق، ط ١، ٢٠١١م، ج ٤، ص ٥١٦-٥١٧. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٢) - محمد بن أحمد بن سليمان المعروف بالأسطواني الدمشقي الحنفي، وُلِدَ ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى مصر، وأخذ بها على يد علماء الجامع الأزهر، ثم عاد إلى دمشق، ولزم الدرس تحت قبة النسر بالجامع الأموي، وبقي يفيد الطلاب حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٣) - أحمد بن عبد المنعم الدمنهوري: وُلِدَ بدمنهور (من قرى مصر) وإليها نُسب، فعُرِفَ بأحمد الدمنهوري، ودرس في بلده، ثم رحل إلى القاهرة، والتحق بالأزهر، وتلقَّى فيه العلوم الشرعية واللغوية وغيرها على يد عدد من مشايخ الأزهر وعلمائه وأجيز منهم، حتى كبر شأنه، فأصبح يدرس في الأزهر الشريف. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١١٧-١١٨.

(٤) - خفاجي، محمد عبد المنعم، صبح، علي: الأزهر في ألف عام، ٦ أجزاء، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط ٣، ٢٠٠٦م، ج ٢، ص ١٥-١٦. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١١٧-١١٨.

(٥) - ياسين اللدي: وُلِدَ ونشأ نابلس، ثم رحل إلى الأزهر بالقاهرة، وأخذ عن جملة من الشيوخ الكبار، وأجازوا له، ثم رجع منها، وتوطن مدينته، "وتصدّر هناك للتدريس والإفادة في الجامع الشرقي المعروف بالوزير، فأفاد وأجاد ونفع العباد حتى وفاته". المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٦) - عبد الله بن محمد الشبراوي: وُلِدَ ونشأ في القاهرة، وورث حب العلم عن أبيه وجده منذ الصغر، فشبَّ شاعراً مرموقاً، وكاتباً فريداً، وعالماً واسع الاطلاع، تلقَّى دراسته في الأزهر، وتصدّر للتدريس فيه، ثم تولى مشيخته في العام ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م، فقصده طلاب العلم من مختلف الولايات المجاورة، وخاصة من بلاد الشام. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٠٧-١٠٨.

اختلاف أنواعها وأصنافها، وممن أخذ عنه من طلاب بلاد الشام^(١) أبو الفتح بن محمد بن العجلوني (ت ١١٩٣هـ / ١٧٨٠م)^(٢).

يضاف إلى ما سبق أن الأزهر الشريف قد تميز في مرحلة البحث بكونه ملتقى علماء المشرق بعلماء المغرب، حيث درس فيه علماء من المغرب العربي وبرعوا واشتهروا به، وأخذ عنهم عدد كبير من طلاب العلم، ومن أشهر علماء المغرب العربي الذين تصدروا للتدريس هناك الشيخ أحمد المقرئ (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م)^(٣) الذي انتقل إلى الأزهر الشريف وياشر التدريس في رواق المغاربة^(٤)، وتتميز عن غيره بسعة الاطلاع في العلوم الشرعية عامة وفي علم العقائد والحديث النبوي خاصة، فتوافد عليه عدد لا يحصى من طلاب العلم المصريين والشوام، وممن أخذ عنه من بلاد الشام القاضي حسين بن محمود الزكاوي (ت ١٠٩٧هـ / ١٦٨٧م) الذي حضر دروس المقرئ الخاصة في الحديث النبوي الشريف في رواق المغاربة^(٥)، ومنهم أيضاً عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٢م)^(٦) الذي لازم المقرئ في علم العقائد حتى برع وأجيز فيه^(٧).

(١) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٠٧-١٠٨.

(٢) - أبو الفتح بن محمد بن العجلوني: وُلِدَ في دمشق، وقرأ علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى القاهرة، وأكمل تعليمه على أيدي كبار الأزهر الشريف، ثم عاد إلى دمشق، وقرأ في الأموي، ولازم التدريس والإقراء والإفادة، ولزمه الطلبة للانتفاع والاستفادة، وأخذ عنه جم غفير، وبقي يفيد ويجيد حتى وافاه أجله. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٦٥.

(٣) - شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن المقرئ التلمساني: ولد ونشأ في تلمسان (بالمغرب)، ثم انتقل إلى فاس فكان خطيبها والقاضي بها، ثم انتقل إلى القاهرة وأفاد في الأزهر الشريف حتى وافاه أجله، ومن آثاره التي تركها "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب". المقرئ، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٦٨م، ج ١، ص ١٣-٥٦.

(٤) - رواق المغاربة: يقع هذا الرواق في الجانب الغربي من صحن الأزهر الشريف، ويعد من أكبر أروقة الأزهر وأشهرها، ويوجد به مساكن علوية وبئر ومطبخ وخزائن كتب كبيرة، ووقفت عليه أوقاف كبيرة لصالح مجاوريه القادمين من المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا. مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٤، ص ٢٢.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١١٦.

(٦) - عبد القادر بن مصطفى الصفوري: فقيه، محدث أصولي، نحوي، ولد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى القاهرة ولازم علماء الأزهر الشريف وأخذ عنهم العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٦٧.

(٧) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٦٧. للتفصيل حول دور المغاربة في المشرق العربي انظر: الصباغ، ليلي: الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، زغوان تونس، العدد ٨ و٧، يناير، ١٩٧٧م، ص ٧٨-٩٨.

واشتهر أيضاً من علماء المغرب العربي الذين أفادوا طلاب بلاد الشام في الأزهر الشريف الشيخ يحيى الشاوي (ت ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م)^(١) الذي انتقل إلى الأزهر الشريف لطلب العلم على مشايخه الكبار أمثال علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)^(٢) وسُلطان المزاحي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) والشمس البابلي (ت ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م) وأجيز منهم، ثم استقر به المقام في الأزهر، وتصدر للتدريس في رواق المغاربة، فلازمه عدد كبير من طلاب العلم المغاربة والمصريين والشوام، ومن أشهر الآخذين عنه من بلاد الشام محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) فقد أخذ عنه العلوم الشرعية عامةً وعلم التفسير خاصةً حتى برع بها وأجيز منه^(٣).

والجدير بالذكر أنَّ الطلاب الشوام تفوقوا على أقرانهم في الذكاء والفطنة حتى عُينوا معيدين لبعض دروس مشايخهم الكبار ك: محمد بن تاج الدين المقدسي (ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م) الذي انتقل من الرملة إلى الأزهر الشريف؛ لطلب العلم فيه، فأخذ على يد كبار علمائه مثل الشيخ حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)^(٤) حتى عُرفَ بذكائه على أقرانه، فأصبح معيداً لدروسه^(٥). وإبراهيم بن مصطفى الحنفي (ت ١١٩٠هـ/١٧٧٧م) الذي انتقل من حلب متوجهاً إلى القاهرة، فطلب العلوم العقلية والشرعية على كبار الأزهر مثل الشيخ علي الضرير^(٦) الذي أخذ العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها، وتفوق فيها على أقرانه حتى أصبح معيداً لدروسه^(٧). وإجمالاً لما سبق

(١)- يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله، أبو زكريا الشاوي الجزائري: ولد في مليانة وتعلم في الجزائر، ثم انتقل إلى مصر لطلب العلم حتى أصبح من أشهر المفسرين آنذاك، من آثاره "توكيد العقد فيما أخذ الله علينا من العهد" و"شرح التسهيل لابن مالك". الحنبلي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص ٩١-٩٢. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٨٦.

(٢)- علي بن أبي الضياء نور الدين الشبراملسي الشافعي: ولد ونشأ في القاهرة، ونبغ في علم القراءات واشتهر به. البرماوي: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، ج ٢، ص ١٧١-١٧٣.

(٣)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٨٧.

(٤)- حسن بن عمار الشرنبلالي: ولد في سبرى بلولة (بلدة تجاه منوف العليا بإقليم المنوفية)، ثم انتقل مع والده وهو صغير السن إلى القاهرة، فنشأ فيها ودرس في الأزهر الشريف حتى أصبح من أعيان الفقهاء وفضلاء عصره في الفقه ونصوصه وقواعده، درّس في الأزهر، فانتفع به خلقٌ كثيرٌ. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٨.

(٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.

(٦)- علي الضرير: وُلِدَ ونشأ في القاهرة، ثم انتقل إلى الأزهر، وأخذ على أيدي علماء عصره، حتى أصبح يُشار إليه بسعة الإطلاع في علم الحديث والدراية والتبحر في الكلام، وقد كرس معظم وقته للتدريس والإفادة، فأخذ عنه الطلاب من مختلف الولايات المجاورة وخاصة من بلاد الشام. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

(٧)- المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٣٧-٣٨.

يمكن القول: إنّ الأزهر الشريف بقي على امتداد القرنين السابع عشر والثامن عشر يشكل الركن الأساسي من أركان الحياة الثقافية والعلمية في أنحاء العالم الإسلامي، مما أسهم في توثيق العلاقات العلميّة بين مصر وبلاد الشام في ظل الحكم العثماني.

ب- الخانقاه الصلاحية:

الخوانق جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معربة عن الخان وهو البيت أو الدير أو المعبد، والمقصود بها: تلك الدور التي تسكنها الصوفية، وتجري عليها الأرزاق، ويشرف عليها العلماء والشيوخ، ويتم فيها التفرغ للعبادة والذكر والعلم والتعليم^(١)، وقد اشتهرت مصر بكثرة الخانقاوات فيها، ومن أشهرها: الخانقاه الصلاحية أو خانقاه سعيد السعداء التي بناها سعيد السعداء (ت ٥٤٤هـ/ ١١٥٠م)^(٢) خادماً للخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م)^(٣)، وحولها السلطان صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢-٥٨٩هـ/ ١١٣٧-١١٩٣م) إلى دار إقامة مخصصة لسكن الصوفية الغرباء الوافدين من مختلف الولايات واستقبالهم، فضلاً عن صوفية القاهرة بعد أن جهزت بكافة المستلزمات المطلوبة لغرض التفرغ للعبادة، وهذا ما جعلها تحظى بمكانة متميزة ليس في مصر فحسب بل في كافة أرجاء الولايات العربية، إلى جانب كونها أول خانقاه أنشئت في مصر^(٤).

ونظراً لشهرتها التي فاقت مصر فقد قصدها عدد من طلاب العلم ليس لإقامة الذكر والتعبد فحسب بل للتعمق بالعلوم الشرعية على يد شيخ الخانقاه آنذاك محمد بن أحمد الغيطي

(١) - الجواليقي، موهوب بن أحمد: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م، ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) - يعرف بـ بليان أو عنبر، ولقبه سعيد السعداء: وهو أحد المحنكين، خدام القصر، عتيق الخليفة المستنصر بالله الفاطمي (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م). مبارك: **الخطط التوفيقية**، ج ٤، ص ١٠٢.

(٣) - هو أبو تميم معد بن الظاهر المعروف بالمستنصر بالله بن علي الظاهر لإعزاز دين الله وهو الخليفة الفاطمي الثامن، والإمام الثامن عشر في سلسلة أئمة الشيعة الإسماعيلية. المقرئ، أحمد بن علي: **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، ٣ مجلدات، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط ٢، ١٩٩٦م، مج ٢، ص ١٨٤-١٨٥.

(٤) - سامح، كمال الدين: **العمارة الإسلامية في مصر**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٣م، ص ٣٦. المقرئ: **المواعظ والاعتبار**، ج ٤، ص ٢٨٢-٢٨٤.

(ت ٩٦٨هـ / ١٥٦١م)^(١) المشهور بمعرفته بالعلوم الشرعية عامةً وعلم الحديث والتفسير خاصةً، وهذا ما زاد من تفردها في القرن السابع عشر إذ إنها لم تُخصص للمتصوفة فقط بل استقطبت طلاب العلم المصريين والشوام لطلب العلم فيها. وممن قصدها من دمشق إبراهيم بن محمد العمادي (ت ١٠٠٨هـ / ١٦٠٠م)^(٢) الذي "رحل إلى مصر وأخذ بها الحديث عن النجم الغيطي"^(٣)، ومن حماة إبراهيم بن علي بن أحمد السعدي (ت ١٠١١هـ / ١٦٠٣م)^(٤) الذي ارتحل إلى الخانقاه للتعلم "بالحديث الشريف على النجم الغيطي"^(٥)، وأبو الوفا بن معروف (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م)^(٦) الذي انتقل لملازمه النجم الغيطي في الحديث الشريف إلى جانب طلبه للعلم في الأزهر الشريف^(٧)، ومحمد بن أبي بكر بن داود^(٨) الذي ارتحل إلى مصر للتعلم بالعلوم الشرعية على الغيطي^(٩)،

(١) - محمد بن أحمد الغيطي: وُلِدَ في بلدة غيط العدة أو أبي الغيط بمصر، ثم انتقل إلى القاهرة للتحصيل، حتى كبر شأنه، فدرس في حياة مشايخه بإذنهم، فأصبح من أشهر علماء مصر في علم الحديث والتفسير والتصوف وتولى مشيخة الخانقاه الصلاحية، فوفد عليه عدد لا يحصى من طلاب عصره، وبقي على ذلك حتى وافاه أجله. ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، مج ٨، ص ٤٠٣. **كحالة: معجم المؤلفين**، ج ٨، ص ٢٩٣.

(٢) - إبراهيم بن محمد العمادي الملقب برهان الدين ابن كسبائي الفقيه الحنفي الدمشقي: وُلِدَ في دمشق، وأخذ القراءات العشر من طريق النشر وغيره عن كبار عصره، ثم انتقل إلى القاهرة؛ لطلب العلم في الأزهر الشريف والخانقاه الصلاحية حتى أُجيز منهم، ثم عاد إلى دمشق، وكان له بقعة بالجامع الأموي، وولي التدريس في المدرسة الأتابكية وأفاد بها طلاب العلم. "الحموي: **فوائد الارتحال**، ج ٣، ص ١٣٦-١٣٧. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

(٣) - المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

(٤) - إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدي المعروف بابن كاسوحة: وُلِدَ في حماة، ثم انتقل إلى دمشق؛ للتحصيل العلمي، وكان يتردد إلى القاهرة للتجارة، ولقي فيها الجلة من علماء الأزهر والخانقاه الصلاحية، وأخذ عنهم، ثم عاد إلى دمشق وتوفى فيها. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٣١.

(٥) - المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٣١.

(٦) - أبو الوفا بن معروف الحموي الشافعي الخلوتي الطريقة: قرأ في حماة على كبار عصره، ثم انتقل إلى القاهرة وأخذ العلم عن علماء الأزهر والخانقاه الصلاحية، حتى كبر شأنه، فعاد إلى بلاده وأصبح من كبار الصوفية، فتوافد عليه أعيان حماة؛ للأخذ عنه وبقي على ذلك حتى وفاته. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٧) - المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ١٥٤-١٥٥.

(٨) - محمد بن أبي بكر بن داود بن عبد الرحمن العلواني الحموي: المشتهر بمعرفته في الفنون خصوصاً: التفسير، والفقه، والنحو، والمعاني، والفرائض، والحساب، والمنطق، والحكمة، والفنون الغريبة، ك: الزايرجا والرمل وغير ذلك، ثم انتقل إلى القاهرة؛ لطلب العلم في الأزهر الشريف والخانقاه الصلاحية حتى أُجيز منهم، ثم انتقل إلى دمشق وتولى فيها مناصب عدة: علمية، ودينية مهمة، وبقي فيها حتى وفاته. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٣، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٩) - المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٣، ص ٣٢٢-٣٢٣.

ومن البقاع أحمد بن محمد البقاعي (ت ١٠٤٥هـ / ١٦٣٥م)^(١) الذي رحل إلى مصر وأخذ عن الجلة من علمائها كالنجم الغيطي حتى برع في الحديث^(٢)، ومن غزة علي الغزي الملقب علاء الدين (ت ١٠٠١هـ / ١٥٩٣م)^(٣) الذي أخذ العلم عن النجم الغيطي إلى جانب مجاورته الأزهر الشريف^(٤)، ومن القدس محمد بن داود القدسي (ت ١٠٠٦هـ / ١٥٩٨م)^(٥) الذي تبحر في العلوم الشرعية على يد الغيطي وكبار علماء الأزهر^(٦)، ولكون الخانقاه الصلاحية اشتهرت بتدريسها لطلاب العلم فقد أطلق عليها أيضاً "جامع الخانقاه" و"مدرسة سعيد السعداء"^(٧)، أما في القرن الثامن عشر فلم تذكر كتب التراجم أي عملية انتقال من بلاد الشام إلى مصر للدراسة في الخانقاه الصلاحية، إذ اقتصر انتقالهم إلى الأزهر فقط، وهذا ما يؤكد أن الأزهر الشريف لاقى الأهمية الكبرى في مرحلة البحث دون غيره من المعاهد العلمية الأخرى في مصر^(٨).

ج- المعاهد العلمية الأخرى:

بعد العودة إلى المصادر التي تتعلق بالمرحلة ودراستها وتصنيفها تبين أن عملية انتقال الطلاب الشوام إلى مصر انحصرت في الأزهر الشريف والخانقاه الصلاحية فقط، إذ لم تذكر المصادر أي معهد علمي آخر تم الانتقال إليه من طلاب بلاد الشام في مرحلة البحث، وهذا ما يؤكد أن الأزهر الشريف لاقى اهتماماً كبيراً ليس من المصريين فحسب، بل من الشوام أيضاً، وذلك من خلال توفير ما يخدمهم في علمهم وما يساعدهم على الارتقاء به، إلى جانب كونه ملتقى

(١) - أحمد بن محمد البقاعي العرعاني نزيل دمشق: كان من أجل العلماء له الشهرة التامة في الحديث والرواية، أخذ بالشام عن كبار علمائها، ثم رحل إلى مصر في طلب الحديث، وأخذ عن الجلة من علمائها، ورجع إلى دمشق واستقر في الزاوية الغزالية يفيد الناس وانتفع به خلق كثير. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٥.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٥.

(٣) - علي الغزي القاهري الشافعي الملقب علاء الدين: ولد ونشأ في غزة، ثم انتقل إلى القاهرة، ولازم علماء الأزهر والخانقاه الصلاحية حتى صار من فضلاء المصريين، ثم انتقل إلى حلب واشتغل بالتجارة وبقي فيها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٥) - محمد بن داود المنعوت شمس الدين بن صلاح الدين الداودي القدسي الدمشقي الشافعي: قرأ بالقدس على أبيدي علماء عصره، ثم رحل إلى مصر، وأخذ عن جماعة من علماء الأزهر الشريف والخانقاه الصلاحية، ثم انتقل إلى دمشق وتولى فيها مناصب عدة: علمية، ودينية مهمة، وبقي فيها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦.

(٦) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٤٥-١٤٦.

(٧) - مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٤، ص ٦٠.

(٨) - المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٧-٢٩٠.

علماء المشرق بعلماء المغرب، أما بالنسبة للخانقاه الصلاحية، فقد لاقت وفود بعض طلاب بلاد الشام في القرن السابع عشر لأهميتها التي اكتسبتها من خلال تدريس العلوم الشرعية فيها، التي تفردت بها عن باقي خانقاوات مصر.

٢ - أماكن الإقامة:

قصد الطلاب الشوام في الأزهر الشريف الرواق الخاص بهم الذي عُرف بـ "رواق السادة الشوام" أو "رواق الشوام" للإقامة فيه حتى انتهاء مدة دراستهم، ويقع هذا الرواق إلى يمين الداخل من باب الشوام، وبابه في المقصورة القديمة، ويشتمل على كل ما يلزم طلاب العلم من: مساكن خاصة بهم بلغ عددها حوالي ثلاثين حجرة، وبئر، وصنابير داخلية، وخلوة للتعبد، ومطبخ مخصص لفقراء هذا الرواق إذ كان يقدم لهم "صباحاً ومساءً صحناً من حساء الأرز والعدس ورغيف خبز، وفي كل ليلة جمعة يُقدم إليهم الأرز واللحم بالبصل والحلو"^(١). فضلاً عن احتواء هذا الرواق على خزنة كتب بلغ عدد محتوياتها حوالي (٢١٠٠) مجلد، وكانت الاستعارة الخارجية للكتب متاحة لطلبة جميع الأروقة في الأزهر، ويعدُّ هذا الرواق أكبر أروقة الأزهر وأكثرها ازدحاماً بالطلبة، وقد أنشأه السلطان قايتباي الأشرفي (٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م)^(٢) أحد سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤هـ / ١٣٨٢م)، وأوقف عليه الأميران عثمان القازدغلي (ت ١١٤٩هـ / ١٧٣٦م)^(٣).

(١) - جلبلي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، مج ١، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٢) - السلطان المملوكي قايتباي: هو السلطان قايتباي الأشرفي المحمودي الظاهري أبو النصر سيف الدين، جركسي الأصل، جلبه إلى مصر التاجر محمود بن رستم في العام ٨٢٩هـ / ١٤٢٥م فاشتره الأشرف برسباي، ثم انتقل ملكه إلى الظاهر جقمق ولذلك ينسب إلى الأشرف برسباي، وإلى تاجره محمود وإلى الظاهر جقمق، فيقال: الأشرفي المحمودي الظاهري، ثم أعنته الظاهر جقمق واستخدمه في جيشه فأخذ يترقى في المناصب حتى وصل إلى عرش السلطنة في العام ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م، وكانت مدة حكمه البالغة ٢٩ عاماً حافلة بالحروب فأنفق أموالاً عظيمة على تجهيز الجيوش، وتعرضت البلاد للعديد من الأخطار الخارجية أشدها الخطر العثماني، أما بالنسبة للعمارة فقد ازدهرت في عهده ازدهاراً عظيماً وينسب إليه ما يزيد على سبعين منشأة ما بين تشييد أو تجديد ولا تزال بعض آثاره باقية إلى الآن، توفي السلطان قايتباي في القاهرة في العام ٩٠١هـ / ١٤٩٦م. عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) - الأمير عثمان كتحدا القازدغلي والد الأمير عبد الرحمن كتحدا صاحب المنشآت المعمارية العديدة بالقاهرة، تغلب في عدة وظائف إلى أن عُين كتحدا "وكيلاً للوالي" في القاهرة. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ١٥٩-١٦٠.

وعبد الرحمن القازدغلي (ت ١١٨٩هـ/١٧٧٦م)^(١) في القرن الثامن عشر أوقافاً جارية على طلابه^(٢).

٣- مصادر الدخل والإنفاق:

أما مصادر دخل الشوام، فقد اختلفت من طالب لآخر، فقد اعتمد بعض الطلاب على ما كان يقدم لهم من الأزهر الشريف من متطلبات عيشهم إذ كان يُصرف لهم كل يومين ثمان مائة وستة وخمسون رغيفاً إلى جانب المرتبات النقدية التي تُصرف لهم في أول كل شهر هجري^(٣)، وهذا حال الغالبية منهم، والبعض منهم اعتمدوا على ما كان يمدونهم به الأهل كالشيخ محمد بن عثمان الصيداوي (ت ١٠٥٦هـ/١٦٤٧م)^(٤)، الذي كان يأتيه من أبيه "...دنانير من الذهب، فيصرفها على أصدقائه، ويطعمهم بها لذيذ الأطعمة، ويأخذهم إلى الأماكن للفرحة..."^(٥)، والشيخ علي المعروف بالنجار الدمشقي^(٦) "الذي كان والده نجاراً ينفق عليه وهو مشغول بالعلم"^(٧)، ومحمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني (ت ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م)^(٨) "الذي كان أبوه ذا ثروة عظيمة، فكان يصله بكل ما يحتاج إليه من مال ومتاع"^(٩).

-
- (١)- الأمير عبد الرحمن بن حسن جاويش القازدغلي، اشتهر باسم عبد الرحمن كتحدا، تدرج في المناصب العسكرية حتى عُين كتحدا مصر، اشتهر في مصر بعمارتته وأوقافه الكثيرة. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ١٦٨. مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٥، ص ٨٩-٩١.
- (٢)- مبارك: الخطط التوفيقية، ج ٥، ص ٩٠-٩١.
- (٣)- الشناوي: الأزهر جامعاً وجامعة، مج ١، ص ٢٦٠-٢٦١.
- (٤)- محمد بن عثمان الصيداوي: وُلِدَ في صيدا، وحصل علومه الأولية بها، ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ عن علمائها، وأقام مدة بجامع الأزهر، وبرع في كل الفنون، واشتهر صيته، وكان مع تغربه ذا وجهة وإيثار على طلبة الأزهر، ثم انتقل إلى دمشق ودرس في بقعة بالجامع الأموي، وبقي يفيد فيها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٦-٣٧.
- (٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٦-٣٧.
- (٦)- علي المعروف بالنجار الدمشقي الصالحي الشافعي: وُلِدَ في دمشق، وحصل علومه الأولية فيها، ثم رحل إلى مصر، وأقام فيها سبع سنين، فأخذ على أيدي كبار علمائها حتى أجازه، ثم رجع إلى دمشق، فأجتمع إليه الطلاب للقرأة وانتفعوا به. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٠١.
- (٧)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٠١.
- (٨)- محمد بن تاج الدين بن أحمد المحاسني الدمشقي الحنفي: ولد ونشأ في دمشق، وقرأ على أيدي علماء عصره، وسافر إلى الروم ومصر مع والده، وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى موطنه وولي التدريس في الجامع الأموي وبقي يفيد طلاب العلم حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩.
- (٩)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٠٨.

ومنهم من اعتمد على نفسه لإكمال تحصيله العلمي، وذلك باشتغاله بالأعمال التجارية إلى جانب دراستهم في الأزهر، مثل أبي بكر بن أحمد الجوهري الدمشقي (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م)^(١) الذي سافر إلى مصر لإتمام تحصيله العلمي واشتغل فيها بالتجارة^(٢)، ومنهم تاج الدين بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي (ت ١٠٦٠هـ/ ١٦٥٠م)^(٣) الذي "تردد إلى مصر للتجارة وللتحصيل العلمي"^(٤)، ومنهم أيضاً رجب بن حسين بن علوان الحموي (١٠٨٧هـ/ ١٦٧٨م)^(٥) "الذي رحل في أول أمره إلى القاهرة واستفاد من أربابها المشهود لهم فيها بالتفوق وتعاطى التجارة"^(٦)، ومنهم عبد القادر الدمشقي المعروف بابن سوار (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)^(٧) الذي كان في بداية أمره يسافر إلى القاهرة للتجارة فحضر في الأزهر الشريف مجلس النبي ﷺ وتأثر به، وعند عودته إلى موطنه أصبح من المشتغلين فيه فلازمه طلاب العلم والمتصوفة للانتفاع^(٨).

ومن طلاب العلم التجار الذين رحلوا إلى مصر واستفادوا من هذه الرحلة محمد بن عثمان بن محمد الهوش الدمشقي (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨١م)^(٩) الذي رحل إلى مصر "وأكثر ترده إليها

(١)- أبو بكر بن أحمد بن علاء الدين بن مُحَمَّد بن عمر الدمشقي المعروف بابن الجوهري: ولد في دمشق وحصل علومه فيها، ثم ارتحل إلى القاهرة للتجارة ولطلب العلم، وله شعر كثير جله مخطوط. الحصني، محمد أديب: **منتخبات التواريخ لدمشق**، قدم له كمال الدين سليمان الصليبي، ٣ أجزاء، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١، ١٩٧٩م، ج ٢، ٦٠١. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٨٦.

(٢)- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٨٦.

(٣)- تاج الدين بن أحمد المعروف بابن محاسن الدمشقي: ولد ونشأ في دمشق، ومارس الأعمال التجارية في دمشق، ثم انتقل إلى مصر للتجارة إلى جانب المجاورة بالأزهر الشريف. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٤٥٦.

(٤)- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٤٥٦.

(٥)- رجب بن حسين بن علوان الحَمَوِيّ: ولد ونشأ في حماة، ويعد من أشهر علماء عصره في العلوم الرياضية و علم الفلك والموسيقى والفرائض، رحل إلى القاهرة وجاور في أزهرها الشريف للتعلم بالعلوم على اختلاف أنواعها، ثم قدم دمشق وانتفع به خلق كثير من فضلائها في هذه الفنون وبقي يفيد أعيان دمشق حتى وفاته. الحموي: **فوائد الارتحال**، ج ٤، ص ١٥٥. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٢، ص ١٦١.

(٦)- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٢، ص ١٦١.

(٧)- عبد القادر بن محمد المعروف بابن سوار الدمشقي: وُلِد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى مصر واشتهر بعد عودته إلى موطنه إثر ذلك بقراءته المولد النبوي. الحصني: **منتخبات التواريخ**، ج ٢، ص ٥٩٦. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٨)- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٢، ص ٤٥٤.

(٩)- محمد بن عثمان بن محمد بن علي الهوش الدمشقي الصالحي الشافعي: ولد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها، ثم رَحَلَ إلى مصر للاشتغال بالأعمال التجارية إلى جانب المجاورة بالأزهر الشريف. الحموي: **فوائد الارتحال**، ج ١، ص ٤٥٣. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٤، ص ٣٧.

وكان من أختيار التجار ومع ذلك انتقل إلى الأزهر لإكمال تحصيله العلمي على جهازة علمائه حتى أجازوه فيما حصله^(١)، كما رحل إلى القاهرة محمود بن عبد الحميد الصالحي (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م)^(٢) لطلب العلم مع التجارة^(٣)، ورحل أيضاً مصطفى بن سعد الدين القبيباتي^(٤) الذي "اشتهر بتجارة الصابون وبيع الحرير في مصر"^(٥)، ويوسف بن عمران الحلبي (ت ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٤م)^(٦) الذي انتقل إلى مصر للتجارة "فأعجبه الأدباء في عصره وتشبه بهم حتى أدركته حرفة الأدب فأصبح شاعراً مشهوراً"^(٧). أما في القرن الثامن عشر فلم تذكر كتب التراجم من الطلاب الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر أحداً سافر إلى مصر للتحصيل العلمي إلى جانب مهنة التجارة، إذ اكتفوا بما يخصصه الأزهر الشريف لهم للتفرغ للتحصيل العلمي وملازمة العلماء.

غير أن البعض الآخر من طلاب بلاد الشام الذين انتقلوا إلى مصر لطلب العلم، فقد اعتمدوا في الإنفاق على تحصيلهم العلمي في الأزهر الشريف وفي تنقلاتهم في مصر على ما ورثوه من أموال وفيرة من أسرهم مثل الشيخ محمد بن محمد الجوشي الشافعي

(١)-المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٧.

(٢)-محمود بن عبد الحميد المنعوت بنور الدين الحميدي الصالحي الحنبلي كان فاضلاً فقيهاً متمكناً اشتغل بالعلم ولد ونشأ في دمشق، وسافر إلى القاهرة لطلب العلم إلى جانب التجارة، ثم عاد إلى دمشق فولي قضائها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣١٨.

(٣)-المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣١٨.

(٤)-مصطفى بن سعيد الدين بن محمد بن حسين بن حسن الجبائي الدمشقي القبيباتي ولد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها ثم سافر إلى القاهرة واشتغل بالتجارة إلى جانب العلم، وبقي فيها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٧٣-٣٧٤.

(٥)-المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٧٣.

(٦)-يوسف بن عمران الحلبي الشاعر المشهور: ولد ونشأ في حلب، ثم سافر إلى القاهرة لطلب العلم ولممارسة الأعمال التجارية. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٥٠٦.

(٧)-المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٥٠٦.

(ت ١٠٢٢هـ/ ١٦١٤م)^(١) الذي كان "والده متمولاً، وبقي ماله بعد موته في يد المذكور وأخيه يتعاونان في تنميته..^(٢)" وتابع تحصيله العلمي في مصر مستفيداً من هذه الثروة^(٣).

وإجمالاً لما سبق يمكن القول أن بعض طلاب بلاد الشام تطلّعون عند انتقالهم إلى مصر لطلب العلم إلى تحسين مستواهم المعيشي اقتصادياً ورأوا أن أقصر الطرق إلى ذلك ممارسة النشاط التجاري، بينما اكتفى بعضهم الآخر بما حصلوه من عائلتهم أو بما حصلوه من مستلزمات معيشتهم في الأزهر الشريف، وتفرغوا للتحصيل العلمي، وهذا ما ساعد في توثيق العلاقات العلمية والاقتصادية بين مصر وبلاد الشام في ظل الحكم العثماني.

٤ - مراسم إنهاء الدراسة وأخذ الإجازات:

كان للطلاب والعلماء الشوام في الأزهر الشريف مراسم خاصة بهم عند انتهائهم من الدراسة ونيل الإجازات العلمية تميزهم من غيرهم من الوافدين إلى الأزهر، إذ كانوا يحتفلون في الأزهر قبيل عودتهم إلى بلادهم بدعوة أصدقائهم ومحبيهم من الطلبة والمشايخ، "ويوقدون الرواق بالشموع ويفرشونه بقدر استطاعتهم، فيجتمعون عنده ويُطاف عليهم بالقهوة والشرابات، وينشدون بالمجلس قصيدة أو أكثر تشتمل على مدحه والتنويه بغزارة علمه وكثرة فضله"^(٤) ثم يودعون الطالب أثناء ذهابه متمنين له التفوق في موطنه^(٥)، ومن أشهر الطلاب الشوام الذين أقيم لهم احتفال في رواق السادة الشوام الشيخ أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي (ت ١١٢٦هـ/ ١٧١٥م) الذي ختم القرآن من طريق الشاطبية على شيخه محمد البقري (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)^(٦)، ونتيجة

(١) - محمد بن محمد شمس الدين بن الجوشي الشافعي: ولد في دمشق، وتعلم بها، ثم ارتحل إلى مصر لطلب العلم في الأزهر الشريف حتى برع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. الحموي: فوائد الارتحال، ج ١، ص ١٠٦. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٦٥.

(٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٦٥-١٦٦.

(٤) - مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٤، ص ٢٩.

(٥) - مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٤، ص ٢٩.

(٦) - محمد بن قاسم بن إسماعيل البقري الشناوي نسبته إلى "تذلة البقر" أو "دار البقر" من قرى مصر التي ولد فيها، ونشأ فيها، ثم انتقل إلى القاهرة ولازم علماء الأزهر الشريف حتى برع في علم القراءات وأفاد طلاب العلم فيه. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ٦٦. الحنبلي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص ١٠٠-١٠١.

لذلك فكانت مكافأة شيخه البقري بأن أقام له "ختماً حافلاً في يوم مشهود حضر فيه علماء العصر^(١)".

ثالثاً: ارتحال طلاب العلم من مصر إلى بلاد الشام:

لم تكن العلاقات العلمية بين مصر وبلاد الشام وليدة القرنين السابع عشر والثامن عشر فحسب كما سبق وذكر، بل كانت امتداداً لعلاقات استمرت منذ القدم بين بعضهما البعض، إذ سعى طلاب العلم المصريون إلى الانتقال إلى بلاد الشام لأخذ العلم على أيدي كبار علمائها ومشايخها وفقهائها، وكانت وجهتهم الرئيسة نحو القدس ودمشق التي ضمت أشهر المعاهد العلمية الإسلامية الكبرى: (المسجد الأقصى في القدس، الجامع الأموي في دمشق...)، لكن هذه العلاقات لم تسر في وتيرة واحدة بل شهدت مراحل قوة أحياناً وضعف أحياناً أخرى، ومرد ذلك إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية التي مرت بها كلتا الولايتين.

استمرت الرحلات العلمية المصرية إلى بلاد الشام في العصر العثماني ولم يتغير الوضع عن سابق عهده لكن بنسب قليلة مقارنةً مع الرحلات العلمية التي انطلقت من بلاد الشام إلى مصر، ومن خلال تتبع ما ذكرته كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة التي ترجمت لأعلام القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي ذكرت تراجم الطلاب المصريين الذين ارتحلوا إلى بلاد الشام ووضحت نسبهم، وأماكن دراستهم، وإقامتهم، ومصادر دخلهم وإنفاقهم... الخ، وهذه المصادر هي: كتاب محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م): "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، وكتابه: "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة"، ومخطوطته: "فيض المنان في تراجم أعيان الزمان". وكتاب الحسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م): "تراجم الأعيان من أبناء الزمان"، وكتاب مصطفى بن فتح الله الحموي (ت ١١٢٣هـ/ ١٧١١م): "قوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر"، وكتاب محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م): "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"، ومخطوطة مصطفى بن محمد طلس (ت ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م): "الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر"، وكتاب حسن بن عبد اللطيف الحسيني (ت ١٢٢١هـ/ ١٨١٨م): "تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري"، وكتاب عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م): "عجائب الآثار في التراجم

(١) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٦٦.

والأخبار". أما بالنسبة للطلاب المسيحيين واليهود في هذه المرحلة، فلم تتم أي حركة انتقال من مصر إلى بلاد الشام لطلب العلم، إذ اقتصر انتقالهم على الاستقرار في بلاد الشام للزواج، أو الانتقال مؤقتاً للاشتغال بالأعمال الصناعية والحرفية، وهذا ما تؤكد المصادر والمراجع الخاصة بهم^(١).

❖ الجدول رقم (٢) نسبة الطلاب الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر:

الرحلة إلى بلاد الشام		في القرن السابع عشر		في القرن الثامن عشر	
العدد	النسبة %	العدد	النسبة %	العدد	النسبة %
٩	٨.٩١%	١١	٣٩.٢٨%	من مصر إلى دمشق	
٩	٨.٩١%	.	.	من مصر إلى القدس	
.	.	١	٣.٥٧%	من مصر إلى حلب	
.	.	١	٣.٥٧%	من مصر إلى صيدا	
١٨	١٠٠%	١٣	١٠٠%	العدد والنسبة	

من خلال الجدول رقم (٢) يمكن القول: إن بلاد الشام شهدت خلال مرحلة البحث في القرن السابع عشر حوالي (١٨.٨١%) من الطلاب المصريين، أما في القرن الثامن عشر، فقد ازدادت نسبتهم ووصلت إلى (٤٦.٤٢%)، وبالرغم من ازدياد نسبتهم في القرن الثامن عشر إلا أن أعداد الطلاب المصريين المنتقلين إلى بلاد الشام بقيت ضئيلة مقارنة مع الطلاب الشوام الذين انتقلوا إلى مصر، ويعود السبب في ذلك حسب ما ورد في كتب التراجم الخاصة بهم إلى اقتصار انتقال طلاب العلم المصريين إلى الأزهر الشريف لتلقي العلم فيه؛ لكونه جامعاً لعلماء المشرق والمغرب،

(١) - العلي: يهود الشام، ص ٩٩. مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ص ٦٥٥-٦٧٣.

وبذلك يكون الطالب بعد تخرجه من الأزهر الشريف قد درس على أيدي كبار العلماء الوافدين إلى الأزهر الشريف وجمع معارفهم دون الحاجة إلى الرحلة في طلب العلم إلى ولايات مجاورة.

١- المعاهد العلمية الشامية التي استقطبت طلاب مصر:

سعى معظم الطلاب المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى الانتقال إلى أكبر المراكز العلمية والدينية لطلب العلم فيها وخاصة في دمشق وبيت المقدس، لكن نسبتهم بقيت قليلة مقارنةً بالطلاب الشوام المرتحلين إلى مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وتبعاً لما ذكرته المصادر فقد كان هناك العديد من المعاهد العلمية التي قصدها الطلاب المصريون دون غيرها من المعاهد العلمية الأخرى.

أ- الجامع الأموي:

يعدُّ الجامع الأموي في دمشق الذي شيده الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥-٧١٥م)^(١) في العام ٨٧هـ/٧٠٦م^(٢) أحد أكبر دور العلم في العالم العربي والإسلامي، وقد أهّلته مكانته الخاصة لذلك، كونه من أقدم مساجد المسلمين في بلاد الشام، إلى جانب كونه المدرسة الجامعة لطلاب المشرق وعلمائه عامةً، ولدمشق خاصةً، ومن هنا كان دوره رئيسياً في نشر العلم والمعرفة، وقد حظي نتيجة لأهميته الدينية والثقافية باهتمام السلاطين العثمانيين وولاتهم في دمشق^(٣).

(١) - الوليد بن عبد الملك "أبو العباس": ولد في المدينة المنورة في العام ٦٦٨هـ/٧٠٥م ونشأ فيها، وبويع بولاية العهد أيام أبيه عبد الملك بن مروان (٢٦-٨٦هـ/٦٤٦-٧٠٥م) ثم أخذت له البيعة بالخلافة بعد وفاة والده في العام ٨٦هـ/٧٠٥م، وكانت أيام خلافته حافلة بالإنجازات لما تم في عهده من إصلاحات داخلية عظيمة وفتوحات إسلامية كبيرة، توفي ابن عبد الملك في العام ٩٧هـ/٧١٥م ودفن في دمشق. الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزء، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٧م، ج ٦، ص ٤١٨-٤٣٠.

(٢) - أراد الوليد بن عبد الملك عندما عزم على بناء الجامع الأموي أن يجعل منه مفخرة من مفاخر دمشق، فأنفق فيه الأموال، وجلب إليه المهرة من الصنائع وأهل الفن البارعين، وبقي العمل فيه تسع سنين، أنفق عليه أربع مئة صندوق في كل صندوق أربعة عشر ألف دينار، وبذلك أصبح أعجوبة من أعاجيب الدنيا. ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت، ص ٢١١-٢١٢.

(٣) - حول ترميم الجامع الأموي من قبل ولاية دمشق انظر: البديري، أحمد بن بدير الحلاق: حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/١٧٤١-١٧٦٢م، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٩م، ص ٤٨، ٥١، ٨١، ٨٦، ٩٢، ١٠١، ١٦٠، ١٦٥، ١٧٠. ابن كنان، محمد بن=

كانت طريقة التدريس في الأموي تتم على شكل حلقات يتحلق فيها الطلاب حول المدرسين في صحنه وأروقته، وداخل حرمه، وفي محاربه (محارب الحنفية، ومحارب الحنابلة، ومحارب المالكية، ومحارب الشافعية)^(١) وتحت قبته، وأهم حلقاته التدريسية ما كان تحت قبة النسر التي كانت موقوفة لأعلم علماء دمشق، وعُدَّت الدراسة فيها بمثابة المرحلة العليا من الدراسة في وقتنا الحاضر، وشمل التدريس تحتها عدداً من المواد كالأصول، والفقه، والكلام، والنحو، والحساب وغيرها^(٢).

أما مواعيد الدراسة في الجامع الأموي فهي مختلفة ومرتبطة بالمدرس، فهناك من نجده "يدرس بين العشائين وبكرة النهار"^(٣) أو "بعد العصر"^(٤)، وأحياناً هناك من يقرئ الطلبة "بعد صلاة المغرب إلى العشاء"^(٥) ونظراً لعدم وجود وقت محدد للتدريس فيه فقد كان يعج بالمدرسين والمشايخ والطلبة طيلة اليوم، ومن أشهر علماء الأموي في القرن الثامن عشر الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م)^(٦) الذي دَرَسَ الجَامِعَ الصَّامِعَ غير^(٧).

=عيسى: الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، تحقيق أكرم العلي، دار الطباع، دمشق، ط ١، ١٩٩٤م، ص ١٦٧، ٧٨، ٢٢١، ٥٠٩، ٥١٢.

(١)- وثيقة رقم ٤٤٣، سجل دمشق، رقم ٥١، ص ٢٥٢، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م.

(٢)- ابن كنان: الحوادث اليومية، ص ١٤، ٤٣. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٦٣. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٤٦٦.

(٣)- المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٦٨.

(٤)- المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٦٩.

(٥)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٤٢.

(٦)- عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي: شاعر، عالم بالدين والأدب، مكث من التصنيف، متصوف. وُلِدَ ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى: بغداد، وفلسطين، ولبنان، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق وتوفي فيها. وله مصنفات كثيرة من أشهرها: "الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية"، و "تعطير الأنام في تعبير المنام"، و"حلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز"، و "الحقيقة والمجاز، في رحلة الشام ومصر والحجاز" وغيرها الكثير. وسترّد ترجمة مفصلة له في الفصل الرابع. ابن شاشو، عبد الرحمن بن محمد الذهبي: تراجم بعض أعيان دمشق من علمائها وأدبائها، المطبعة اللبنانية، بيروت، د.ط، ١٨٨٦م، ص ٦٧-٨١. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٠-٣١.

(٧)- الجامع الصغير من حديث البشير لمؤلفه جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م). حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين يالتقاي، جزآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٢، ص ٣٤٣.

والأربعين النووية^(١)، والأذكار النووية^(٢)، فأخذ عنه عدد لا يحصى من أعيان بلاد الشام والولايات المجاورة، وممن أخذ على يده العلم من المصريين مصطفى بن أحمد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م)^(٣).

واشتهر من بين علماء الأموي في القرن الثامن عشر الشيخ إسماعيل العجلوني (١١٦٢هـ / ١٧٤٨م)^(٤) الذي كان يدرس الحديث النبوي الشريف تحت قبة النسر فأخذ عنه من طلاب مصر مصطفى بن أحمد اللقيمي الدمياطي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م)^(٥) وأجيز منه^(٦). كما اشتهر من علماء الشام في الأموي أيضاً الشيخ أبو المواهب الحنبلي (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٥م) فعلى الرغم من كونه حنبلي المذهب إلا أنه درّس في محراب الشافعية القرآن الكريم والحديث والتفسير، فانتهل يونس المصري (ت ١١٢٠هـ / ١٧٠٩م)^(٧) إلى الأموي لطلب العلم على يده^(٨).

-
- (١) - الأربعين في مباني الإسلام وقواعد الأحكام المعروف بالأربعين النووية لمؤلفه الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٣٢٠.
- (٢) - الأذكار من كلام سيد الأبرار لمؤلفه الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٢، ص ٤٨.
- (٣) - مصطفى بن أحمد المعروف بـ مصطفى أسعد اللقيمي: ولد ونشأ في دمياط، وارتحل لطلب العلم إلى الأزهر الشريف حتى نبغ هناك، وله رحلات إلى بلاد الشام. وسترد ترجمة مفصلة له في الفصل الرابع. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.
- (٤) - إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء: وُلِدَ بعجلون في العام ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م، وحصل علومه الأولية بها، ثم قدم إلى دمشق لطلب العلم واشتغل على أيدي كبار علماء الفقه والحديث والتفسير واللغة العربية، إلى أن تفوق على أقرانه بالطلب، ثم ارتحل إلى دار السلطنة ووجه إليه التدريس في قبة النسر في الأموي، واستقام بالتدريس فيها منذ عودته إلى دمشق، وبقي يفيد طلاب العلم إلى أن وافاه أجله، المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٥) - اللقيمي، مصطفى أسعد: تهذيب موانح الأنس برحلتني لوادي القدس، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د. ط، ٢٠١٢م، ص ٢٨٢. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.
- (٦) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.
- (٧) - يونس المصري بن أحمد المحلي الأزهري الكفراوي الشافعي: وُلِدَ في المحلة الكبرى من إقليم مصر، ونشأ فيها، وأخذ علم التفسير والحديث والفقه عن جماعة من علماء بلده، ثم انتقل إلى مصر، وأقبل على الاشتغال بالعلوم وحضور دروس علماء الجامع الأزهر، ثم ارتحل إلى دمشق، وأخذ عن جماعة من علمائها منهم: أبو المواهب الحنبلي حتى كبر شأنه في الأموي، وولي تدريس الحديث بالأموي تحت قبته، فدرس فيها حتى وفاته. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٦٦.
- (٨) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٦٦.

وممن برز من علماء الأموي الذين توافد عليهم طلاب مصر في مرحلة البحث الشيخ عثمان بن الشمعة (ت ١١٢٦هـ/١٧١٧م)^(١) الذي "عكف عليه نجباء الطلبة في كل فن من العلوم النافعة فكان يقرئ في أكثر من عشرة علوم من الفقه والأصول والنحو والحساب مع براعته في التفسير والقرآن.." ^(٢) وممن أخذ عنه من طلاب مصر إبراهيم المعروف بالبهنسي (ت ١١٤٨هـ/١٧٣٦م)^(٣) الذي لازم ابن الشمعة في الأموي حتى برع في الحساب وعلم الفلك أو الهيئة إلى جانب معرفته العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية^(٤). وهكذا فإن أعداد المنتقلين للدراسة في بلاد الشام في مرحلة الدراسة اقتصرت في دمشق على الجامع الأموي دون غيره، وذلك لمكانته العلمية الرفيعة التي حظي بها في العالم العربي والإسلامي.

أ- المسجد الأقصى^(٥):

حرص المسلمون منذ الفتح العمري ٦٣٧هـ/١٢٣٩م على شد الرحال إلى المسجد الأقصى لتأدية الشعائر الدينية ولطلب العلم فيه، ولكنة ما وفد إليه من علماء وفقهاء وأئمة وأقطاب صوفية فقد أصبح مؤثلاً لحركة علمية نشيطة جعلت منه معهداً عالياً للعلوم الشرعية والصوفية وعلوم اللغة العربية، وبقي الأقصى محتفظاً بمكانته العلمية حتى احتلال الفرنجة للقدس بين العامين (٤٩٢-٥٨٣هـ/١٠٩٨-١١٨٧م) فقد انقطع التدريس فيه خلال هذه المدة، إلا أن الحركة العلمية في الأقصى عادت إلى ما كانت عليه سابقاً بعد الفتح الصلاحي للقدس وبقيت قائمة ومستمرة حتى

(١)- عثمان بن محمد بن رجب المعروف بالشمعة الشافعي: وُلِدَ ونشأ في دمشق، واشتغل بطلب العلم عن جماعة من العلماء الأجلاء حتى برع في العلوم، فجلس للإفادة في الجامع الأموي، وعكف عليه نجباء الطلبة في كل فن من العلوم النافعة، وبقي يفيد في الأموي حتى وفاته. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٦٦-١٦٧.

(٢)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٦٦-١٦٧.

(٣)- إبراهيم بن عبد الحي المعروف بالبهنسي الحنفي: أخذ عن مشايخ عصره الكبار، ثم انتقل إلى الجامع الأموي في دمشق، وأخذ عنهم العلوم الشرعية والعقلية ومهر واشتغل بها. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٩.

(٤)- المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٩.

(٥)- اختلفت روايات العلماء من أهل التفسير والحديث والتاريخ في تعيين أول من وضع المسجد الأقصى، ذكر بعضهم أن آدم عليه السلام أول من بناه، وذكر بعضهم أن من بناه إبراهيم عليه السلام، ورجح بعضهم الآخر أن داود عليه السلام أول من أنشأه، ثم أكمل بناءه ابنه سليمان عليه السلام. ويقع المسجد الأقصى داخل مدينة القدس الفلسطينية، والأقصى اسم يطلق على كل ما دار حول السور الواقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من المدينة القديمة المسورة. العليمي، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد أبو تيانة، جزآن، مكتبة دنديس، الخليل، ط ١، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٤٦-٣٤٨. اللقيمي، مصطفى أسعد: لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل، تحقيق خالد عبد الكريم الهمشري، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٠م، ص ١٢٦-١٥٠.

العصر العثماني^(١). وقد حظي نتيجةً لمكانته الدينية والعلمية باهتمام سلاطين بني عثمان، إذ أُعيد ترميم قبة الصخرة^(٢) في عهد السلطان محمد الثالث (١٠٠٣-١٠١٢هـ/١٥٩٥-١٦٠٣م)^(٣)، والسلطان أحمد الأول (١٠١٢-١٠٢٦هـ/١٦٠٣-١٦١٧م)^(٤)، والسلطان مصطفى الأول (١٠٢٦-١٠٢٧هـ/١٦١٧-١٦١٨م)^(٥)، إلى جانب اهتمامهم بالوقف على القدس عامةً وعلى المسجد الأقصى وقبة الصخرة خاصةً^(٦)

أما بالنسبة للحركة العلمية في المسجد الأقصى فقد وصفها الرحالة العثماني أوليا جلبي (ت ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م)^(٧) عندما زار القدس في العام ١٠٥٧هـ/١٦٤٨م، أنها تحوي "...ثمانية مئة إمام وواعظ يعملون في الحرم والمدارس المجاورة ويتقاضون مرتبات، وأيضاً كان هناك خمسون مؤذناً وعدد كبير من مرتلي القرآن، كما وجد الحرم مركز روحانية مكثفة فقد ازدحمت أروقته بال دراويش من مختلف الولايات العربية حيث كانوا يرتلون القرآن طوال الليل

(١)- العلمي: الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٦٦-٤٧٤.

(٢)- تقع في وسط المسجد الأقصى. انظر: اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ١٣١-١٣٥.

(٣)- هو السلطان الثالث عشر، تولى العرش وعمره ٢٨ عاماً، وإثر اعتلائه العرش قام بقتل إخوته الذكور، وترك تسيير شؤون السلطنة الداخلية لوزرائه مما أحدث فساداً كبيراً في دار السلطنة. كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص ١٣٨-١٤٥.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p 29.

(٤)- هو السلطان العثماني الرابع عشر، تولى عرش السلطنة وعمره أربعة عشر عاماً، وعلى الرغم من صغر سنه إلا أنه كان ماهراً في شؤون الإدارة وقاد جيوشه بنفسه، وعين قواداً من أصحاب الكفاءات العسكرية لذلك فقد كسب المعارك التي خاضها. كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص ١٤٦-١٥٣.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p 33.

(٥)- هو السلطان الخامس عشر من سلاطين بني عثمان، تولى عرش السلطنة بعد وفاة أخيه السلطان أحمد الأول، وكان عمره ٢٥ عاماً، وبعد ٦٩ يوماً عُزل عن الحكم، وعُين مكانه ابن أخيه السلطان عثمان خان، ثم أُعيد من جديد إلى سدة الحكم إثر مقتل السلطان عثمان، ويُذكر أنه كان مصاباً بضعف في ملكته العقلية، لأنه شب وهو يخاف القتل، وقد شهدت السلطنة أسوأ أيامها في عهده. كولن: سلاطين الدولة العثمانية، ص ١٥٤-١٥٨.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p 35.

(٦)- أرمسترونج، كارين: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عناني، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، د.ط، ١٩٩٨م، ص ٥٣٨.

(٧)- أوليا جلبي: ولد في استانبول في العام ١٠٢٠هـ/١٦١١م وتلقى علومه فيها، وسافر عبر الأراضي العثمانية والولايات المجاورة على مدار أربعين عاماً، ودون مشاهداته في عشرة أجزاء أطلق عليها "سياحت نامه" أي "كتاب الرحلات". جلبي: الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش، مج ١، ص ٥١-٧٥.

ويعقدون حلقات الذكر ويتغنون بأسماء الله على ضوء مصابيح الزيت الوامضة المتواجدة بطول الممرات ذات الأعمدة^(١)."

كانت طريقة التدريس في الأقصى تتم عبر الحلقات العلمية إذ كان كل شيخ يسند ظهره إلى عمود ويتحلق حوله مجموعة من الطلاب كباراً وصغاراً - إذ لم يحدد عمر معين لحضور الدروس العلمية - ويقوم الطلاب بإلقاء ما تعلموه على شيخهم الذي بدوره يقوم بالتصحيح لهم، ومن ثم الانتقال إلى موضوع آخر^(٢)، ومن طلاب مصر الذين انتقلوا إلى المسجد الأقصى لأخذ العلم فيه الشيخ مصطفى بن أحمد اللقيمي الدمياطي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) الذي لازم كبار علماء المسجد الأقصى مثل الشيخ محمد بن محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م)^(٣) وأخذ عنه الحديث والتفسير في قبة بخ بخ^(٤) في حجرته في صحن الصخرة^(٥) وأجيز منه. وإلى جانب طلب اللقيمي للعلم التقى في المسجد الأقصى عند باب الرحمة^(٦) بالشيخ مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م)^(٧) وأخذ عنه الطريقة الخلوتية^(٨)

(١) - أرمسترونج: القدس مدينة واحدة، ص ٥٣٨-٥٣٩.

(٢) - عبد الجبوري: القدس في العهد العثماني، ج ٢، ص ٢٩٤.

(٣) - محمد بن محمد بن شرف الدين الخليلي الشافعي القادري: فقيه أصولي متصوف، من المشتغلين بالحديث، وُلد في الخليل (بفلسطين) ورحل إلى مصر، فتعلم وتصوف ورجع إلى بلده، وسكن القدس وتولى إفتاء الشافعية فيها، وقد أسس في القدس المكتبة الخليلية، وبقي في القدس يفيد طلبة العلم حتى وفاته. الحسيني، حسن بن عبد اللطيف: تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري، تحقيق سلامة صالح النعيمات، الجامعة الأردنية، ط ١، ١٩٨٥م، ص ١٤٥-١٥٧.

(٤) - قبة بخ بخ: وتعرف بهذا الاسم لوجود صخرة هناك تحمل الاسم نفسه، ويطلق عليها أيضاً زاوية الخضر لوجود مصلى الخضر في الموضع نفسه، وتقع هذه القبة تجاه باب الحديد في الجانب الغربي لسطح الصخرة المشرفة أسفل قبة الخضر. المقدسي، أبو المعالي المشرف بن المرجي بن إبراهيم: فضائل بيت المقدس، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهرى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م، ص ١٩٣-١٩٤.

(٥) - الحسيني: تراجم أهل القدس، ص ١٤٧.

(٦) - باب الرحمة: أحد الأبواب الشرقية للمسجد الأقصى، وهو مغلق. النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١١٥.

(٧) - مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر البكري الصديقي: ولد في دمشق، وحصل علومه الأولية فيها حتى برع ونبغ في الفقه والحديث والقراءات واللغة العربية، فضلاً عن اهتمامه بالتصوف، إذ اتبع الطريقة الخلوتية وأصبح أحد أهم أقطابها، وأسهم في نشرها في مختلف الولايات التي زارها، وقد ترك العديد من المؤلفات في مختلف العلوم. وسترد ترجمة مفصلة له في الفصل الرابع. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٠١.

(٨) - الطريقة الخلوتية: وهي في الأصل فرع من السهروردية التي تفرعت عنها كثير من الطرق الصوفية، مثل: الكبروية والمولوية والجلوتية، وتُنسب إلى شهاب الدين عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م)، وكان أول =

"وفي يوم الاثنين المفتتح بالسعد والمختتم بالسعادة بشرت بنيل الحسنى وزيادة وحصلت لي العواطف الرحمانية بانتظامي في عقد أهل الطريقة الخلوتية فلفطني الحضرة الأستاذ الاسم الأول وقت الغروب عند باب الرحمة وأمرني بالاشتغال به وبالاستعداد لدخول الخلوة لتتم لي النعمة وكشف الغشاء فمكنت بها إلى غروب يوم الخميس، وفي يوم الخميس بعد صلاة العصر مع الجماعة دعاني الأستاذ إلى باب الرحمة فأجبت بالسمع والطاعة ولقنني الاسم الثاني للسادة الخلوتية. فكان لي بذلك أوفى نعمه سنيه. وأمرني بالمداومة عليه مكاناً وزماناً مع ذكر الاسم الأول أحياناً فتواردت علي بذلك المبشرات وأيقنت بحصول المبرات والمسرات، ثم أمرني بالخلوة بالحرم المقدس الأنيس فدخلتها ليلة الاثنين وطلعة ليلة الخميس وكان حضرة الأستاذ يحضر عندي في بعض الأحيان ويسألني عما حدث لي بهذا الشأن فأخبره بما ورد علي من الموارد وما أشاهد في تلك الخلوة من المشاهد فيبشرني تارة وينذر أخرى^(١)."

بالإضافة إلى ذلك فقد جرت بين اللقيمي وبعض علماء الأقصى بعض المباحثات العلمية مثل الشيخ أحمد المؤقت (ت ١١٨٧هـ / ١٧٧٤م)^(٢) الذي تباحث معه حول بناء سيدنا داود البيت المقدس^(٣). والنقى اللقيمي الشيخ علي الداغستاني (ت ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م)^(٤) "قطاع عليه اللقيمي جملة من الرسالة القشيرية"^(٥) بالمدرسة

=ظهورها في خراسان في أواخر القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، ثم انتشرت بعد ذلك في دمشق على يد الشيخ أحمد العسالي الخلوتي، ثم ازدهرت الطريقة على يد عدد من المشايخ، مثل: عبد اللطيف بن حسام الدين الخلوتي (ت ١١٢١هـ / ١٧١٠م)، ومصطفى البكري الصديقي (ت ١١٣٩هـ / ١٧٢٦م) وغيرهم. الكوثري، محمد زاهد: البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ط، د. ت، ص ٢١-٣٣.

- (١) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢١٥-٢٢٠.
- (٢) - أحمد بن محمد بن يحيى الشهير بالموقت: ولد في القدس وحصل علومه فيها فأجازه جل شيوخه، وتصدر للتدريس في المسجد الأقصى وأفاد عدداً لا يحصى من طلاب العلم. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٧٥.
- (٣) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٩.
- (٤) - علي بن صادق بن محمد بن إبراهيم بن محب الله حسين بن محمد الحنفي الطاغستاني، قرأ على جملة من علماء بلاده ثم رحل إلى الحجاز وأخذ العلم فيها، ومنها انتقل إلى القدس وتولى فيها بعض المناصب العلمية. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٢٨.
- (٥) - خصصت الرسالة القشيرية لتراجم مشايخ التصوف، وصنفت في مجلدين لمؤلفها الإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الشافعي (ت ٤٦٥هـ / ١٠٧٢م). القشيري، عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مجلدان، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د. ط، ١٩٨٩م، مج ١، ص ٦١.

السلطانية^(١) في الأقصى^(٢)، كما تباحث اللقيمي مع عدد من أجلاء القدس الشريف ودون مباحثاته في رحلته "موانح الأنس برحلتني لوادي القدس"^(٣). ومما سبق يمكن القول: إن المسجد الأقصى حافظ في القرنين السابع عشر والثامن عشر على طلابه وخاصة الوافدين من الحجاز ومصر والولايات المجاورة، لكن بنسبة أقل مقارنةً مع القرون التي سبقت مرحلة البحث.

ب- الزاوية الأسعدية:

إضافة إلى المعاهد العلمية التي سبق ذكرها، فقد كانت الزوايا إحدى مراكز الحياة العلمية في بلاد الشام عامة وفي بيت المقدس خاصة، إذ كان يؤمها المتصوفة بقصد التعبد وإقامة الذكر، فالزاوية إذن بمثابة مدرسة دينية ودار ضيافة للمتصوفين المتنقلين عبر الولايات من زاوية إلى أخرى طلباً للعلم^(٤)، ومن أشهر زوايا القدس في هذه المرحلة الزاوية الأسعدية التي أسسها شيخ الإسلام^(٥) أسعد أفندي بن حسن جان التبريزي (ت ١٠٣٤هـ / ١٦٢٥م)^(٦)، وممن تولى مشيختها في

(١) - المدرسة السلطانية: ويطلق عليها أيضاً المدرسة الأشرفية، تقع في الجهة الغربية من المسجد الأقصى بين المدرسة العثمانية شمالاً ومنذنة باب السلسلة جنوباً، وقد بناها الأمير حسن الظاهري باسم الملك الظاهر خوشقدم (٨٧٥هـ / ١٤٧٠م)، وكانت تدعى آنذاك بالسلطانية، ولما توفي الملك الظاهر ولم يكن بناؤها قد تم، رجا-أي الأمير حسن- الملك الأشرف قايتباي أن يتقبلها فقبلها منه، ونسبت إليه فسمّاها "الأشرفية"، ورتب لها مشايخ وفقهاء ومدرسين للتعاليم الصوفية. ولما زار قايتباي القدس في العام ٨٨٠هـ / ١٤٧٥م، ورأى المدرسة لم تعجبه وأمر بهدمها، وأعاد بناءها مضيفاً إليها بعض العماثر. العليمي: الأنس الجليل، ج ١، ص ٣٨٧.

(٢) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢١٠.

(٣) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٧-٨. اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ١٩. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.

(٤) - غالب، عبد الرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٢١١.

(٥) - شيخ الإسلام: استخدم هذا اللقب في نهاية القرن العاشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، وهو أرفع منصب ديني في السلطنة العثمانية، وقد كانت له صلاحيات واسعة منها تعيين القضاة وعزلهم، والإشراف على التدريس والمدارس، وإصدار الفتاوى الشرعية. صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية، ص ١٤٢. كيدو، أكرم: مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، مجلدان، منشورات جروس بروس، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٢٢-١٢٤.

(٦) - أسعد أفندي بن حسن جان التبريزي: ولد ونشأ في استانبول، وتابع تحصيله العلمي حتى أصبح من أشهر علماء السلطنة، فتولى مناصب عدة في استانبول، ثم انتقل إلى دمشق ونزل في مدرستي الناصرية الجوانية، ثم رحل إلى بيت المقدس وأسس فيها الزاوية الأسعدية. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ٣٩٦-٣٩٧.

القرن السابع عشر محمد بن عمر العلمي (ت ١٠٣٨هـ / ١٦٢٩م)^(١)؛ ونظراً لشهرته العلمية التي فاقت الأرجاء، فقد توافد عليه المتصوفة ليس من بيت المقدس فحسب، وإنما من مختلف الولايات المجاورة، وممن قصده من مصر في القرن السابع عشر الشيخ أبو بكر بن أحمد النسفي المصري (ت ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م) الذي انتقل من موطنه إلى بيت المقدس بعد أن أتمّ تحصيله العلمي؛ للتعبّد وإقامة الأذكار والأوراد، وبقي في القدس مدة من الزمن، ثم سافر إلى دمشق، وعاد إلى مصر وأفاد فيها حتى وفاته^(٢). أما بالنسبة للقرن الثامن عشر، فلم يتم ذكر أي عملية انتقال من متصوفة مصر إلى هذه الزاوية، إذ اقتصر انتقالهم على الأموي والأقصى دون غيرها لمكانتهما الدينية والعلمية التي تميزهما عن غيرهما من المعاهد العلمية في بلاد الشام.

ج- المعاهد العلمية الأخرى:

إنّ المنتبّع لحركة طلاب العلم الذين انتقلوا من مصر إلى بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر يُلاحظ أنّ انتقالهم تركّز في أكبر المعاهد العلمية في بلاد الشام كالجامع الأموي والمسجد الأقصى طلباً للعلوم الشرعية والصوفية وعلوم اللغة العربية، وفي أشهر الزوايا في بيت المقدس كالزاوية الأسعدية للتعبّد وإقامة الذكر، أما بالنسبة للمعاهد العلمية الأخرى، فلم يَفِد إليها أي طالب علم مصري، وهذا ما تؤكدّه كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة الخاصة بمرحلة البحث.

٢- أماكن الإقامة:

من خلال تتبع تراجم الطلاب المصريين المرتحلين إلى بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر تبين أنه لم يتم تحديد أي مكان لإقامة هؤلاء الطلاب باستثناء مصطفى بن أحمد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) الذي أقام أثناء رحلاته العديدة إلى بلاد الشام في خلوته في المسجد الأقصى عند إقامته في القدس، ونزل ضيفاً في منازل أصدقائه الشوام كالشيخ عبدالله نخلة الرمل^(٣).

(١)- محمد بن عمر بن محمد سعد الدّين بن تقي الدّين المعروف بالعلمي القدسي: وُلِدَ ونشأ في القدس، ثم انتقل إلى دمشق واستقر في خانقاه تقي الدّين عمر الكردي في محلّة القنوّات، ثمّ حج وجاور ولم يَسْتَقِرّ بعد ذلك في دمشق، فَرَحَلَ إلى القدس وقطن فيها، وكان عالماً صالحاً سالكاً على نهج كبار الصّوفيّة، وبقي يفيد ويجيد حتى وافاه أجله. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٧٨.

(٢)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٧٨-٧٩.

(٣)- لم أعثر له على ترجمة.

والشيخ أحمد النجار^(١) عند وصوله إلى مدنهم وأكرموا وحسنوا وفادته^(٢). وتعقيباً على ما سبق يمكن القول أنه لم يفد من الطلاب المصريين إلى بلاد الشام إلا المُقتدر ليعيش على حسابه الخاص أو على الأوقاف الخاصة بهم في بلاد الشام، وذلك لعدم توفر أروقة خاصة بهم في بلاد الشام كما هو الحال بالنسبة لرواق الشوام في الأزهر الشريف، أما بالنسبة للبعض الآخر منهم فقد اعتمدوا على الاستضافة في منازل أصدقائهم ليتسنى لهم التفرغ للتحصيل العلمي.

٣- مصادر الدخل والإنفاق:

أما بالنسبة لمصادر دخل الطلاب المصريين في بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر، فقد اعتمد غالبيتهم على ما كانت تمدهم به المعاهد العلمية التي درسوا فيها؛ لتمتع هذه المعاهد بأوقاف كبيرة في ظل الحكم العثماني، فكانت تمنح رواتب للطلاب أسوة بما كان يمنح للمدرسين من رواتب^(٣). وإلى جانب هذه الرواتب التي تقاضاها بعض الطلاب المصريين في بلاد الشام، فقد كان لهم أوقاف خاصة بهم في دمشق عُرفت بـ: "أوقاف السادة المصريين"، وقد عيّنوا عليها موظفاً خاصاً مسؤولاً عنها، وهو علي بن حسين البولاقي^(٤)، الذي كان يمد المصريين وبخاصة الطلاب والعلماء منهم بجراية يومية لإعانتهم^(٥)، وهذا ما يوضح أنّ الطلاب المصريين تمتعوا في مرحلة البحث بمصادر دخل جيدة وفُرت لهم متطلبات معيشتهم ومستلزماتها، وأمنت تحصيلهم العلمي في بلاد الشام.

رابعاً: استنتاجات الفصل الثاني:

استقر الطلاب الشوام في القرنين السابع عشر والثامن عشر عند انتقالهم من بلاد الشام إلى مصر في الأزهر الشريف بالدرجة الأولى؛ لمكانته الكبيرة ليس في السلطنة العثمانية فحسب، بل في كافة أنحاء العالم العربي والإسلامي. فمن خلال تتبع كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة والقيام بعملية إحصائية لكل الطلاب الشوام المرتحلين إلى مصر تبين أن نسبة المرتحلين إلى الأزهر في

(١)- لم أعثر له على ترجمة.

(٢)- اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ١٣-١٨.

(٣)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٤)- لم أعثر له على ترجمة.

(٥)- انظر إلى الملحق الرابع ١٧٨. وثيقة رقم ٦٣، سجل دمشق، رقم ٤٣، ص ٣٥، سجلات المحاكم الشرعية،

دمشق، تاريخ ١١٣٣هـ / ١٧٢١م.

القرن السابع عشر وصلت إلى ٨٩.٩١% (بالنسبة للطلاب الشوام في مصر)، وازدادت في القرن الثامن عشر، فوصلت إلى ٩٦.١٥% (بالنسبة للطلاب الشوام في مصر)، بينما انصبَّ اهتمام بعضهم في القرن السابع عشر وهم قلة قليلة للدراسة في الخانقاه الصلاحية إلى جانب مجاورتهم في الأزهر، وبلغت نسبتهم حوالي ٣.٣٣% (بالنسبة للطلاب الشوام في مصر)، وهذه النسب تؤكد استمرارية الأزهر في جذب طلاب العلم واستقطابهم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي عامة، ومن ضمنها بلاد الشام.

كما أنَّ الأزهر الشريف حافظ على طلابه الوافدين إليه من مختلف الولايات المجاورة، وأخصَّ القادمين من بلاد الشام، حيث وُقِّر لهم متطلبات معيشتهم في رواقهم، مما ساعدهم على التفرغ للدراسة وطلب العلم، ومن بينهم مَنْ فضَّل الاشتغال بالأعمال التجارية إلى جانب دراسته في الأزهر، بينما اعتمد بعض من هؤلاء الطلاب على ما كان أهلهم يمدونهم به أو ما ورثوه عنهم.

وبسبب الحياة الكريمة التي عاشها بعض الطلاب فقد آثروا البقاء في مصر والاستقرار فيها بصورة دائمة، حتى أن بعضهم قد تبوأ مكانة عالية في الأزهر الشريف، وتصدروا للإفادة والتدريس فيه بل وعيَّنوا كمدرسين فيه، ونفعوا عدداً لا يحصى من طلاب العلم، وتركوا بصماتهم في المجالات التي تخصصوا بها، وتركوا كنوزاً عظيمة من إنتاجهم العلمي والفكري هناك.

أما بالنسبة للطلاب المصريين الذين انتقلوا للدراسة في بلاد الشام خلال مرحلة البحث، فعند العودة إلى المصادر التي أرخت لهم وتتبع ما ذُكر في المصادر تبين أنَّ انتقالهم اقتصر في القرن السابع عشر على الزاوية الأسعدية فقط، فبلغت نسبتهم ٧.٦٩% أي أن جل القادمين كانوا متصوفة (بالنسبة لكل طلاب مصر)، أما في القرن الثامن عشر، فقد تركَّز انتقالهم إلى الجامع الأموي بالدرجة الأولى، ووصلت نسبتهم إلى ٣٠.٧٦% (بالنسبة لكل طلاب مصر)، ومن ثم إلى المسجد الأقصى إذ بلغت نسبتهم ٧.٧٩% (بالنسبة لكل طلاب مصر)، وهي نسب قليلة جداً مقارنة بنسبة الطلاب الشوام المرتحلين إلى مصر آنذاك. خاصة أنَّ معظم المصريين الذين درسوا في بلاد الشام كانوا من العلماء الذين قدموا إليها للاستقرار فيها دائماً أو مؤقتاً؛ سعياً لتولي المناصب العلمية والدينية الرفيعة فيها، وقد اندمج المصريون في المجتمع الشامي، بسبب استقرارهم لمدة طويلة في بلاد الشام، وكان لهم أثرهم في أماكن تواجدهم، إضافة إلى تأثرهم بالبيئة التي عاشوا فيها.

الفصل الثالث

أنواع العلوم والإجازات الممنوحة بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

أولاً: العلوم التي كانت تُدرس بين مصر وبلاد الشام:

- ١ - العلوم الشرعية.
 - أ - القراءات القرآنية.
 - ب - الفقه الإسلامي.
 - ج - التفسير.
 - د - الحديث النبوي الشريف.
- ٢ - علوم اللغة العربية.
- ٣ - العلوم العقلية.

ثانياً: الإجازات العلمية:

- ١ - مفهوم الإجازة اللغوي والاصطلاحي.
- ٢ - أنواع الإجازات العلمية الممنوحة بين مصر وبلاد الشام:
 - أ - الإجازة بالإفتاء والتدريس.
 - ب - الإجازة بالقرآن الكريم.
 - ج - الإجازة بالقراءة.
 - د - الإجازة بكتاب.
 - هـ - الإجازة بالرواية.
 - و - الإجازة بالمكاتبة.

٣ - مقارنة أسلوب الإجازة بين مصر وبلاد الشام:

أ - إجازة علماء الشام لطلاب مصر:

(١) - النموذج الأول.

(٢) - النموذج الثاني.

ب- إجازة علماء مصر لطلاب بلاد الشام:

(١) - النموذج الأول.

(٢) - النموذج الثاني.

ثالثاً: استنتاجات الفصل الثالث.

أولاً: العلوم التي كانت تُدرس بين مصر وبلاد الشام:

تنوعت العلوم التي كانت تُدرس في المراكز العلمية الكبرى في مصر وبلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وعلى الأخص في الأزهر الشريف في القاهرة، وفي الجامع الأموي في دمشق، والمسجد الأقصى في بيت المقدس، وشملت بالدرجة الأولى العلوم الشرعية (القراءات القرآنية - الفقه الإسلامي - التفسير - الحديث النبوي الشريف)، إلى جانب اللغة العربية وآدابها، بما فيها الأدب والشعر والعروض والبلاغة، فضلاً عن الاهتمام بتدريس العلوم العقلية كالمنطق وعلم الكلام والعلوم الرياضية، وعلم الفلك أو الهيئة، والعلوم الطبية، والموسيقى وغيرها.

١ - العلوم الشرعية:

حصلت العلوم الشرعية (القراءات القرآنية - الفقه الإسلامي - التفسير - الحديث النبوي الشريف) على الاهتمام الأكبر من قبل طلاب العلم المنتقلين من مصر إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، هؤلاء الذين لازموا جهابذة العلماء للتعلم في هذا المجال سعياً منهم للحصول على الإجازات العلمية التي تخولهم لتولي المناصب الدينية والعلمية والإدارية في الولاية التي استقروا فيها، أو في موطنهم بعد عودتهم إليه.

أ - القراءات القرآنية:

القراءات جمع قراءة، وهي في اللغة مصدر قرأ، يقال: قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، بمعنى تلا، فهو قارئ، والقرآن متلّو^(١) أما علم القراءات فهو "علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع"^(٢)، وقد عرفه ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ / ١٤٣٠م) أنه "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها مفرداً لناقله"^(٣).

(١) - الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م، ص ٤٩.

(٢) - الدمياطي، أحمد بن محمد البنا: إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، جزان، عالم الكتب، بيروت، د. ط، ١٩٨٧م، ج ١، ص ٦٧.

(٣) - ابن الجزري، محمد: منجد المقرئين ومرشد الطالبين ويليّه ثلاثة ملاحق لأبي شامة وابن تيمية وابن حجر، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٣.

اهتم طلاب العلم الشوام الذين انتقلوا إلى مصر وطلاب العلم المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بدراسة القراءات وعلم التجويد، فقد عدّوها جزءاً من العلوم التي وجب على طالب العلم أن يحقق فيها وينظر في أصولها، ويراجع عمدة مؤلفاتها، فلازموا لأجل ذلك كبار علمائه، وبرعوا فيه، ودرسوا أمهات الكتب التي تخصصت فيه، منها في القراءات السبع "التيسير في القراءات السبع" لمؤلفه عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ/١٠٥٢م)^(١)، و"حزب الأماني ووجه التهاني" المعروف "بالشاطبية" لمؤلفه القاسم بن فيزّه الشاطبي (ت ٥٩٠هـ/١١٩٤م)^(٢)، وفي القراءات العشر دُرِسَ "طبية النشر في القراءات العشر" و "منظومة الدرة المضية في القراءات الثلاث المرضية" لمؤلفها شمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ/١٤٣٠م).

ومن الطلاب الشوام الذين اهتموا بدراسة علم القراءات في مصر خلال مرحلة البحث الشيخ إبراهيم بن محمد العمادي (ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م) الذي انتقل إلى مصر ولازم الشيخ محمد بن أحمد الغيطي (ت ٩٦٨هـ/ ١٥٦١م) في خانقاه الصلاحية، وأخذ عنه القراءات العشر من طريق النشر -طبية النشر في القراءات العشر- وغيره "حتى برع في هذا العلم فعاد إلى موطنه دمشق وتصدر للإقراء في الجامع الأموي والمدرسة الأتابكية"^(٣) وبقي يفيد حتى وافاه أجله^(٤).

وممن برز في القراءات القرآنية الشيخ عبد الجليل بن محمد بن الهادي (ت ١٠٨٧هـ/ ١٦٧٨م)^(٥) الذي رحل إلى القاهرة وجاور في الأزهر الشريف لطلب العلم، فأخذ عن

(١)- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، الأندلسي القرطبي، أحد حفاظ الحديث، ومن الأئمة في علم القرآن ورواياته وتفسيره. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ جزء، دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ط، د.ت، ج ٥، ص ٥٤.

(٢)- القاسم بن فيزّه بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي، ولد في شاطبية في الأندلس، كان عالماً بالحديث والتفسير واللغة. ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٧١م، ج ١، ص ٤٢٢.

(٣)- المدرسة الأتابكية: أنشأت هذه المدرسة تركان خاتون زوجة الملك الأشرف موسى (ت ٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، وتقع في حي الصالحية شرقي المدرسة المرشدية بدمشق. ابن شداد، يوسف بن رافع: **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (قسم دمشق)**، تحقيق سامي الدهمان، جزءان، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د.ط، ١٩٥٦م، ج ٢، ص ١٥. النعيمي: **الدارس في تاريخ المدارس**، ج ١، ص ٩٦.

(٤)- المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

(٥)- عبد الجليل بن محمد بن أحمد المعروف بابن الهادي العمري الشافعي: ولد في دمشق وحصل علومه الأولية فيها، ثم رحل إلى مصر للتعلم بعلم القراءات، وبقي هناك مدة من الزمن، ثم عاد إلى دمشق وتصدر للإقراء في الجامع الأموي. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٢، ص ٣٠٠.

جهاذته العلوم الشرعية عامةً، وعلم القراءات خاصة، ومن جملتهم الثور علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)، ثم عاد إلى دمشق وتصدر للإقراء في الجامع الأموي^(١). واشتهر أيضاً محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي (ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م) بمعرفته القراءات القرآنية، إذ انتقل إلى الأزهر الشريف للاستزادة فيها فقرأ "بالروايات على الشيخ سلطان المزاحي" (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) جميع القرآن للسبعة ثم ختمة أخرى للعشرة من طريق الدرة حتى أجازه بمروياته^(٢)، ومنهم أيضاً محمد بن محمد العسيلي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)^(٣) الذي أخذ علم القراءات في الأزهر الشريف على الشيخ عبد الرحمن اليمني (ت ١٠٥٠هـ/١٦٤١م)^(٤) حتى "أجازه في القراءات السبع"^(٥).

ومن الطلاب الذين اهتموا في هذا المجال الشيخ أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي (ت ١١٢٦هـ/١٧١٥م) الذي قرأ بالروايات في الأزهر الشريف على "الشيخ محمد البقري" (ت ١١١١هـ/١٦٩٩م) وختم عليه القرآن من طريق الشاطبية، وجعل له الشيخ البقري في الأزهر ختماً حافلاً في يوم مشهود حضره فيه علماء العصر^(٦)، وقد ترك المواهيبي في علم القراءات عدة مؤلفات منها "رسالة في قواعد القراءة من طريق الطيبة، ورسالة في قراءة حفص، وقواعد أبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر، وفيض الودود بقراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود"^(٧).

واشتهر من طلاب مصر الذين انتقلوا إلى بلاد الشام لأخذ علم القراءات في مرحلة البحث الشيخ علي الإسكندري (ت ١١٦٩هـ/١٧٥٧م)^(٨) الذي انتقل إلى طرابلس الشام وأخذ علم القراءات عن علمائها حتى برع فيها فأصبح له "معرفة كاملة في وجوه القراءات

(١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٠٠.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٠٨-٤٠٩.

(٣) - محمد بن محمد بن موسى أبو اليسر الملقب كمال الدين العسيلي: ولد ونشأ في بيت المقدس، وحصل علومه فيها، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف وهناك برع في علم القراءات، ثم عاد إلى موطنه، وولي الإمامة بالمسجد الأقصى. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٤) - عبد الرحمن بن شحادة المعروف باليميني المصري: ولد ونشأ في مصر، ونبغ في علم القراءات والفقه وعلم الهيئة. البرماوي: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، ج ٢، ص ١٧١-١٧٣.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٦) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٦٦.

(٧) - الحنبلي: مشيخة أبي المواهب الحنبلي، ص ٥٤.

(٨) - علي الإسكندري: ولد ونشأ في الإسكندرية بمصر، وحصل علومه الأولية، ثم انتقل إلى طرابلس الشام ولازم علماءها حتى برع في علم القراءات واشتهر به. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٥٧.

مع فصاحة اللسان وضبط في التأدية والقراءة وحفظ متين^(١). واشتهر أيضاً الشيخ عمر بن محمد البصير^(٢) الذي انتقل إلى حلب وأخذ فيها علم القراءات حتى "انفرد بحسن الصوت والألحان الشائقة والعلم التام بتحقيق التجويد ومخارج الحروف والإتقان وسرعة استحضار عند جمع القراءات وطول النفس"^(٣).

ب - الفقه الإسلامي:

الفقه -بالكسر في أصل اللغة- الفطنة وفهم الشيء، سواء أكان ذلك الشيء جلياً أم كان خفياً، كلاماً كان أو إشارة، فكل فهم لشيء هو فقه له، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٤)، أي لا يفقهون مطلقاً؛ ثم غلب الفقه على علم الدين لسيادته وشرفه وفضله على سائر أنواع العلم^(٥). وفي اصطلاح الفقهاء الفقهاء هو: "العِلْمُ بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية"^(٦).

اعتنى كل من طلاب بلاد الشام في مصر وطلاب مصر في بلاد الشام خلال مرحلة البحث بالفقه الإسلامي، وأولوا دراسته عناية خاصة، فلازموا علماء ومشايخه، ودرسوا بعض الشروحات والحواشي على أمهات الكتب التي تخصصت فيه، من أجلها "متن كنز الدقائق في الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان" لمؤلفه حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م)^(٧)، و"حاشية على الدرر" للشيخ حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م)، و"البحر الرائق شرح كنز الدقائق في الفروع الحنفية" لمؤلفه زين

(١) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٥٧.

(٢) - عمر بن محمد البصير الشافعي المصري: ولد في القاهرة وحصل علومه الأولية فيها، ثم ارتحل إلى حلب للتعلم بعلم القراءات وبقي هناك حتى وافاه أجله. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٨٨-١٨٩.

(٣) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) - القرآن الكريم: سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

(٥) - ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٥٢٢.

(٦) - الجرجاني، علي بن محمد: التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٦٨.

(٧) - عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي أبو البركات: والنسفي نسبة إلى نسب من بلاد السند فيما وراء النهر بين جيحون وسمرقند، برع في الفقه الإسلامي وأصوله وفي التفسير، وألف في هذه العلوم مؤلفات عديدة، وكانت وفاته ببغداد. المراغي، عبد الله مصطفى: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، جزءان، مطبعة السنة المحمدية بمصر، القاهرة، ١٩٤٧م، ج ٢، ص ١١٢.

الدين بن نجيم (ت ٩٧٠هـ/١٥٦٣م)^(١)، وكتاب "شرح منار الأنوار في أصول الفقه" لمؤلفه عبد اللطيف الشهير بابن الملك، و"حاشية على الجامي" لعبد الغفور اللاري (ت ٩١٢هـ/١٥٠٧م)^(٢)، و"حاشية الخطائي على مختصر المعاني للسعد التفتازاني" لمؤلفه عثمان بن عبدالله الخطائي (ت ٩٠١هـ/١٤٩٦م)^(٣)، وكتاب "التوضيح في حل غوامض التتقيح" لمؤلفه عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة (ت ٧٤٧هـ/١٣٤٦م)^(٤).

واشتهر من طلاب بلاد الشام الذين انتقلوا إلى مصر لدراسة الفقه الإسلامي الشيخ إبراهيم بن أبي بكر الدنابي الحنبلي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)^(٥) الذي أخذ في القاهرة الفقه عن العلامة منصور البهوتي (ت ١٠٥١هـ/١٦٤١م)^(٦) فبرع فيه وألف عدة مؤلفات، منها "شرح على منتهى الإرادات في فقه مذهبه"^(٧)، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي المعروف بالخالدي الحنفي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م) الذي انتقل إلى الأزهر الشريف وأخذ الفقه عن "الشيخ علي بن محمد بن علي المعروف بابن غانم (ت ١٠٠٤هـ/١٥٩٦م)^(٨) متن الكنز وسائر كتب الفقه حتى أجز منه"^(٩)، ومنهم أيضاً الشيخ أحمد بن محمد المعروف بالزريابي (ت ١٠٥٠هـ/ ١٦٤٠م) الذي أخذ الفقه على

(١) - زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري الحنفي: ولد ونشأ في القاهرة، وأخذ عن علمائها الفقه الإسلامي واللغة العربية والعلوم العقلية حتى برع فيها، ونفع في الأزهر الشريف عدداً كبيراً من طلاب العلم. ابن نجيم، إبراهيم بن محمد: البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ٩ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠١٣م، ج ١، ص ٥-٦.

(٢) - لم أعثر له على ترجمة.

(٣) - عثمان بن عبد الله الخطائي الحنفي المعروف بمولانا زاده "نظام الدين": الفقيه، البياني، الأصولي، له عدة حواشي في الفقه الإسلامي وأصوله. الباباني: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٥٦.

(٤) - عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة: فقيه وأصولي ونحوي وأديب ومحدث ومفسر. اللكنوي، محمد عبد الحي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار السعادة، القاهرة، د.ط، ١٩٠٧م، ص ١٠٩-١١٢.

(٥) - إبراهيم بن أبي بكر الدنابي الحنبلي الصالحي الدمشقي: انتقل إلى الأزهر الشريف لطلب العلم، حتى اشتهر بمعرفته في الحساب مع التبحر في الفقه الإسلامي. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٩.

(٦) - منصور بن يونس البهوتي الحنبلي: نسبته إلى قرية بهوت من قرى الغربية بمصر، انتقل منذ صغره إلى القاهرة لطلب العلم حتى برع في علوم الدين، فكان فقيهاً متبحراً وأصولياً ومفسراً. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٦.

(٧) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٩.

(٨) - علي بن محمد بن علي بن خليل الخزرجي المقدسي الأصل القاهري المولد: أحد علماء الأزهر الشريف الذين تصدروا لإفادة طلاب العلم في العلوم الشرعية. البرماوي: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء، ج ٢، ص ٢٥٣-٢٥٦.

(٩) - البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢٤-١٣٢. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٩٧.

المذهب المالكي في الأزهر الشريف على يد الشيخ البرهان اللقاني (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م) ثم عاد إلى موطنه دمشق وولي إفتاء المالكية والقضاء بمحكمة الباب^(١).

ومن الطلاب الشوام الذين برزوا في هذا المجال الشيخ أحمد بن يحيى الحموي بن المؤذن المالكي (ت ١٠٨٠هـ / ١٦٧٠م)^(٢) الذي أخذ الفقه على مذهبه على يد اللقاني، حتى برع فيه وأفاد عند عودته إلى دمشق عدداً كبيراً من طلاب العلم^(٣)، ومنهم الشيخ أحمد بن يحيى الكومي (ت ١٠٩١هـ / ١٦٨١م)^(٤) الذي رحل إلى القاهرة في العام ١٠٢٦هـ / ١٦١٧م و"أخذ فيها الفقه عن عمه الشيخ مرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م)^(٥)، وعن منصور البهوتي الحنبلي (ت ١٠٥١هـ / ١٦٤١م)، ويوسف الفتوح الحنبلي^(٦)، وبرع فيه^(٧).

كما اشتهر الشيخ صالح بن علي الصفدي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٨م)^(٨) الذي تفقه في مصر على يد الشيخ الحسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م) والشهاب الشوبري (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)، حتى نبغ في الفقه الحنفي وألف فيه "بغية المبتدي في اختصار متن الكنز"^(٩). والشيخ محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الحنفي (ت ١٠٩٧هـ / ١٦٨٦م) الذي أخذ الفقه عن "فقيه الحنفية بمصر حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٨م) قرأ عليه الدرر بحاشيته عليه^(١٠)".

-
- (١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٦.
 - (٢) - أحمد بن يحيى بن حسن بن ناصر الحموي المعروف بابن المؤذن: ولد ونشأ في حماة، ثم ارتحل إلى القاهرة للتعلم بالفقه الإسلامي حتى برع فيه. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٦٧.
 - (٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٦٧.
 - (٤) - أحمد بن يحيى بن يوسف بن أبي بكر الحنبلي الكومي: ولد في بيت المقدس، وقرأ على علماء عصره ثم رحل إلى القاهرة للتعلم بالعلم فأخذ الفقه الإسلامي واللغة العربية والحساب والحديث، وأفاد بها طلاب عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٧.
 - (٥) - مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن يوسف الكرعي المقدسي الأزهرى: ولد ونشأ في طولكرم، ثم انتقل إلى بيت المقدس للتحصيل العلمي، ومن هناك ارتحل إلى الأزهر الشريف للأخذ عن كبار علمائه المشهورين هناك حتى نبغ وبرع في العلوم على اختلاف أنواعها وأصنافها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٨.
 - (٦) - لم أعثر له على ترجمة.
 - (٧) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٧.
 - (٨) - صالح بن علي الصفدي الحنفي مفتي الحنفية بصفد: رحل إلى القاهرة وتفقّه فيها على يد علماء الأزهر، ثم رجع إلى وطنه، فدرس وأفاد، ووجهت الفتوى في صفد إليه، وبقي في هذا المنصب حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٣٨.
 - (٩) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٣٨.
 - (١٠) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.

أما في القرن الثامن عشر فاشتهر من طلاب بلاد الشام الذين درسوا الفقه في مصر الشيخ أحمد العقرباوي (ت ١١٨٠هـ / ١٧٦٧م) ^(٥) الإمام الفاضل الفقيه الأوحد الهمام، الذي رحل إلى مصر وأخذ الفقه عن الشيخ عبدالله محمد الشبراوي (ت ١١٧١هـ / ١٧٥٨م) ، والنجم محمد سالم الحنفي (ت ١١٨١هـ / ١٧٦٨م) ^(٦)، وتصدر بعد عودته إلى نابلس للإفتاء على مذهب الإمام الشافعي، ودرس وأفاد وانتفع به عددٌ كبير من طلاب العلم ^(٧). ومنهم الشـيخ عـلي الأرمـنـيـازي (ت ١١٩٦هـ / ١٧٨٢م) ^(٨) الـذي

"كان في فقه سيدنا أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه أوجد عصره بارعاً فيه مع كونه شافعيّاً، انتقل إلى القاهرة واستقام بالأزهر سبع سنين، وقرأ على شيوخها منهم حسن المقدسي الحنفي ^(٩) قرأ عليه صدر الشريعة - التوضيح في حل غوامض التنقيح - والدرر ^(١٠)".

- △△

ومنهم أيضاً أحمد الشرباتي الحلبي (ت ١١٣٦هـ / ١٧٢٥م)^(١) الذي رحل إلى القاهرة للتعلم بالفقه الإسلامي وأصوله، وأخذ عن الشيخ سلطان المزاحي (ت ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)، والنور علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٧م)، والشمس محمد بن علاء الدين البابلي (ت ١٠٧٧هـ / ١٦٦٦م) وغيرهم^(٢). ومنهم الشيخ عبد العال الخليلي (ت ١١٨٢هـ / ١٧٦٩م)^(٣) قرأ الفقه الإسلامي في الأزهر الشريف وبرع فيه فألف "حاشية على الإحياء للغزالي" و"حاشية على شرح المنهج في الفقه"^(٤).

واشتهر من الطلاب المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام لدراسة الفقه الشيخ عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦١م)^(٥) الذي أخذ في حلب عن النجم الحفاوي "شرح ابن ملك على المنار، وشرح الجامي مع حاشيته لعبد الغفور ومختصر المعاني مع حاشيته للخطائي في الفقه الإسلامي"^(٦).

ج- التفسير:

عَرَفَ ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)^(٧) التفسير في اللغة فقال: "الْفَسْرُ: البَيَانُ، فَسَّرَ الشَّيْءَ يَفْسِرُهُ بِالْكَسْرِ وَتَفْسُرُهُ بِالضَّمِّ فَسْرًا وَفَسْرَةً: أَبَانَهُ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾"^(٨)؛ الْفَسْرُ: كَشَفُ الْمَغْطَى وَالتَّفْسِيرُ كَشَفُ الْمُرَادِ عَنِ اللَّفْظِ الْمُشْكِلِ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ

(١)- أحمد بن عبد الله بن علوان الحلبي الشافعي الشهير بالشرباتي: ولد في حلب وحصل علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف لطلب العلم حتى نبغ في الفقه الإسلامي. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(٢)- المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٧٠-١٧١.

(٣)- عبد العال بن محمد بن أحمد الخليلي الشافعي: ولد ونشأ في الخليل، ثم انتقل إلى مصر للتعلم بالعلوم الشرعية عامة وبالفقه الإسلامي خاصة حتى برع فيه. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٩.

(٤)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٩.

(٥)- عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي: الفقيه والشاعر الأديب، الذي انتقل من مصر بعد إتمام تحصيله العلمي في الأزهر الشريف إلى حلب، وأخذ العلم عن كبار علمائها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٣.

(٦)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٣.

(٧)- محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ثم المصري، أبو الفضل يعرف بابن منظور: ولد في مصر وقيل في طرابلس، خدم في ديوان الآثار في القاهرة ثم ولي القضاء في طرابلس مدة من الزمن، ثم رجع إلى مصر وبقي فيها حتى وفاته، وترك مؤلفات ومصنفات كثيرة. ابن حجر: الدرر الكامنة، ج ٢، ص ١٠٧.

(٨)- القرآن الكريم: سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

كذا، أي سألته أن يُفسّره لي^(١). كما عرف التفسير بأنه: "الاستبانة، والكشف، والعبارة عن الشيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل"^(٢).

أما في اصطلاح الفقهاء فقد عُرِفَ التفسير بأنه "علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"^(٣). وعُرِفَ التفسير أيضاً بأنه "علم نزول الآيات وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها، ومنسوخها وخاصها وعامها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها وحلالها وحرامها ووعداها ووعيدها وأمرها ونهيها وعبرها وأمثالها"^(٤).

ونظراً لكون علم التفسير من أجل العلوم الشرعية، فقد وضع الزمخشري (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٤م) شرطاً في المفسر فقال: "أن يعرف خمسة عشر علماً على وجه الإتقان والكمال: اللغة والنحو والتصريف والاشتقاق والمعاني والبيان والبديع والقراءات وأصول الفقه وأسباب النزول والقصص والناسخ والمنسوخ والفقه والأحاديث المبينة لتفسير المجمل والمبهم وعلم الموهبة"^(٥).

وقد اعتمد الطلاب الذين سعوا لدراسة التفسير على شرط الزمخشري، ودرسوا علوم اللغة العربية والعلوم الشرعية وتبحروا فيها، ثم باشروا بالتعمق بعلم التفسير والتأليف فيه، ومن طلاب بلاد الشام الذين انتقلوا إلى مصر لدراسة علم التفسير وبرعوا في هذا المجال - في مرحلة البحث - الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م) الذي انتقل إلى مصر وجاور في الأزهر الشريف، وأخذ عن علمائه حتى برع في الفقه الإسلامي والحديث واللغة العربية والتفسير، وألف في العلم الأخير عدة مصنفات، إذ قام بتفسير أكثر من آية قرآنية ووضع كل آية في مصنف، ومن مصنفاته "إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى يحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، وإحكام الأساس في قوله تعالى إن أول بيت وضع للناس، وفتح المنان بتفسير آية المتنان،

(١) - ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٥٥.

(٢) - ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٥٥-٥٦.

(٣) - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٩٥٧م، ج ١، ص ١٣.

(٤) - السيوطي، جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٧٤م، ج ٤، ص ١٩٤.

(٥) - حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٤٣٣.

والكلمات البينات في قوله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقلائد العقيان في قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وأزهار الفلاة في آية قصر الصلاة^(١).

ومن طلاب بلاد الشام الذين برعوا في علم التفسير في مصر خلال مرحلة البحث الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٢م) الذي انتقل لطلب العلم في الأزهر الشريف، فلزم الشيخ علي بن إبراهيم الشافعي (ت ١٠٤٤هـ / ١٦٣٥م)^(٢) وأخذ عنه "شرح البسملة والحمدلة المسمى بخير الكلام على شرح بسملة شيخ الإسلام^(٣)".

ومنهم أيضاً الشيخ عبدالله الشرابي (ت ١١٤٧هـ / ١٧٣٥م)^(٤) الذي درس الفقه الإسلامي والتفسير والحديث واللغة العربية في الأزهر الشريف، ثم عاد إلى موطنه نابلس وأفاد طلاب عصره^(٥)، ومنهم الشيخ عبد المعطي الخليلي (ت ١١٥٤هـ / ١٧٤٢م)^(٦) الذي انتقل إلى الأزهر الشريف وأخذ "العلوم التفسيرية والحديثية والفقهية"^(٧)، ومنهم أيضاً الشيخ محمد العاني (ت ١١٩١هـ / ١٧٧٨م)^(٨) الذي "تبحر في الأزهر الشريف بعلم التفسير والحديث والفقه"^(٩).

-
- (١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٩.
- (٢) - علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي: ولد ونشأ في مصر، ولزم جهاذة عصره، حتى برع في العلوم الشرعية، من أشهر آثاره: إنسان العيون في سيرة الأئمة والمؤمنين، و"حاشية على شرح المنهج، في الفقه الشافعي". المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٩١.
- (٣) - الصفوري، عبد القادر: ثبت الشيخ عبد القادر الصفوري، مخطوط محفوظ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٨ق)، رقم ١٢٢٢، ق ٢.
- (٤) - عبد الله بن أحمد المعروف بالشرابي الشافعي النابلسي: ولد ونشأ في نابلس، ثم رحل إلى مصر لطلب العلم مدة من الزمن، ثم عاد إلى موطنه ونفع فيه طلاب عصره. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٨٢-٨٣.
- (٥) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٨٢-٨٣.
- (٦) - عبد المعطي بن محيي الدين الشافعي الخليلي: ولد في الخليل وحصل علومه فيها، ثم ارتحل إلى مصر لدراسة العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، فلزم كبار علماء الأزهر الشريف حتى أجز منه. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٣٦-١٣٧.
- (٧) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٣٦-١٣٧.
- (٨) - محمد بن أحمد بن هديب الشافعي العاني الدمشقي: ولد في دمشق وحصل علومه فيها، ثم ارتحل إلى مصر للمجاورة في الأزهر الشريف حتى نبغ على أقرانه. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٨.
- (٩) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٨.

وممن اشتهر من طلاب بلاد الشام بعلم التفسير الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف^(١) الذي ارتحل إلى الأزهر الشريف، وقرأ على علمائه حتى برع في التفسير والفقه والنحو والحديث، ثم عاد إلى بيت المقدس وتولى الإفتاء فيها^(٢). ومنهم أيضاً عبد الغني بن رضوان (ت ١١٧٣هـ/١٧٦٠م)^(٣) الذي انتقل إلى القاهرة لطلب العلم، فلزم كبار علماء التفسير ومن أجّلهم الشيخ عبد الرؤوف البشبيشي^(٤) "الذي قرأ عليه البيضاوي في التفسير"^(٥). أما بالنسبة لطلاب مصر الذين انتقلوا إلى بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر فلم يكن هناك أي طالب علم مصري درس التفسير في بلاد الشام، إذ إن معظم المنتقلين اكتفوا بدراسة الفقه الإسلامي والقراءات القرآنية^(٦).

د - الحديث النبوي الشريف:

ركز المُحدثون من طلاب مصر وبلاد الشام على دراسة أمهات الكتب التي خُصصت للحديث النبوي الشريف وعلومه منها "صحيح البخاري" للإمام الحافظ أبي عبد الله بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)^(٧)، و"صحيح مسلم" لمؤلفه أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ/٨٧٤م)^(٨)، و"الأربعين النووية" للإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٨هـ/١٢٧٧م)^(٩)، و"نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ ابن

(١) - عبد الرحيم بن أبي اللطف بن إسحق بن أبي اللطف الحنفي القدسي: ولد في بيت المقدس، ولزم علماء عصره لتحصيل العلوم الأولية، ثم ارتحل إلى الأزهر الشريف وأخذ فيه العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢-٥.

(٢) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢-٥.

(٣) - عبد الغني بن رضوان الحنفي الصيدائي: ولد ونشأ في صيدا، ثم انتقل إلى مصر لطلب العلم فأخذ عن علماء الأزهر الشريف علوم عديدة وبرع في علم التفسير. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٨.

(٤) - لم أعثر له على ترجمة.

(٥) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٨.

(٦) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٧-١١٠. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢٥-١٢٠.

(٧) - محمد بن إسماعيل البخاري: أحد كبار الحفاظ والفقهاء، ويعد من أهم علماء الحديث وعلوم الرجال والجرح والتعديل، ولد في بخارى (إحدى مدن أوزبكستان)، وطاف عدة مدن لطلب الحديث وألف فيه أعظم المؤلفات، وكانت وفاته في سمرقند. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٢، ص ١٠٠.

(٨) - مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري: أحد كبار علماء الحديث النبوي الشريف، صاحب "صحيح مسلم". الذهبي، محمد بن أحمد: تذكرة الحفاظ، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٢، ص ١٥٠.

(٩) - يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني النووي، الشافعي، أبو زكريا، محيي الدين: علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) وإليها نسبته، تعلم في دمشق، وأقام فيها زمناً طويلاً=

حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)^(١)، وكتاب "الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير" للعلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م).

ومن طلاب بلاد الشام الذين انتقلوا إلى مصر في مرحلة البحث لطلب الحديث الشيخ أبو بكر المعروف بابن الأخرم (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨١م)^(٢) الذي انتقل إلى القاهرة؛ "لأخذ الحديث عن الشيخ عامر الشبراوي (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م)^(٣)، ثم عاد إلى بلاده وأفتى فيها ونفع الناس، وألف مؤلفات كثيرة منها حاشية على الجامع الصغير في الحديث وشرحه^(٤)". ومنهم الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي المعروف بالخالدي الحنفي (ت ١٠٣٤هـ/ ١٦٢٥م) الذي أخذ الحديث في مصر عن "الشيخ محمد بن محمد البهنسي العقيلي^(٥) وأجازه بالبخاري^(٦)".

ومن طلاب بلاد الشام الذين درسوا الحديث في مصر الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ/ ١٦٧٢م) الذي قرأ الصحيحين _صحيح البخاري وصحيح مسلم- عن عبد السلام اللقاني (ت ١٠٧٨هـ/ ١٦٦٨م)^(٧) في الأزهر الشريف وأجازه فيه، وذكر الصفوري في ثبته أنه قرأ الأربعة حديثاً النوويّة "بتمامها على شيخنا البابلي بالدرس العام بالجامع الأزهر وهو يرويها عن اللقاني وهو عن

=من أهم آثاره: "منهاج الطالبين" و"تهذيب الأسماء واللغات" و"المنهاج". الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٤٧٢.

(١)- أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني: من أئمة العلم والتاريخ، أصله من عسقلان "في فلسطين" ومولده ووفاته في القاهرة. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٢، ص ٣٦.

(٢)- أبو بكر بن عبد الله المعروف بابن الأخرم النابلسي الشافعي: وُلِدَ في نابلس، وحصل علومه على يد كبار علماء عصره، ثم رحل إلى القاهرة؛ لِيختص بعلم الحديث، فأخذه عن الشيخ عامر الشبراوي (ت ١٠٦٢هـ/ ١٦٥٢م)، ورجع إلى بلده، وأفتى فيها ونفع الناس كثيراً، وبقي يفيد الناس حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٨٧.

(٣)- عامر بن شرف الدين المعروف بالشبراوي الشافعي: وُلِدَ ونشأ في القاهرة، ولزم منذ صغره كبار علماء الأزهر، وأخذ عنهم حتى أجز منهم، وبرع في كثير من العلوم، فبقي يفيد بها طلاب الأزهر حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٤)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٨٧.

(٥)- لم أعث له على ترجمة.

(٦)- البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢٤-١٣٢. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٩٧.

(٧)- عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني: ولد في لقانة "من قرى مصر" ثم انتقل إلى القاهرة مع والده منذ صغره، وأخذ على علماء الأزهر الشريف، ثم تصدر للإفادة مكان والده البرهان اللقاني، ونفع طلاب عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٠٤.

الشيخ النجم الغيطي(ت ٩٦٨هـ/١٥٦١م) عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري
(ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) عن الحافظ العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٩م)^(١).

وقرأ الشيخ علي المعروف بالنجار الدمشقي أثناء إقامته في القاهرة على الشيخ محمد
حجازي الشعراوي (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٥م)^(٢) الجامع الصغير في الحديث^(٣)، ومنهم أيضاً فخر
الدين بن زكريا (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م) الذي أخذ الحديث عن "الخطيب الشربيني"^(٤) بعد
قراءته عليه النخبة في المصطلح^(٥). ومنهم الشيخ مصطفى بن أحمد بن منصور بن محب
الدين المحبي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م)^(٦) الذي أخذ عن البرهان اللقاني(ت ١٠٤١هـ/١٦٣١م)
ألفية الحديث وأجازه فيها^(٧).

وبرع من طلاب بلاد الشام في مصر خلال القرن الثامن عشر الشيخ علي الدباغ
(ت ١١٧٤هـ/١٧٦١م)^(٨) الذي أخذ الحديث في الأزهر الشريف حتى نبغ به وألف فيه عدة
مؤلفات منها "شرح على البخاري"^(٩)، ومنهم أيضاً الشيخ محمود بن إبراهيم الغزي
(ت ١١٥٥هـ/١٧٤٣م)^(١٠) الذي أخذ الحديث في القاهرة على يد الشيخ أحمد بن محمد الفقيه

(١) - الصفوري: ثبت الشيخ عبد القادر الصفوري، ق ٤.

(٢) - محمد حجازي بن محمد بن عبد الله الشهير بالواعظ: نشأ في مصر وحفظ القرآن الكريم، ثم أخذ النحو
والقراءات والفقه الإسلامي والحديث عن جماعة من العلماء حتى أجازوه فيها، ثم تصدر للإفادة في الأزهر
الشريف ونفع عدداً من طلاب العلم. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٤.

(٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٠١.

(٤) - علي بن عبد الرحمن بن محمد الخطيب الشربيني الشافعي: ولد في شربين (من قرى مصر) وإليها ينسب، ثم
انتقل إلى القاهرة لطلب العلم في الأزهر الشريف، حتى في برع العلوم الشرعية عامة والتفسير والحديث خاصة.
الباباني: هدية العارفين، ج ١، ص ٧٥٤.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٢٠١.

(٦) - مصطفى بن أحمد بن منصور بن إبراهيم بن محمد سلامة محب الدين المحبي: ولد ونشأ في دمشق، وتفق
على أقرانه في علم الحديث حتى أصبح من مشاهير علماء الحديث في عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤،
ص ٣٦٥-٣٦٨.

(٧) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٦٥-٣٦٨.

(٨) - علي بن مصطفى الملقب بأبي الفتوح الدباغ المعروف بالميقاتي الشافعي: ولد في حلب وحصل علومه فيها، ثم
انتقل لطلب علم الحديث إلى مصر والحجاز حتى برع فيه. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٩) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(١٠) - محمود بن إبراهيم بن محمود بن حسين الشافعي الغزي الدمشقي: ولد ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى القاهرة
لطلب العلم، ولزم كبار علماء الأزهر وأخذ عنهم الفقه والنحو والتوحيد والحديث والمنطق حتى أجازوه بالإفتاء
والتدريس. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٢٦.

المصري الشافعي^(١). ومن طلاب مصر الذين انتقلوا إلى بلاد الشام لطلب الحديث الشريف الشيخ مصطفى بن أحمد اللقيمي الدمياطي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) الذي انتقل إلى دمشق ولأزم الشيخ إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) في دروسه تحت قبة النسر في الجامع الأموي وأخذ عنه "صحيح الإمام البخاري" حتى أجاز به جميع مروياته^(٢). أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام فلم يكن هناك أي طالب علم مصري انتقل لدراسة الحديث النبوي خلال مرحلة البحث^(٣).

٢- اللغة العربية وآدابها:

اعتنى علماء بلاد الشام ومصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر بآداب اللغة العربية وفنونها، فألفوا فيها على أشكال مختلفة من: التلخيص والتعليق والنظم والشرح، أو التأليف في وسائل مختلفة، فضلاً عن اهتمامهم بالمؤلفات القديمة في اللغة وآدابها من شروح ومتون وتأليف وقصدهم إياها في قراءاتهم ودروسهم، ومنهم من اهتم بها فوضع شرحاً على شرح، ومتناً على متن، أو حاشية أو تلخيصاً لها^(٤)، وقد تجلّت العناية بهذه اللغة من أنها الركيزة الأساسية في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لكونهما باللغة العربية ولا يمكن فهمهما ومعرفة أسرارهما واستنباط الأحكام منهما لغير المتكلمين بهذه اللغة، وعلى ذلك فلا يُمكن لأيّ عالم أن يستغني عن دراستها.

وقد اشتهر في الأزهر الشريف عدد من العلماء الذين تخصصوا بتدريس اللغة العربية وآدابها، وصنفوا فيها عدداً كبيراً من المؤلفات المهمة، وأفادوا في الوقت ذاته طلاب العلم القادمين من مختلف الولايات المجاورة وخاصةً من بلاد الشام، ومن أشهر علماء اللغة العربية في الأزهر، الشيخ أبو بكر الشنواني (ت ١٠١٩هـ / ١٦١١م) الذي طلب العلم على كبار علماء الأزهر الشريف وبرع في اللغة العربية، ثم تتبّع آراء النحاة واختلافاتهم وشواهدهم وتأثر

(١) - لم أعثر له على ترجمة.

(٢) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.

(٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٠-٢٩٦. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٠-٢٢٠.

(٤) - الدكدجي، محمد بن إبراهيم: مشيخة العلامة المحدث فخر الدين الدكدجي، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، أروقة للدراسات والنشر، عمان، ط ١، ٢٠١٦م، ص ٢٣.

ببعضهم أمثال سيبويه (ت ١٨٠هـ/ ٧٩٦م)^(١)، والجرمي (ت ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م)^(٢)، والزمخشري (ت ٥٣٨هـ/ ١١٤٤م)، وابن مالك (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٤م)^(٣)، وخرج منها بعدة شروحات وحواشي على مؤلفاتهم^(٤).

ونظراً لغزارة علم الشنواني ومكانته السامية التي حظي بها، فقد توافد عليه عدد من طلاب بلاد الشام للاستزادة في اللغة العربية وآدابها، مثل أبي بكر بن محمود العصفوري (ت ١٠٠٢هـ/ ١٥٩٤م)، وأبو بكر بن منصور بن بركات العمري (ت ١٠٤٨هـ/ ١٦٣٨م)^(٥)، وأبو السعود بن تاج الدين (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م)^(٦)، وأسعد بن عبد الرحمن البتروني (ت ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٤م)^(٧)، ورجب بن حجازي المعروف بالحريري^(٨)، ويوسف بن عمران الحلبي (ت ١٠٧٤هـ/ ١٦٦٤م)، وجميع هؤلاء الطلاب درسوا حواشي الشنواني، وبرعوا في اللغة العربية وآدابها وصنفوا بعد عودتهم من مصر منظومات شعرية كثيرة^(٩).

(١) - عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب بسيبويه: إمام النحاة، حجة العرب، طلب الفقه الإسلامي والحديث مدة، ثم أقبل على اللغة العربية حتى برع فيها وساد أهل العصر، وألف فيها "كتاب سيبويه في النحو". الذهبي، محمد بن أحمد: سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، ٢٥ جزء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١١، ٢٠٠١م، ج ٨، ص ٣٥١.

(٢) - صالح بن إسحاق الجرمي: فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة، من أشهر آثاره: "السير" و"غريب سيبويه" و"العروض". ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٢، ص ٥٧.

(٣) - محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجبائي المعروف بابن مالك، نسبة إلى جيان في الأندلس التي ولد فيها، اشتهر بمعرفته في اللغة العربية وآدابها حتى أصبح أحد أعظم النحاة في عصره، أشهر آثاره "الألفية النحوية"، و"الكافية الشافية". السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزءان، المكتبة العصرية، صيدا، د. ط، د. ت، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) - الشنواني، أبو بكر بن إسماعيل: الدرة الشنوانية على شرح الأبرومية، مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية (١٢٩ق)، رقم ١٠٩، ويوجد على هذا الرابط (<http://wqf.me/?p=16797>)، ق ٤-١٨.

(٥) - أبو بكر بن منصور بن بركات العمري: ولد في دمشق وحصل علوه الأولية فيها، ثم ارتحل إلى الأزهر الشريف لطلب العلم، حتى برع في اللغة العربية. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٩٩.

(٦) - أبو السعود بن تاج الدين بن محمد بن أحمد بن زكي الدين الدمشقي الشافعي: وُلِدَ ونشأ في دمشق، ثم رحل إلى مصر، وأخذ بالجامع الأزهر، وياشر بعد عودته إلى دمشق في الإفادة والتأليف. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١١٩.

(٧) - أسعد بن عبد الرحمن بن أبي الجود بن عبد الرحمن البتروني: ولد في حلب، وقرأ بها على علماء عصره، ثم انتقل إلى القاهرة للاستزادة في اللغة العربية حتى برع فيها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٩٩.

(٨) - رجب بن حجازي الحمصي الأصل الدمشقي المولد المعروف بالحريري الشاعر: انتقل إلى الأزهر لطلب العلوم العربية وبرع في الشعر. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٦٠.

(٩) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣٩٩، ج ٢، ص ١٦٠.

واشتهر من علماء اللغة العربية في الأزهر الشريف الشيخ محمد الفارضي^(١) الذي برع في هذا المجال وصنف فيه عدة مؤلفات وشروحات منها: شرحه على ألفية ابن مالك، فأخذه عنه عدد من طلاب العلم الشوام كالشيخ محمد بن عمر بن فواز (ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٧م)^(٢) وروى عنه منظومات شعرية كثيرة. ومن علماء الأزهر الذين أفادوا طلاب العلم في اللغة العربية الشيخ علي الأجهوري (ت ١٠٦٦هـ/١٦٥٥م)^(٣) الذي صنف في هذا المجال شروحات وحواشي على كتب كبار النحاة فلازمه من بلاد الشام الشيخ فضل الله بن محب الله بن محب الدين (ت ١٠٨٢هـ/١٦٧٢م)^(٤)، والشيخ محمد بن عتيق (ت ١٠٨٨هـ/١٦٧٨م)^(٥)، وأخذوا عنه شرحه لألفية ابن مالك^(٦).

وبرع في القرن الثامن عشر من علماء الأزهر الشريف في اللغة العربية الشيخ أحمد الملوي (ت ١١٨١هـ/١٧٦٨م)^(٧) الذي طلب العلوم العربية إلى جانب العلوم الشرعية على كبار علماء الأزهر الشريف حتى أجز منهم، وألف في هذا المجال عدة شروحات منها شرحه على الأجرومية، وشرحه على ألفية ابن مالك فلازمه بعض طلاب بلاد الشام للأخذ عنه مثل الشـيخ أحمد شـاكر الجـكـواتي^(٨)،

-
- (١) - محمد القاهري الحنبلي، شمس الدين، المعروف بالفارضي الشاعر المشهور: ولد ونشأ في القاهرة منذ صغره نشأة علمية فلازم كبار علماء الأزهر الشريف حتى برع في اللغة العربية، وصنف فيها مؤلفات كثيرة، منها شرحه على ألفية ابن مالك. ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، مج ١٠، ص ٥٧٦.
- (٢) - محمد بن عمر بن فواز الملقب بشمس الدين الدمشقي: وُلِدَ ونشأ في دمشق، وقرأ العلم على كبار علماء عصره، ثم رحل إلى القاهرة، وأخذ عن علمائها في الأزهر الشريف، ثم تصدر للإفادة في بعض مدارس دمشق بعد عودته إليها. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٤، ص ٧٤.
- (٣) - علي بن محمد بن عبد الرحمن بن علي الأجهوري، أبو الإرشاد، نسبته إلى أجهور الكبرى "قرية في مدينة القليوبية" ثم انتقل إلى القاهرة لتلقي العلم ونشره، حتى صار من أعلام الدنيا وتوفي فيها. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٣، ص ١٥٧.
- (٤) - فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين الدمشقي: انتقل إلى الأزهر الشريف للاستزادة في العلوم الشرعية والعربية. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٣، ص ٢٧٧.
- (٥) - محمد بن عتيق الحمصي المولد الشافعي: انتقل إلى القاهرة ولازم كبار علماء العربية حتى تفوق فيها، وألف في هذا المجال عدة مؤلفات وشروحات. المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ٤، ص ٣٤.
- (٦) - ابن العماد الحنبلي: **شذرات الذهب**، مج ١٠، ص ٥٧٦.
- (٧) - أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف بن عمر المجيري الملوي الشافعي: أحد علماء الأزهر الشريف الذين أفادوا طلاب العلم في اللغة العربية وآدابها. الجبرتي: **عجائب الآثار**، ج ٣، ص ٣٥٠.
- (٨) - أحمد بن عمر بن عثمان المعروف بالشاكر الحموي نزيل دمشق الحنفي: أخذ العلم عن علماء دمشق الكبار، ثم توجه إلى القاهرة لطلب اللغة العربية حتى برع في الأدب. المرادي: **سلك الدرر**، ج ١، ص ١٥٥-١٥٧.

وأحمد الكيواني(ت ١١٧٣هـ / ١٧٦٠م)^(١)، وياسين اللدي (ت ١١٩٠هـ / ١٧٧٧م)^(٢)، وعمر بن مصطفى الشهير بابن كرامة (ت ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م)^(٣). أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر فلم يكن هناك أي طالب علم مصري درس اللغة العربية هناك، لأن معظم المنتقلين كانوا من العلماء الذين أجازوا في الأزهر الشريف قبيل انتقالهم إلى بلاد الشام^(٤).

٣- العلوم العقلية:

كثيراً ما وصفت العلوم العقلية بأنها وصلت في العصر العثماني عامةً وفي القرنين السابع عشر والثامن عشر خاصةً إلى أحط درجات التخلف، إذ وصفها بعض الكتاب المعاصرين بأنها "بلغت أقصى درجات الاضطراب والتخلف وتحولت الطبيعيات والرياضيات منها إلى خرافات وأوهام، وقل المشتغلون بها والانقطاع لها"^(٥)، وهذا الرأي يحمل الإجحاف الشديد لجهود العلماء المشتغلين بالعلوم العقلية في هذه المرحلة، فالمنتبع لهذه العلوم يُلاحظ أن الاهتمام بها أتى في المرتبة الثانية بعد العلوم الشرعية والعربية، ولكن نسبتهم كانت أقل بكثير من تلك العلوم، إلا أن الأمر لم يتدنّ إلى الحد الذي ذكر سابقاً.

فقد برع عدد كبير من علماء مصر وبلاد الشام في العلوم العقلية، وارتحلوا إلى دار السلطنة للتعمق فيها على أيدي جهابذة هذا المجال، وأثر البعض منهم الاستقرار فيها، ويمكن القول أن استقطاب دار السلطنة لعلماء العلوم العقلية واستقرارهم بها، كان من أهم العوامل التي حرمت الولايات العربية بشكل عام، وليس مصر وبلاد الشام من بقائهم في ولاياتهم، وبالتالي أصبح هناك حالة من التراكم المعرفي الذي هو الأساس لتطور أي مجتمع.

أما البعض الآخر من هؤلاء العلماء -وهم قلة قليلة- فقد تصدروا للإفادة والتدريس عند عودتهم إلى موطنهم في أكبر المراكز العلمية آنذاك خاصةً الأزهر الشريف، والجامع

(١)- أحمد بن حسين بن كيوان الدمشقي مولداً: توجه إلى مصر واستقر فيها عدة سنوات حتى برع في الأدب.

المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٩٧-١٠٧.

(٢)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٣)- عمر بن مصطفى بن أبي اللطف الحنفي الطرابلسي الشهير بابن كرامة: ولد في طرابلس الشام وحصل علومه فيها، ثم توجه إلى مصر لطلب العلم في الأزهر الشريف حتى تفوق على أقرانه في اللغة العربية وألف فيها عدة مؤلفات. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٩٢.

(٤)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥-٢٩٠. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٥-٣٢٠.

(٥)- زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج ٣، ص ٣٣٨.

الأموي بدمشق، وتركوا مصنفات عظيمة في الفلك أو الهيئة^(١) وفي العلوم الطبية^(٢)

(١)- برع علماء مصر وبلاد الشام خلال مرحلة البحث في علم الفلك أو الهيئة، فاهتم البعض منهم بوضع مصنفات تمس أفراد المجتمع العاديين كالمسائل الخاصة بالتقويم، وكيفية تحديد التاريخ القبطي والتاريخ العربي، وتحديد اتجاه القبلة من غير استخدام آلة ليلاً أو نهاراً، وتوضيح الإرشادات المتعلقة بالزراعة، وغير ذلك من الأمور التي تخدم المجتمع، أما البعض الآخر منهم فقد اهتموا بالتصنيف في الأزياج وهو من أهم فروع الفلك، إلى جانب وضعهم بعض المصنفات المبسطة والموضحة في هذا المجال حتى يتسنى للطلبة المقبلين في هذا المجال على تعلمه والتمكن منه. ومن أشهر المصنفات التي وضعها علماء تلك المرحلة "ناشئة الليل ونظم الارتشاف" لمؤلفه سراج الدين عمر الفارسكوري (ت ١٠١٨هـ/١٦٠٩م)، و"جوهره النفس في معرفة التاريخ وحل درجة الشمس" لمؤلفه عبدالله بن عبد الرحمن الدنوشي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، و"الدرة اليتيمة" في الميقات لمؤلفها عبدالله بن أحمد المناوي، ومن المشاركات الفعالة في هذا المجال مشاركة أحمد القليوبي الذي وضع مصنفين الأول منها "مقدمة في حساب الدرج والدقائق في علم الميقات" والثاني منها "رسالة في كيفية تحديد القبلة من غير آلة"، ومن علماء بلاد الشام الذين برعوا في علم الفلك أحمد بن تاج الدين الدمشقي (ت ١٠٨١هـ/١٦٧٠م) الذي ارتحل إلى الحجاز للاستزادة في هذا المجال، ثم تولى منصب مؤقت الحرم النبوي، كما صنع بعض الآلات الفلكية، واشتهر عبد الجليل بن محمد المعروف بابن الهادي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) في الفلك وألف فيه "الدرر اللامع في العمل بالربع الجامع في الفلك"، وغيرهم الكثير. بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ١٠ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٥٩م، ج ٨، ص ٢٥٠-٢٦٥، ٣٣١-٣٣٨. البغدادي، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقايا، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت، ج ٢، ص ١٧٦. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ٩٥-٩٦. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٩٠٧، ج ٢، ص ٩٦٦. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٧٨، ج ٢، ص ٣٠٠. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٦٤.

(٢)- عُني علماء مصر وبلاد الشام بالعلوم الطبية واشتغلوا فيها وأفادوا طلاب عصرهم في مرحلة البحث، وصنفوا العديد من المؤلفات منها "النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية" و"بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج" و"التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده"، و"منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطوائع" لمؤلفها عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ/١٦٢١م). واشتهر في علم الطب شهاب الدين أحمد القليوبي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) وصنف فيه العديد من المؤلفات منها "تذكرة القليوبي" الذي تناول فيه الأمراض التي تعترى أعضاء الإنسان، وطرق علاجها، و"الجامع في الطب"، و"مصاييح السنة في طب خير البرية". وعُرف أحمد سراج الدين المعروف بابن الصائغ المصري (ت ١٠٣٦هـ/١٦٢٥م) في مؤلفاته الطبية وخاصة في "رسالة في حكم طب أهل مصر وفي حكم الفصول الأربعة" وقد رتب هذه الرسالة في خمسة عشر فصلاً تناول فيها طرق معالجة الأمراض وطرق الوقاية منها. واشتهر مدين بن عبد الرحمن القوصوني (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٤م) بمؤلفاته المهمة منها "قاموس الأطباء، وناموس الألبا في المفردات" و"تكملة شرح الأسباب والعلامات". وبرع صالح بن نصر الله المعروف بابن السلوم (ت ١٠٨١هـ/١٦٧١م) في علومه الطبية وترك مؤلفاً ضخماً في الطب سماه "غاية الإتقان في تدبير بدن الإنسان"، وغيرهم الكثير. الباباني: هدية العارفين، ج ٢، ص ١٦١. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٨، ص ١٦٠-١٦٥. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ١١٤-١١٧.

والعلوم الرياضية^(١) وغير ذلك، وهذه المصنفات بينت إلى أي مدى وصل الاهتمام بهذه العلوم من قبل علماء هذه المرحلة، إلى جانب اهتمامهم بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. وقد برع طلاب العلم الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر خلال مرحلة البحث بالعلوم العقلية، واشتهر منهم الشيخ ياسين بن زين الدين الحمصي الشهير بالعلمي (ت ١٠٦١هـ/١٦٥١م)^(٢) الذي انتقل مع والده إلى القاهرة وأخذ العلوم العقلية عن الشهاب الغنيمي (ت ١٠٤٤هـ/١٦٣٥م)^(٣) وبرع فيها، "إلى جانب دراسته للأصول والفقه الإسلامي"^(٤). ومنهم رجب بن حسين بن علوان الحموي (١٠٨٧هـ/١٦٧٨م) الذي رحل إلى القاهرة للاستزادة في العلوم العقلية في الأزهر الشريف، حتى أصبح "أعجوبة الزمان في العلوم الغربية والعلوم الرياضية كالهئية والحساب والفلك والموسيقى والفرائض"^(٥)، وقد ذكر أبو المواهب الحنبلي (ت ١١٢٦هـ/١٧١٥م) في مشيخته أن معظم "أخذه لهذه العلوم في رحلته إلى القاهرة"^(٦)، وعندما عاد إلى موطنه دمشق تصدر للإفادة في هذه العلوم^(٧). ومنهم أيضاً الشيخ أحمد بن يحيى الكومي (ت ١٠٩١هـ/ ١٦٨١م) الذي أخذ الحساب في الأزهر

=الخفاجي: ربحانة الألبا، ص ١٨١. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٤٠، ج ٤، ص ١٥٠. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ١٠٣.

(١)- كان لعلماء مصر وبلاد الشام في مرحلة البحث جهود كبيرة في العلوم الرياضية، برع منهم حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) في رسالته التي سماها "الزهر النضير على الحوض المستدير"، وبرع محمد بن علي الشيراملسي المالكي (ت ١٠٢١هـ/١٦١٤م) في هذا المجال وصنف فيه "النبذة الوفية في وضع الأوفاق العددية" و"إيضاح المكتنم في حساب الرقم" و"الدرة البهية في وضع بسائط فضل الدائر بالطرق الهندسية" كما له "الارتشاف بالعلم بخواص العدد في الحساب" و"مباهج التيسير بمناهج التكسير"، ومنهم عبد الرحمن بن عبدالله السكري (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٤م) الذي ألف "تحصيل الانتفاع وغاية الارتفاع في وضع المقاييس، وضع الأرباع"، وغيرها الكثير. الباباني: هدية العارفين، ج ٢، ص ٢٦٩. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج ٨، ص ٣٦٠-٣٦١. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٥٦-٤٥٧.

(٢)- ياسين بن زين الدين الحمصي الشهير بالعلمي: ولد في حمص ورحل مع والده إلى القاهرة ونشأ فيها، فقرأ على علماء الأزهر الشريف العلوم الشرعية والعقلية، حتى نبغ فيها وتفوق على أقرانه، ثم أفاد بها طلاب عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٩١.

(٣)- أحمد بن محمد بن علي الملقب شهاب الدين الغنيمي المصري الحنفي: ولد ونشأ في القاهرة، فلزم علماء الأزهر الشريف وأخذ عنهم العلوم على مختلف أصنافها وبرع في العلوم الرياضية، وتصدر في الأزهر لإفادة طلاب العلم. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٢-٣١٥.

(٤)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٩١.

(٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٦١.

(٦)- الحنبلي: مشيخة أبي المواهب، ص ٥٤.

(٧)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٦١.

الشريف عن الشيخ عبد المنعم الشرنوبى^(١) إلى جانب طلبه للعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية^(٢).

وانتقل الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٢م) إلى الأزهر الشريف للاستزادة في علمي الحساب والفرائض وذكر في ثبته: "... وتلقيتهما عن جماعة من علماء الأزهر من أجلهم شيخنا العلامة الفرد الجامع والغيث الهامع المحقق الشيخ سلطان بن أحمد المزاحي (ت ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)، ومنهم الشيخ الإمام والحبر الهمام الجامع لغالب العلوم الرياضية شمس الملة والدين محمد الشبراملسي الفرضي المالكي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٧م) وأجازه في ألفية ابن الهائم (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م)^(٣) في الرياضيات^(٤)."

وممن ذاع صيته في هذا المجال الشيخ مرعي الحنبلي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م) الذي انتقل إلى الأزهر الشريف لطلب العلم حتى برع في العلوم العقلية إلى جانب إتقانه للعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، فصنف في علم الفلك "تزهة نفوس الأخيار، ومطلع شوارق الأنوار، وصنف في الطب مصنفين الأول بعنوان تحقيق الظنون بأخبار الطاعون، والآخر بعنوان ما يفعله الأطباء والداعون لدفع أشرار الطاعون^(٥)."

واشتهر من المرتحلين إلى مصر الشيخ محمد الرئيس (ت ١١٣٠هـ / ١٧١٨م)^(٦) الذي طلب العلوم العقلية عامة والطب خاصة، وسافر لغرض التعمق بها إلى مصر ودمشق "وأخذ بعضاً من العلوم الغربية والفنون من الشيخ عبد الوهاب الطنطاوي^(٧)، حتى أصبح أحد المتفردين في علم الطب والحكمة والفلك والهيئة^(٨)"، وله عدة مؤلفات مهمة في العلوم

(١) - عبد المنعم الشرنوبى: أحد علماء الأزهر الشريف الذين أفادوا طلاب العلم في العلوم العقلية. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٧، ٤١٠.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٣١٧.

(٣) - أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، ابن الهائم: أحد كبار علماء مصر المشتهرين بمعرفته في العلوم الرياضية، من أشهر آثاره: "الألفية" و"مرشد الطالب" و"كفاية الحفاظ". الزركلي: الأعلام، ج ٧، ص ٢٨٢.

(٤) - الصفوري: ثبت الشيخ عبد القادر الصفوري، ق ٧.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٨.

(٦) - محمد الرئيس بن عبد الله بن سليمان بن أحمد الشهير بالرئيس: ولد في غزة هاشم، وحصل علومه الأولية فيها، ثم برع في الطب وعالج الناس. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٧٤.

(٧) - عبد الوهاب بن أحمد بن بركات الأحمدي الطنطاوي المصري الشافعي: ولد في طنطا "في مصر" ثم انتقل منها إلى القاهرة لطلب العلم، حتى تفوق على أقرانه في العلوم العقلية ونفع بها طلاب عصره. البغدادي: إيضاح المكنون، ج ١، ص ١٧٤.

(٨) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٧٤.

الطبية^(١). ومن البارزين في هذا المجال الشيخ عبد اللطيف المكتبي (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م)^(٢) الذي أخذ علومه الأولية في دمشق ثم ارتحل إلى الأزهر الشريف للاستزادة في العلوم العقلية حتى برع في "الحساب والفلك والهيئة"^(٣). وبرز في العلوم العقلية عامة والطب خاصة الشيخ محمد الغزي (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٥م)^(٤) الذي حصل في الأزهر الشريف العلوم العقلية وبرع في العلوم الطبية، وله فيه "التأليف الحسنة"^(٥). ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن السيد عبد الرحيم القدسي^(٦) الذي برع بعد عودته من مصر في العلوم العقلية والنقلية^(٧). وتعقياً على ما سبق ذكره يمكن القول أنه على الرغم من الجهود التي بذلها هؤلاء الطلاب إلا أن جهودهم في هذا المجال اقتصرت على التأليف والدراسات النظرية فقط دون أي تطبيق عملي على أرض الواقع. أما بالنسبة لطلاب العلم المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام خلال مرحلة البحث، فلم يكن منهم أي طالب علم انتقل لدراسة العلوم العقلية، فمعظم من انتقل إلى هناك كان من العلماء المتبحرين في هذا المجال، وتولوا التدريس في بعض مدارس الشام وأفادوا طلاب العلم في العلوم العقلية^(٨).

ثانياً: الإجازات العلمية:

تعد الإجازات العلمية تقليداً تربوياً، ونظاماً تعليمياً إسلامياً، أول من تبناه شيوخ من حملة الحديث الشريف ورواته، ثم اتسعت الإجازات وتتنوعت حتى شملت مختلف العلوم، فصار الاتصال بالشيوخ أمراً ضرورياً ومطلباً ملحاً لطلب العلم من أجل نيل الإجازات منهم^(٩)، وقد أوضح كبار العلماء المسلمين أهمية الإجازة والحرص على طلبها، وقد ذكر

-
- (١) - المرادي: **سلك الدرر**، ج ٤، ص ٧٤.
 - (٢) - عبد اللطيف بن أحمد المكتبي: ولد ونشأ في دمشق، وحصل علومه فيها، ثم انتقل إلى القاهرة وتعمق في الحساب والفلك والهيئة، ونفع طلاب مصر بها. المرادي: **سلك الدرر**، ج ٣، ص ١١٨-١١٩.
 - (٣) - المرادي: **سلك الدرر**، ج ٣، ص ١١٨-١١٩.
 - (٤) - محمد بن محمد بن علي بن بدر الدين الشافعي الغزي: ولد ونشأ في غزة، فقرأ العلم على والده، ثم انتقل إلى مصر للاستزادة. المرادي: **سلك الدرر**، ج ٤، ص ١٠٨-١٠٩.
 - (٥) - المرادي: **سلك الدرر**، ج ٤، ص ١٠٨-١٠٩.
 - (٦) - محمد بن السيد عبد الرحيم المقدسي: ولد في بيت المقدس، وحصل علومه فيها، ثم انتقل إلى مصر لطلب العلم في الأزهر الشريف حتى برع فيما أخذه عنهم. المرادي: **سلك الدرر**، ج ٤، ص ٥٢.
 - (٧) - المرادي: **سلك الدرر**، ج ٤، ص ٥٢.
 - (٨) - المحبي: **خلاصة الأثر**، ج ١، ص ١٥-٢٩٠. المرادي: **سلك الدرر**، ج ١، ص ٥-٣٢٠.
 - (٩) - فياض، عبد الله: **الإجازات العلمية عند المسلمين**، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط ١، ١٩٦٧م، ص ٣٥.

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ/٨٥٥م)^(١) حول ذلك: "لو بطلت لضع العلم"^(٢) لذلك أصبحت الإجازة من الضرورات العلمية التي وجب على طالب العلم السعي في الحصول عليها والسفر في طلبها ونيلها، حتى يثبت صحة علمه ورسوخ قدمه، وأنه وصل إلى درجة كافية من العلم تؤهله لتدريس أو رواية ما سمعه أو تلقاه من شيوخه وأساتذته.

١- مفهوم الإجازة اللغوية والاصطلاحي:

الإجازة في اللغة: مصدر من الفعل -جوز- قال ابن فارس (ت ٣٦٥هـ/٩٨٦م)^(٣): الجيم والواو والزاي أصلان أحدهما: قطع الشيء، والآخر وسط الشيء، فأما الأول فالأصل فيه: جُزْتُ الموضع: سرت فيه. وأجزته: خلفته وقطعته. وأجزته -أيضاً- نفذته والجواز: الإذن والإباحة. والجواز: الماء الذي يسقاه المال من الماشية والحرث، يقال منه: استجزت فلاناً فأجازني إذا أسقاك ماءً لأرضك أو ماشيتك، وكذا طالب العلم يستجيز العالم علمه فيجيزه إياه، والطالب مستجيز والعالم مجيز^(٤).

قال السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م): "فعلى هذا يجوز أن يقال أجزت فلاناً مسموعاتي ومن جعل الإجازة إنذاً وهو المعروف يقول أجزت له رواية مسموعاتي"^(٥) ومن هذا يتضح أن الإجازة في الاصطلاح هي إذن أو رخصة تتضمن تحويل المجاز حق نقل المادة العلمية أو الرواية لحديث معين أو كتاب محدد يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه^(٦).

(١)- أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن بكر وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي: إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو ومولده ببغداد. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١١، ص ١٧٧-٣٥٨.

(٢)- السخاوي: فتح المغي، ج ٢، ص ٦٧.

(٣)- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي: من أئمة اللغة والأدب، أصله من قزوين وأقام مدة في همدان، ثم انتقل إلى الري فتوفي فيها. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٣، ص ١٣٢.

(٤)- ابن زكريا، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ٦ أجزاء، دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٩٧٩م، ج ١، ص ٢٩٤.

(٥)- السيوطي، جلال الدين: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، مكتبة الكوثر، بيروت، ط ٢، ١٤١٥هـ، ص ٤٤٧-٤٤٨.

(٦)- فياض: الإجازات العلمية، ص ٢١-٢٢.

٢- أنواع الإجازات العلمية الممنوحة بين مصر وبلاد الشام:

للإجازة العلمية أنواع كثيرة، يهتم البحث منها الإجازات التي سعى لأخذها كل من طلاب بلاد الشام في مصر وطلاب مصر في بلاد الشام، وتبعاً لإحصائية أجريت للطلاب تبين أن الإجازات التي أجازها الطلاب بين هاتين الولايتين خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر انحصرت في الإجازة بالإفتاء والتدريس، والإجازة بالقرآن الكريم، والإجازة بالقراءة، والإجازة بالرواية أو المرويات، والإجازة بالمكاتبة، ويمكن الإشارة إليهم من خلال الآتي:

أ- الإجازة بالإفتاء والتدريس:

يُعرف هذا النوع من الإجازات العلمية بأنه رخصة تجيز لطالب العلم تولي الإفتاء والتدريس في إحدى المعاهد العلمية في ولايته أو في أي ولاية أخرى يستقر فيها، وهذا ما ذكره القلقشندي (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)^(١) عندما أوضح مفهومها، إذ ذكر: "جرت العادة أنه إذا تأهل بعض أهل العلم للفتيا والتدريس يأذن له شيخه في ذلك، ويحرر له وثيقة يشهد له فيها بتحصيله للعلوم المعنية واستحقاقه للتدريس وما شاكله، وهي لا تتطلب امتحاناً مسبقاً بل يكتفي الشيخ بما يعرفه عن المجاز له"^(٢).

وقد سعى بعض طلاب بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر -كما جرت العادة- بعد إتمام تحصيلهم الأولي في موطنهم للانتقال إلى مصر حيث الأزهر الشريف، لغرض الإجازة بالإفتاء والتدريس من كبار علمائه ومشايخه، ومن الذين حصلوا على تلك الإجازة الشيخ حافظ الدين بن محمد المقدسي السروري (ت ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٣م)^(٣) الذي أجاز للإفتاء والتدريس من شيخه حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م)، ومنهم عبد

(١)- أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري: المؤرخ الأديب، ولد في قلقشندة (من قرى القليوبية، بقرب القاهرة، سماها ياقوت قرقشندة) وتوفي في القاهرة، وله تصانيف كثيرة من أشهرها "صبح الأعشى في قوانين الإنشا" و "حلية الفضل وزينة الكرم في المفاخرة بين السيف والقلم" وغيرها الكثير. كحالة: معجم المؤلفين، ج ١، ص ٣١٧.

(٢)- القلقشندي، أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشا، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٢٢م، ج ١٤، ص ٣٢٢.

(٣)- محمد بن حافظ الدين بن محمد المعروف بالسروري المقدسي الحنفي: ولد في بيت المقدس ونشأ في حجر والده وأخذ عنه العلوم، ثم أخذ عن كبار علماء عصره حتى كبر شأنه فتولى المناصب العلمية والدينية في موطنه. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١٤.

اللطف بن أبي الوفا المفلحي (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م)^(١) الذي طلب الفقه من الشيخ يحيى بن موسى الحجاوي^(٢) والشيخ عبد الرحمن بن يوسف البهوتي^(٣) فأجازاه بالفتوى والتدريس، فأفتى مراراً في الأزهر الشريف، ثم عاد إلى دمشق وتولى القضاء فيها^(٤)، ومنهم أيضاً مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م) الذي أجاز بالافتاء والتدريس بعد نبوغه على أقرانه^(٥)، وممن أجاز من طلاب بلاد الشام في القرن الثامن عشر محمود بن إبراهيم الغزي (ت ١١٥٥هـ / ١٧٤٣م)^(٦) الذي ارتحل إلى مصر وأخذ الفقه والنحو والحديث والمنطق عن الشيخ أحمد بن محمد الفقيه المصري^(٧) فأجاز بالافتاء والتدريس. أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام فلم يحصل أي طالب ممن انتقل إلى هناك في مرحلة البحث على مثل هذه الإجازة^(٨).

ب - الإجازة بالقرآن الكريم:

تتميز الإجازة بالقرآن الكريم أو الإجازة بالقراءات القرآنية^(٩) عن غيرها من الإجازات بما يسبقها من امتحان طويل الأمد صعب التحضير، يتبع خلاله الطالب الأسانيد العالية ويبذل

-
- (١) - عبد اللطيف بن أحمد بن أبي الوفا المفلحي الانصاري الحنبلي: ولد ونشأ في دمشق، وقرأ العلوم على كبار علماء عصره حتى ولي قضاء الحنابلة بالمحكمة الكبرى بدمشق. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٤.
- (٢) - لم أعثر له على ترجمة.
- (٣) - عبد الرحمن بن يوسف البهوتي الحنبلي: ولد في القاهرة وحصل علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى الأزهر الشريف وأخذ علوم الحديث والفقه عن كبار علمائه. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٤٠٥.
- (٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٤.
- (٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٨. النجدي: السحب الوابلة، ص ٤٦٣-٤٦٤.
- (٦) - محمود بن إبراهيم بن محمود بن حسين الشافعي الغزي الدمشقي: قرأ على علماء عصره الكبار، حتى أجاز منهم، فتولى إثر ذلك التدريس في المدرسة الأمينية في دمشق ثم في الشامية، وتعاطى القضاء إلى أن وافاه أجله. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٢٦.
- (٧) - لم أعثر له على ترجمة.
- (٨) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥-٢٩٠. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٥-٣٢٠.
- (٩) - للإجازة بالقراءات القرآنية أنواعاً متعددة منها: إجازة برواية واحدة مثل الإجازة برواية حفص بن عاصم، والإجازة في القراءات السبع من طريق الشاطبية، والإجازة في القراءات الثلاث المتممة للعشر من طريق الدرة المضية. وإجازة في القراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر، وبالحصول على هذه إحدى هذه الإجازات يكون الطالب قد اتصل بإسناده بالنبي، وصار ضمن سلسلة الناقلين لكتاب الله تعالى بالسند المتصل. حول الإجازات القرآنية. انظر: ابن الجزري: منجد المقرئين، ص ١٠-١٥٠.

حر المال في سبيل علو سنده -أي تقليل عدد الوسائط بينه وبين النبي ﷺ- لينال الطالب بعد ذلك إجازة شيخه مكتوبة ومذيلة بشهادات العدول وغيرها على الشيخ المجيز^(١).

أما طريقة الحصول على هذه الإجازة حسب ما ذكره ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م)^(٢) فإنه "ينبغي للمجيز أن يقول: أذنت أو أجزت له أن يقرأ بما قرأه علي وما لا حرج فيه، ويقول المجاز في الأول قرأته، وفي الثاني رويته"^(٣)، ومن طلاب العلم الشوام الذين انتقلوا إلى مصر في القرن السابع عشر وسلخوا هذا الطريق في سبيل الحصول على الإجازة بالقرآن الكريم، الشيخ محمد بن محمد العسيلي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م)^(٤) الذي أخذ العلوم عن عدد من علماء الأزهر، منهم الشيخ عبد الرحمن اليميني (ت ١٠٥٠هـ/١٦٤١م) فأجازه بالقراءات السبع^(٥). أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام فلم يحصل أي طالب ممن ارتحل إليها في القرنين السابع عشر والثامن عشر على هذه الإجازة^(٦).

ج- الإجازة بالقراءة:

وتعرف أيضاً بالإجازة بالإقراء، وقد كان الشيخ المُدرس في العصور الإسلامية الأولى يكتب للطالب ما يفيد بأنه أتم عليه قراءة الكتاب المعين أو الكتب المعنية، واستمر ذلك حتى العصر العثماني^(٧)، وممن حصل على هذه الإجازة من طلاب بلاد الشام في مصر الشيخ

(١) - الذهبي: الموقظة في علم مصطلح الحديث، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠١٨م، ص ٧٣.

(٢) - محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي، المشهور بابن الجزري: شيخ الإقراء في زمانه، ولد ونشأ في دمشق، وأنشأ فيها مدرسة سماها دار القرآن، رحل إلى مصر مراراً، ثم رحل إلى شيراز، فولي قضاءها، ومات فيها. السخاوي: الضوء اللامع، ج ٩، ص ٢٥٥-٢٦٠.

(٣) - ابن الجزري: منجد المقرئين، ص ٧٦.

(٤) - محمد بن محمد بن موسى بن علاء الدين أبو اليسر الملقب بكمال الدين العسيلي: ولد ونشأ في بيت المقدس، ونبغ على أقرانه في علم القراءات واشتهر به. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٠٢.

(٦) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥-٢٩٠. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٥-٣٢٠.

(٧) - شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص ٢٦٣.

مصطفى بن أحمد بن منصور بن محب الدين المحبي (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م)^(١) الذي "انقطع خلال مدة إقامته في القاهرة في الطلب إلى البرهان اللقاني وخصه في ألفية الحديث على خلاف عادته من الامتناع عن التخصيص لفرد على الخصوص ثم أجاز به بما قرأه عليه"^(٢)، ومنهم في القرن الثامن عشر حامد العجلوني^(٣) فقد أجازه أجلاء مصر بعد القراءة عليهم، كالشيخ سلطان المزاحي (ت ١٠٧٥هـ / ١٦٦٤م)^(٤). أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام فلم يحصل أي طالب ممن ارتحل إلى هناك في القرنين السابع عشر والثامن عشر على هذه الإجازة^(٥).

د - الإجازة بكتاب:

ويعرف هذا النوع من الإجازات بأنه "إجازة معيّنة لمعّين، سواء كان واحداً كأجزتك كتاب البخاري، أو أكثر كأجزت فلاناً جميع ما اشتمل عليه فهرستي..."^(٦)، وقد انتشر هذا النوع بكثرة في العصور الإسلامية وخاصة في مرحلة البحث، إذ يقوم طالب العلم بحفظ الكتاب المراد أخذ الإجازة فيه، ثم يعرض ما حفظه على شيخه، وبعد أن يستدل الشيخ على إتقان الطالب لهذا الكتاب يكتب له الإجازة فيه^(٧).

وممن حصل على هذا النوع من الإجازات الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٢م) الذي أجاز بعلم الحساب خلال إقامته في الأزهر الشريف في كتاب "ألفية ابن الهائم" على يد الشيخ محمد الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٧م) ، وذكر الشبراملسي ما يبين تفوق الصفوري على أقرانه في نص الإجازة: "...وإن ممن وثق الله له تحصيل العلم وحاز نيلاً وعلا، واختار في اكتسابه المهجرة بغاية الجد، وحل بالأزهر حتى أزهر، وصار بالعلوم غصناً مثمراً، الحبر عبد القادر الصفوري نجل

(١) - مصطفى بن أحمد بن منصور بن إبراهيم بن محمد سلامة محب الدين المحبي: ولد ونشأ في دمشق، وتفوق على أقرانه في علم الحديث حتى أصبح من مشاهير علماء الحديث في عصره. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٦٥-٣٦٨.

(٢) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٦٥-٣٦٨.

(٣) - حامد بن سالم العجلوني الشافعي: ولد عجلون وحصل علومه الأولية فيها، ثم انتقل إلى الولايات المجاورة لإتمام تحصيله العلمي حتى أجاز فعاد إلى موطنه وتولى الإفتاء فيه. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ١١.

(٤) - المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ١١.

(٥) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥-٢٩٠. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٥-٣٢٠.

(٦) - التهانوي، محمد علي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مجلدان، مكتبة لبنان، بيروت، ط ١، ١٩٦٦م، مج ١، ص ٩٩.

(٧) - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، مج ١، ص ١٠٠.

الإمام مصطفى المشهور، وكان ممن لدروسي حضرا وابتكر فيها الأبحاث درراً، وقد أفاد واستفاد وسما على أقرانه^(١). أما بالنسبة لطلاب مصر في بلاد الشام فلم يحصل أي طالب منهم على هذا النوع من الإجازات العلمية^(٢).

هـ - الإجازة بالرواية:

وتعرف أيضاً بالإجازة بالمرويات، وهي إذن من الشيخ المجيز للطلاب المجاز بخطه أو بلفظه أو بهما معاً، ليؤدي عنه مروياته من غير أن يسمع ذلك منه أو يقرأه عليه، فيؤدي عنه بموجب ذلك الإذن^(٣) في أي علم من العلوم التي يتقنها شيخه، وهذا الإذن ليس شهادة تعليمية يستدل بها على درجة تحصيل حاملها، وتعد عند علماء المصطلح طريقة من الطرق الثمانية^(٤) لتحمل الحديث وأدائه^(٥).

والإجازة بالرواية أكثر أنواع الإجازات العلمية تداولاً، وقد استعملت أولاً في الحديث النبوي، ثم توسع العلماء في الإجازات فمنحوها لكل طالب علم في الفقه والتاريخ والأدب وغيرها من العلوم، وممن حصل هذه الإجازة من طلاب بلاد الشام في مصر خلال مرحلة البحث الشيخ أحمد بن محمد بن يوسف الصفدي المعروف بالخالدي (ت ١٠٣٤هـ/١٦٢٥م) الذي ارتحل إلى القاهرة وأخذ عن أساطين علماء الأزهر، ومن جملتهم الشيخ حسن الشرنبلالي (ت ١٠٦٩هـ/١٦٥٨م) والشيخ محمد بن محيي الدين النحريري^(٦) جميع ما يجوز

(١) - الصفوري: ثبت الشيخ عبد القادر الصفوري، ق ٧.

(٢) - المحيي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٠-١٤٣. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٥-٢٢٠.

(٣) - علي، عبدالله شعبان: اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م، ص ٢٣٩.

(٤) - الطرق الثمانية: وهي ثماني طرق تحمل في الحديث وأدائه، وهي مرتبة حسب الأفضلية: السماع من لفظ الشيخ، القراءة على الشيخ، الإجازة، المناولة، المكاتبة، الإعلام، الوصية، الوجادة. للتفصيل يمكن العودة إلى: حمادة، فاروق: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار نشر المعرفة، الرباط، ط ٢، ١٩٨٤م، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٥) - علي: اختلافات المحدثين والفقهاء، ص ٢٤٦.

(٦) - لم أعثر له على ترجمة.

لَهُمَا وَعَنْهُمَا، وَأَجَازَهُ الشَّيْخُ عَبْدِ اللَّهِ الطَّنْبُغَا^(١) بِجَمِيعِ مَرْوِيَّاتِهِ وَمُؤَلَّفَاتِهِ، وَرَجَعَ إِلَى صَفْدٍ وَدَرَسَ وَأَفْتَى وَنَابَ فِي الْقَضَاءِ حَتَّى وَفَاتَهُ^(٢).

وَمِنْهُمْ أَيْضاً مُحَمَّدُ بْنُ تَاجِ الدِّينِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْمَقْدِسِيِّ (ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م) الَّذِي رَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَحَصَّلَ الْعِلْمَ مِنْ جُمْلَةٍ مِنْ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ، فَقَرَأَ بِالرَّوَايَاتِ عَلَى الشَّيْخِ سُلْطَانَ الْمَزَاحِي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م) جَمِيعَ الْقَرَاءَاتِ السَّبْعِ وَالْعَشْرَ، وَأَخَذَ الْحَدِيثَ عَنْهُ وَأَجَازَهُ بِمَرْوِيَّاتِهِ، وَلَازَمَ الثُّورَ الشِّيرَامَلْسِيَّ (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٧م) وَقَرَأَ عَلَيْهِ بِالرَّوَايَاتِ مِنْ طَرِيقِ السَّبْعَةِ، وَأَجَازَهُ بِمَرْوِيَّاتِهِ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوْطِنِهِ وَأَفَادَ حَتَّى وَفَاتَهُ^(٣).

وَاشْتَهَرَ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ الشُّوَامِ الَّذِينَ انْتَقَلُوا إِلَى مِصْرَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ الشَّيْخَ عَلِيَّ فَتَحَ اللَّهِ الْبَيْرُوتِيَّ^(٤) الَّذِي انْتَقَلَ مِنْ مَوْطِنِهِ بِبَيْرُوتَ إِلَى الْقَاهِرَةِ وَلَازَمَ كِبَارَ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، مِثْلَ مُحَمَّدِ الْمَصِيلِحِيِّ الشَّافِعِيِّ^(٥) وَأَخَذَ عَنْهُ الْفَقْهَ وَأَجِيزَ بِمَرْوِيَّاتِهِ^(٦)، وَالشَّيْخَ أَحْمَدَ الْبَجِيرَمِيِّ (ت ١١٩٧هـ/١٧٨٣م)^(٧) الَّذِي أَخَذَ عَنْهُ عِلْمَ النُّحُوِّ وَأَجَازَهُ بِمَرْوِيَّاتِهِ^(٨)، كَمَا لَازَمَ

(١) - عبد الله بن بهاء الدين محمد بن جمال الدين عبد الله بن نور الدين الطنبغا التركي الشهير نسبه بالعجمي الشنشوري الفرضي الشافعي الخطيب بالجامع الأزهر. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٩٧.

(٢) - البوريني: تراجم الأعيان، ج ١، ص ١٢٤-١٣٢. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢٩٧.

(٣) - محمد بن تاج الدين بن محمد المقدسي الحنفي مفتي الرملة: وُلِدَ وَنَشَأَ فِي الرَّمْلَةِ، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى مِصْرَ، وَدَرَسَ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ، وَأَجَازَهُ جُلَّ شَيْوْخِهِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى بَلَدِهِ، وَتَوَلَّى الْإِفْتَاءَ فِيهَا، وَبَقِيَ فِي هَذَا الْمَنْصَبِ حَتَّى وَفَاتِهِ. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١١-٤١٢.

(٤) - علي فتح الله: وُلِدَ فِي بَيْرُوتَ، وَحَصَلَ عُلُومُهُ الْأَوَّلِيَّةَ فِيهَا، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْقَاهِرَةِ لِلتَّعَمُّقِ بِالْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى كِبَارِ مُشَايِخِهَا حَتَّى أَجِيزَ مِنْهُمْ. انْظُرْ إِلَى الْمُتَلَقِّ الْأَوَّلِ ص ١٧١. المصليحي، محمد: إجازة من محمد المصليحي الشافعي الأزهرى لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (٥ق)، رقم (١٥-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>)، ق ٢.

(٥) - محمد المصليحي الشافعي الأزهرى: وُلِدَ وَنَشَأَ فِي الْقَاهِرَةِ، وَحَصَلَ عُلُومُهُ مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ حَتَّى أَجِيزَ مِنْهُمْ، وَتَصَدَّرَ لِلتَّدْرِيسِ فِيهِ، وَأَفَادَ عَدَدًا لَا يَحْصَى مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٤، ص ٩٠.

(٦) - المصليحي: إجازة من محمد المصليحي، ق ٢.

(٧) - أحمد بن أحمد بن أحمد بن جمعة البجيرمي الشافعي: وُلِدَ وَنَشَأَ فِي الْقَاهِرَةِ، وَبَرَعَ فِي الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَعِلْمِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْأَزْهَرِ الشَّرِيفِ وَأَفَادَ فِيهَا طُلَّابَ الْعِلْمِ. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٧٨-٧٩.

(٨) - انْظُرْ إِلَى الْمُتَلَقِّ الْأَوَّلِ ص ١٧٢. البجيرمي، أحمد بن أحمد: إجازة من أحمد بن أحمد البجيرمي لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (١ق)، رقم (٩-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>)، ق ١.

علي فتح الله الشيخ أحمد السجاعي (ت ١١٩٧هـ/ ١٧٨٣م)^(١) وطلب منه الإجازة بما تلقاه عن مشايخه فأجازته بجميع مروياته^(٢). وممن أجاز بالمرويات من طلاب بلاد الشام في مصر أيضاً الشيخ مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م) الذي طلب الإجازة - على الرغم من مكانته الكبيرة وتعمقه بمختلف العلوم- أثناء زيارته لمصر من بعض كبار المشايخ مثل: الشيخ محمد بن أحمد البديري (ت ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م)^(٣)، والشيخ أحمد الإسقاطي (ت ١١٥٩هـ/ ١٧٤٦م)^(٤) اللذين أجازاه بجميع مروياتهم ومصنفاتهم^(٥).

وممن أجاز بالمرويات من طلاب مصر في بلاد الشام في القرن الثامن عشر الشيخ رضوان بن يوسف الصباغ الذي انتقل من مصر إلى صيدا، فأجازته الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/ ١٧٣١م)، وأجاز أيضاً الشيخ الرحالة مصطفى اللقيمي (ت ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) الذي كان يذهب أثناء إقامته في بيت المقدس إلى مجلس الشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) "كل يوم بين العصرين فيسمع منه فوائد تفر العين حتى أجازته بجميع مروياته"^(٦)، وأجاز أيضاً من الشيخ إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م) في الجامع الأموي في دمشق^(٧).

(١)- أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي الشافعي: ولد في قرية السجاعية إحدى قرى مصر، ثم انتقل إلى القاهرة وبرع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٧٥-٧٧.

(٢)- انظر إلى الملحق الأول ص ١٧٣. السجاعي، أحمد بن أحمد بن محمد: إجازة من أحمد بن أحمد السجاعي الشافعي الأزهرى لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (ق ٣)، رقم (١٢-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>)، ق ٢.

(٣)- محمد بن محمد بن أحمد البديري الحسيني، الدماطي الأشعري الشافعي، أبو حامد: فاضل، عارف بالحديث، يقال له: ابن الميت، والبرهان الشامي ولد في دمايط، وتلقى تعليمه فيها حتى نبغ وبرع، ثم ارتحل إلى دمشق وأفاد فيها، وتوفي في موطنه دمايط، وله مصنفات كثيرة. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٧٠.

(٤)- أحمد بن عمر الإسقاطي المصري الحنفي أبو السعود: نحوي، مقرئ، فقيه، مشارك في بعض العلوم، له مصنفات وشروحات كثيرة، من أشهرها: تنوير الحالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٤٩.

(٥)- انظر إلى الملحق الأول ص ١٧٤. البكري الصديقي، مصطفى: مجموع رحلات البكري، مخطوط محفوظ في الجامعة الإسلامية في السعودية (٢١١ ق)، رقم ٥٩٣١، ق ١٩٢.

(٦)- اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٧)- اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٦.

و- الإجازة بالمكاتبة:

وتسمى أيضاً "الإجازة بالمراسلة" وهي أن يكتب الشيخ المجيز لغائب أو حاضر بخطبه أو بكتبه له، وهي "إما مقترنة بالإجازة كأن يكتب: أجزت لك، أو مجردة منها، والصحيح جواز الرواية على التقديرين^(١)"، وقد استخدمت هذه الإجازة بكثرة بين علماء بلاد الشام وعلماء مصر في العصور الإسلامية، ومن بين طلاب بلاد الشام الذين حصلوا عليها في مرحلة البحث الشيخ بدر الدين القدسي^(٢) الذي أجازته علماء مصر بالمراسلة^(٣)، ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن علي بن محمد الكاملي (ت ١١٣٠هـ/١٧١٩م)^(٤) الذي ذكر في ثبته "ثبت الكاملي" أنه أجاز بالمكاتبة من كبار علماء الأزهر الشريف، ومن جملتهم الشيخ علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م) والشيخ سلطان المزاحي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، والشيخ علي الزيايدي^(٥) وغيرهم^(٦).

٣- مقارنة أسلوب الإجازة بين مصر وبلاد الشام:

نظراً لعدم وجود تبادل لأنواع الإجازات العلمية التي أُجيز فيها طلاب بلاد الشام في مصر للطلاب المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام، باستثناء الإجازة بالرواية أو بالمرويات، فإنه سيتم الاختصار على عرض نماذج من هذه الإجازة التي أعطيت لطلاب مصريين في بلاد الشام، ولطلاب بلاد الشام في مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، لتوضيح إذا

(١)- السيوطي: تدريب الراوي، ص ٤٨٠.

(٢)- بدر الدين بن محمد بن جماعة الكتاني القدسي: قرأ على علماء عصره الكبار الحديث والتفسير وسائر العلوم النقلية والعقلية حتى برع ونبغ بها. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢-٣.

(٣)- المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢.

(٤)- محمد بن علي بن محمد المعروف بالكاملي الشافعي: ولد ونشأ في دمشق، واشتغل بالعلوم الشرعية على كبار علماء عصره. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٦٧.

(٥)- علي بن يحيى الملقب نور الدين الزيايدي المصري الشافعي: تلقى علومه الأولية على علماء عصره الكبار في الأزهر الشريف، ثم تصدر للتدريس فيه. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٩٥.

(٦)- الكاملي، محمد بن علي: ثبت الشيخ شمس الدين محمد الكاملي، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود في السعودية، (١٣ ق)، رقم (٤٩٨٩)، ويوجد على هذا الرابط:

<https://www.alukah.net/library/0/100204>، ق ٣.

ما كانت نماذج هذه الإجازات تختلف في مصر في مرحلة البحث عما كانت عليه في بلاد الشام والعكس صحيح.

أ- إجازة علماء الشام لطلاب مصر:

وقد وقع الاختيار هنا على نموذجين من الإجازة بالمرويات، الأولى منها منحها الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م) للشيخ رضوان بن يوسف الصباغ في صيدا، والإجازة الثانية التي منحها الشيخ إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م) للشيخ مصطفى أسعد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) في دمشق.

(١) - النموذج الأول:

وهي الإجازة بالرواية التي أجاز بها رضوان بن يوسف الصباغ المصري في صيدا من الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م) أثناء رحلته إلى صيدا، وذلك في العام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، استهل النابلسي الإجازة بالبسملة والتحميد "بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل الإجازة سبب الاتصال، من الخلف بالسلف في طريق الأسانيد العوال، وأجرى بذلك ينابيع الفيض في قلوب القابلين من أرباب الأحوال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ القائل من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده، يعني: يوصله إلى مقامات الجلال والجمال، ورضوان الله تعالى عن جميع أصحابه الكرام الظاهرين بعد الطاهرين الآل، وألمع سراب وآل، ورجع عبد إلى سبيل مولاه وآل؛ وسلم تسليمًا^(١)".

ثم ينتقل النابلسي إلى موضوع الإجازة بعد عبارة "أما بعد"، ويورد فضائل العلم والتعليم مستشهداً بهذا القرآن الكريم، فيقول: "...فإن الطالب بالإجازة يدرك حقيقة العلم ومجازه والراوي بها، ولو تعلم الشعر والأدب محصل للبركة والبهاء في علمه الذي إليه انتدب، والعلوم كثيرة جداً متعددة الأنواع والأجناس، وكلها مطلوبة مرغوبة فيها شرعاً إذا لم تشتمل على ما نهى عنه ووقع الذم له بين الناس، ويكفي مدحة للعلم قوله تعالى في محكم الكتاب^(٢): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(٣)".

(١) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩٠.

(٢) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩٠.

(٣) - القرآن الكريم: سورة الزمر، الآية: ٩.

ويبين النابلسي أنه أجاب طلب رضوان بن الصباغ بعد أن استخار الله تعالى وأجازه فيقول: "فأجبناه إلى ما سأل وطلب من ذلك الأمر المرغوب، وأجزناه في جميع ما لنا روايته من العلوم على حسب اختلاف الأنواع والضروب"^(٢). ثم يوضح أن علومه التي أجاز بها رضوان بن الصباغ مكتوبة في بعض الأثبات فيقول: "فمن ذلك ما هو ثابت في ثبت الشيخ محمد بن سليمان المغربي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)"^(٣) الذي جمعه في بلادنا دمشق الشام، ورتبه على حروف المعجم أكمل ترتيب، وأحسن انتظام، وإن روى فيه عن بعض مشايخنا من السادة الأئمة الكرام، فإننا نرويه عنه بواسطة أئمتنا الفضل، جامع الكمالات والفضائل الشيخ إبراهيم بن عبد العزيز (ت ١١٠٨هـ/١٦٩٦م)"^(٤)، والشيخ العالم العامل والهمام الكامل أحمد بن محمد بن سويدان^(٥) فإنهما يرويان الثبت المذكور عن مصنفه العلامة الشيخ سليمان المذكور^(٦).

(١) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١.

(٢) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١.

(٣) - محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي: ولد ونشأ في تارودنت "قرية بسوس الأقصى"، وقرأ على كبار علماء عصره آنذاك حتى برع في العلوم الشرعية، ثم سافر وطاف في المغرب الأقصى والأوسط، ودخل مصر وبلاد الشام، وبلاد الروم، وكانت وفاته في دمشق. المحبى: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٤) - إبراهيم بن سليمان بن محمد بن عبد العزيز الحنفي الجبيني: الأديب الفاضل، ولد ونشأ في جنين الفلسطينية، وانتقل إلى الرملة للتحصيل العلمي، فأخذ العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية حتى كبر شأنه، ثم انتقل إلى دمشق واستوطنها، وبقي هناك حتى وافاه أجله. المرادي: **سلك الدرر**، ج ١، ص ٦-٨.

(٥)- أحمد بن محمد بن سويدان الدمشقي الحنفي: ولد ونشأ في الميدان في دمشق، وأخذ علومه عن الشيخ إسماعيل بن عبد الغني النابلسي (ت ١٠٦٢هـ / ١٦٥٢م) وعن الشيخ محمد بن تاج الدين المحاسني (ت ١٠٧٢هـ / ١٦٦٢م) خطيب دمشق، وغيرهم من مشايخ عصره حتى برع في العلوم الشرعية عامةً والفقه خاصةً، وكانت وفاته في دمشق. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٦٨.

(٦) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١.

ثابت في ثبت الشيخ والإمام والحبر الهمام شيخنا الشيخ عبد القادر الصفوري الشافعي (ت ١٠٨١هـ / ١٦٧٢م)، فإنه حدثني به أيضاً عنه الشيخ أحمد المذكور، ومن ذلك أيضاً ما أخبرنا به أخونا شقيقنا العلامة العمدة الفهامة الشيخ يوسف النابلسي الحنفي (ت ١١٠٥هـ / ١٦٩٣م)^(١) أن الشيخ الإمام والحبر والمحقق الهمام الشيخ علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م) أجازنا بجميع مروياته في سائر العلوم من منطوق ومفهوم^(٢).

وبيّن النابلسي أنه أجاز رضوان بجميع ما اشتملت عليه هذه الأثبات المذكورة، وبجميع ما له روايته أيضاً عن مشايخه الذين أخذ عنهم مشافهة بقراءة أو سماع أو إجازة، مما هو موجود في ثبته وفي كتبه ومصنفاته، من نثر ونظم، وأجازه النابلسي أيضاً بأن يروي عنه "جميع ما صنفه في أنواع العلوم من منشور ومنظوم"^(٣)، ثم يورد النابلسي أسماء مصنفاته ومؤلفاته كاملة، منها مصنفات فن الحقيقة الإلهية - الشريعة النبوية المحمدية - ومصنفاته في الحديث الشريف والعقائد والفقه والتجويد والتاريخ والأدب، وغيرها من الكتب والرسائل الأخرى، واختتم النابلسي الإجازة بتوصية رضوان بن الصباغ أن يتقي الله تعالى وأن لا ينسى النابلسي من دعائه الصالح^(٤).

(٢) - النموذج الثاني:

وهي الإجازة التي منحها الشيخ إسماعيل العجلوني (١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) للشيخ مصطفى بن أحمد اللقيمي الدميّطي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) بعد أن حضر اللقيمي دروس العجلوني تحت قبة النسر في الجامع الأموي بدمشق^(٥). ابتدأ العجلوني الإجازة بالبسملة والتحميد "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي رفع مقام أهل الحديث بمسانيد الرواية وكملهم بمعرفة دقائق الدراية، والصلاة والسلام على نبينا الموصول باتباعه السعادة في الدارين والتوفيق والهداية، وعلى آله الكرام وأصحابه النافلين إلينا صحيح أخباره الحسان التي يحصل بها لنا الرشاد وتزول بها عنا الغواية، ورضي الله تعالى عن السادة التابعين وعن

(١) - يوسف بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي الحنفي الشهير كأسلافه بالنابلسي: ولد ونشأ في دمشق، طلب العلم واشتغل به فقراً على جماعة، حتى برع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٤٦-٢٤٧.

(٢) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١.

(٣) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١-٩٢.

(٤) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩١-٩٤.

(٥) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٥٥.

الأئمة المجتهدين وأتباعهم من الفقهاء والمحدثين الذين لهم بشريعته مزيد الحفظ والعناية^(١)."

ثم ينتقل النابلسي إلى موضوع الإجازة بعد عبارة "أما بعد"، ويذكر أن اللقيمي حضر درسه في الحديث الشريف، فاختره العجلوني في العلم فوجده أهلاً له، فيقول: "فقد حضرني في درس صحيح الإمام البخاري الإمام النبيل الكامل جناب الشيخ مصطفى اللقيمي الهمام العالم العامل، وجاءني وباحثته وسيرته في العلم واختبرته فوجدته أهلاً جامعاً للكمالات منحنى الله تعالى وإياه التوفيق للطاعات^(٢)".

ثم يذكر العجلوني أن مصطفى اللقيمي طلب منه الإجازة في الحديث، فيستشهد بأقوال المشايخ الكبار الذين ذكروا أهمية الإجازة وفضلها، ثم يجيز اللقيمي بكل مروياته ومؤلفاته ومصنفاته، فيقول: نفاته، فيقول: _____

"وقد استجازني في الحديث وغيره على طريقة المحدثين لما أن الإجازة أحد طرق تحمل الحديث، وقد قال الإمام المحدث الكبير ابن عبد البر الجهيد الخبير الإجازة رأس مال كثير أو كبير، وقال الإمام عبد الله بن المبارك الإسناد من الدين ولولاه، وقال من شا ما شا فأقول متشبهاً بهم إن التشبيه بالكرام فلاح، أجزت للشيخ المسمى مصطفى أعني اللقيمي الصديق ذا الوفاء أجزته بكل ما رويته، عن سادة للمصطفى هم خلفاء، أجزته أيضاً بما ألفته، كالفيض والإرشاد مع كشف الخفاء، هذا وأني أروي الحديث وغيره من العلوم الشرعية والاتها العلوم الأدبية عن أئمة أجلاً وسادة فضلاً، بطريق القراءة للبعض وقد بيناهم في ثبنا المسمى بحلية أهل الفضل والكمال باتصال الأسانيد بكمل الرجال، فعليك به لتظفر بالتفصيل، وفقنا الله وإياك لسلوك أحسن السبيل، فأجزت للشيخ مصطفى المذكور أن يروي عني جميع ما أرويه عنهم^(٣)".

ثم أجاز العجلوني اللقيمي بكل مؤلفاته ومصنفاته فشملت كل مؤلفاته التي أكملها والتي لم يكملها بعد، وذكر أسماء هذه المؤلفات، إذ قال: "وأجزته بجميع مالي من المؤلفات التي كملت والتي لم تكمل نسأل الله تعالى إكمالها، فمما حسن الله تعالى بإكمالها كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس، ومنها الفوائد الدراري في ترجمة الإمام البخاري، ومنها تحفة أهل الإيمان فيما يتعلق

(١) - العجلوني، إسماعيل: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، مخطوط محفوظ في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق (٣ق)، رقم ٢٩، ق ١.

(٢) - العجلوني: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، ق ١.

(٣) - العجلوني: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، ق ٢.

برجب وشعبان ورمضان. ومما لم يكمل إرشاد المسترشدين لفهم الفتح المبين على شرح الأربعين النووية لابن حجر المكي، ومنها وهو أجّلها شرح صحيح الإمام البخاري المسمى بالفيض الجاري والمنهل الجاري شرح صحيح البخاري، نسأل الله تعالى إتمامه والانتفاع به^(١). كما أجاز به أن يجيز كل من هو مؤهل لهذه الإجازة وذلك "حفظاً لبقاء سلسلة الإسناد"، وأجاز أيضاً "ببقية الكتب الستة وكتب سائر الحديث وغيره عن الأشياخ المذكورين وغيرهم كما بينا ذلك مستوفى في ثبوتنا^(٢)".

ب- إجازة علماء مصر لطلاب بلاد الشام:

وقد أختير هنا نموذجان من الإجازة بالمرويات؛ الإجازة الأولى التي منحها الشيخ محمد المصليحي الشافعي للشيخ علي فتح الله البيروتي في القاهرة، والإجازة الثانية التي منحها الشيخ محمد بن أحمد البديري (ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م) للشيخ مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) في دمياط.

١- النموذج الأول:

وهي إجازة بالرواية منحها الشيخ محمد المصليحي الشافعي للشيخ علي فتح الله البيروتي في مصر، ووفقاً لما ذكر في الإجازة المخطوطة تبين أنها مُنحت خلال القرن الثامن عشر لكن دون تحديد سنة معينة لها، استهل المصليحي الإجازة بالبسملة والتحميد إذ ذكر:

"بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي بتوفيقه نجتني ثمرات العلوم، وبِعظم أفضاله يتوصل إلى تمييز المجهول والمعلوم، ومجامل منته بالأحكام الشرعية يتوصل إلى السعادة الأبدية، الموعود من حصلت له بالدرجات العلية، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة من القلب، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أجاز به بتبليغ ما أنزل إليه وأمره بالإنذار والتيسير ومقاتلة من أنكر عليه صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين^(٣)".

ثم ينتقل الشيخ المصليحي إلى موضوع الإجازة بعد عبارة "أما بعد"، إلى علي فتح الله طلب منه أن الإجازة بمروياته، فيقول: "أنه طلب مني العلامة الفاضل الكامل الفهامة الشيخ علي فتح الله البيروتي أن نجيزه بما أخذناه عن الأئمة الأعلام والجهابذة الفخام، فإنه

(١) - العجلوني: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، ق ٢.

(٢) - العجلوني: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، ق ٣.

(٣) - المصليحي: إجازة من محمد المصليحي، ق ٢.

حضر عندنا المدة المديدة في الكتب العديدة، فأجزت الفاضل المذكور ضاعف الله لي وله الثواب والأجور^(١).

ويبين المصليحي أنه أجاز علي فتح الله البيروتي بعد أن استخار الله في كل ما أخذه عن مشايخه الجهابذة الكبار، فيقول: "وقد أخذنا الفقه عن أئمة الدين من أجلهم الشيخ محمد الدفري^(٢)، والمحقق الملوي (ت ١١٨١هـ/١٧٦٧م)^(٣)، والعلامة الدفري أخذ الفقه عن مشايخ عديدة أيضاً من أجلهم شيخ الإسلام علامة الأنام سيدي أحمد بن الفقيه^(٤)، وخاتمة المحققين الشيخ منصور المنوفي، وسيدي عبدالله بن سالم البصري (ت ١٠٥٠هـ/١١٣٤م)^(٥)، والعلامة الشيخ محمد الاطفيحي (ت ١١١٥هـ/١٧٠٣م)^(٦)، وغيرهم الكثير^(٧)، واختتم المصليحي الإجازة بالصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى أصحابه أجمعين^(٨).

(٢) - النموذج الثاني:

وهي الإجازة التي منحها الشيخ محمد بن أحمد البديري (ت ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م) للشيخ مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م) في دمياط، ابتداءً بالإجازة بالبسملة والتحميد "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي من خيار الأخيار، صفوة خلاصة سلالة الأمجاد الأبرار، فرغبه في سلوك منهاج العارفين الأحرار وتحصيل أسانيد المصابيح الأنوار^(٩)".

(١) - المصليحي: إجازة من محمد المصليحي، ق ٢.

(٢) - لم أعثر له على ترجمة.

(٣) - أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف المجبري الشافعي القاهري الشهير بالملوي: ولد ونشأ في القاهرة، ودخل الأزهر وطلب العلم وأخذ عن جملة من الشيوخ، وله مؤلفات كثيرة في العلوم الشرعية، وعلوم اللغة العربية. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١١٦.

(٤) - لم أعثر له على ترجمة.

(٥) - عبد الله بن سالم بن عيسى البصري: إمام المحدثين، وعمدة المحققين، مولده ووفاته في مكة المكرمة. البغدادي: هدية العارفين، ج ١، ص ٤٨٠.

(٦) - محمد بن منصور الأطفيحي الوفاي الشافعي: ولد في القاهرة وحصل علومه الأولية فيها، فأخذ عن جملة من علماء الأزهر ومن أجلهم الشيخ سلطان المزاخي (ت ١٠٧٥هـ/١٦٦٤م)، والشيخ علي الشبراملسي (ت ١٠٨٧هـ/١٦٧٦م)، وكانت وفاته في القاهرة. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ١٢١.

(٧) - المصليحي: إجازة من محمد المصليحي، ق ٤.

(٨) - المصليحي: إجازة من محمد المصليحي، ق ٤.

(٩) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٧.

ثم يذكر الشيخ البديري أنّ البكري الصديقي طلب منه أن يجيزه بمروياته، فاستخار
البديري الله تعالى وأجـازـه، فيقـول: "وأجزته بجميع ما تضمنه الجوهر العوالي في الأسانيد العوالي، جعله الله تعالى من العلماء
العاملين، ونفع به في الدين في اليوم وفي يوم الدين، وبجميع ما يحل لي وعني رواية
ودراية وبما ينسب إلي من التصنيفات إجازة عامة بمروياته في جميع الأماكن والأوقات^(١)".
ثم طلب البديري من الصديقي أن يتقي الله وأن لا ينساه من دعائه الصالح، فقال: "وأسأله
أن لا ينساني من دعوات صالحات، وأوصيه بالتقوى والمراقبة في جميع الساعات، فإن ذلك
منه مأمول، والله تعالى يتفضل بالقبول^(٢)".

ومن خلال مقارنة نماذج الإجازات التي مُنحت في بلاد الشام مع الإجازات التي
مُنحت في مصر يمكن القول أن أسلوب الإجازة لم يختلف في مصر عمّا كان عليه في بلاد
الشام خلال مرحلة البحث، ذلك أن المباحثة والسبر والاختبار والأهلية في العلم قوام بناء
الإجازات ومنحها، فتبدأ الإجازات في مصر وبلاد الشام "بالبسمة والتحميد"، ثم ذكر المُجيز
أهمية التعليم وفضل علو الإسناد، وبعد ذلك ينتقل إلى نص الإجازة التي تبنى على طلب من
المُستجيز، فيقوم المُجيز باستخارة الله سبحانه وتعالى، ثم يجيز المستجيز بكافة مروياته
ومؤلفاته ومصنفاته، ويكتب بذلك جميع أسانيده التي حصلها في مختلف العلوم، ويختتم الإجازة
بوعظ المتعلم من قبل مجيزه أو شيخه والدعاء له وحثه على طلب العلم، ويتضح من مجموع
تلك الوصايا التي يقدمها العلماء لطلبتهم تقديرهم واحترامهم لهم حتى يصل الأمر إلى طلب
العالم من تلميذه الدعاء له في دروسه وذكره عند كل درس. وتعد هذه الإجازات - الإجازة
بالمرويات - نوعاً من المجاملات العلمية لكون المجيز يجيز طالب العلم بكل ما أخذه ومالم
يأخذه عنه، وقد انتشرت هذه الإجازات في العصر الإسلامي، وخاصةً في القرنين السابع
عشر والثامن عشر.

(١) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٧.

(٢) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٧-١٩٨.

ثالثاً: استنتاجات الفصل الثالث:

يتضح من خلال العلوم التي درسها طلاب بلاد الشام في مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أن اهتمامهم تركز بالدرجة الأولى على دراسة الشروحات والحواشي التي وضعت على أمهات الكتب في العلوم التي درسوها في الأزهر الشريف، باستثناء علمي القراءات القرآنية والحديث النبوي الشريف، فقد درسوا أمهات الكتب التي تخصصت في هذين المجالين، والتي لم تتوفّر لهم دراستها في موطنهم سعيّاً منهم في زيادة مشيختهم وتنوعها بين مشايخ شوام ومصريين.

وبالنسبة لدراسة التفسير والفقه الإسلامي واللغة العربية في مصر من قبل طلاب بلاد الشام، فقد اعتمدوا على دراسة أمهات الكتب التي تخصصت في هذين المجالين في موطنهم^(١) ثم انتقلوا إلى مصر للاستزادة على يد كبار علماء الأزهر الشريف، وأخذوا عنهم شروحات وحواشي وتعليقات على المصنفات التي درسوها في موطنهم.

أما بالنسبة للعلوم العقلية فلم تُذكر المؤلفات التي درسها طلاب بلاد الشام في مصر، لكن يبدو أنهم أخذوا أمهات الكتب هناك لكون مصر برعت بشكل كبير في هذا المجال، ثم أخذوا المؤلفات والمصنفات التي دونها كبار عصرهم آنذاك، لكون كل عالم في الأزهر الشريف تخصص بتدريس أمهات الكتب في مجاله، إلى جانب تدريسه لما دونه من المؤلفات والشروحات لتبسيط الكتب الأصلية.

(١) - تعددت أمهات الكتب التي درست في المراكز العلمية في بلاد الشام منها في التفسير: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" لمؤلفه عبدالله بن عمر البضاوي (ت ١٢٨٥هـ/١٢٨٦م) المعروف بتفسير البضاوي، وكتاب "الكشاف عن حقائق التنزيل" للإمام محمود بن عمر الزمخشري الشهير بتفسير الزمخشري، و"معالم التنزيل في التفسير" لمؤلفه أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ/١١٢٢م) المشتهر بتفسير البغوي، و"إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم" لأبي السعود محمد بن محمد بن المصطفى العمادي (ت ٩٨٢هـ/١٥٧٤م) المشتهر بتفسير المولى، وغيرها. ودرسوا في الفقه الإسلامي: "منهاج الطالبين" لمؤلفه الإمام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، و"الإرشاد في فروع الشافعية" لمؤلفه إسماعيل بن أبي بكر المقري اليميني (ت ٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، و"متن الغاية والتقريب في الفقه الشافعي" للأصفهاني (ت ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، و"الهداية" لمؤلفه برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني (ت ٥٩٣هـ/١١٩٧م)، و"غرر الأحكام في فروع الحنفية" تأليف منلا خسرو (ت ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، و"المدونة في فروع المالكية" لمؤلفه أبي عبدالله عبد الرحمن أبي القاسم المالكي (ت ١٨١هـ/٧٩٧م)، وكتاب "الرسالة" لمؤلفه أبي محمد عبدالله بن أبي عبدالله بن أبي زيد المالكي القيرواني، وغيرها. وفي اللغة العربية درسوا "مقدمة الأجرومية" لمؤلفها محمد بن محمد بن داود الصهاجي المعروف بابن آجروم (ت ٧٢٣هـ/١٣٢٣م). حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ١، ص ٦٥، ٦٩، ٨٤ ج ٢، ص ١٨٦، ص ١٤٧٥، ١١٩٩، ١٧٢٦، ١٨٧٣-١٨٧٦.

ومما سبق يمكن القول إن ظاهرة الشروح والحواشي التي درست آنذاك لم تكن وليدة القرنين السابع عشر والثامن عشر، وإنما بدأت منذ العصر المملوكي، واستمرت خلال العصر العثماني، وذلك لإيضاح ما صعب في المتن، ولتبسيط مسائله لطالب العلم. وهكذا فقد جمع طالب العلم الذي انتقل من بلاد الشام إلى مصر المعرفة التامة بأمهات الكتب، وبما ألف فيها من شروح وحواشي وتعليقات.

أما بالنسبة للإجازات العلمية التي حصل عليها طلاب بلاد الشام في مصر فقد تنوعت ما بين الإجازة بالإفتاء والتدريس، والإجازة بالقرآن الكريم، والإجازة بالقراءة، والإجازة بالرواية أو المرويات، والإجازة بالمكاتبة، ووضحت مدى سعي طلاب العلم للحصول على الإجازات العلمية التي تخولهم لتولي المناصب الدينية والعلمية والإدارية في الولاية التي استقروا فيها، أو في موطنهم بعد عودتهم إليه، وأعطت هذه الإجازات صورة واضحة عن طبيعة العلوم المدرسة في مصر والتي لاقى اهتمام طلاب بلاد الشام، إلى جانب توضيحها لأشهر المؤلفات التي درسوها وأجيزوا بها في مختلف الاختصاصات.

وبالنسبة لطلاب مصر الذين انتقلوا إلى بلاد الشام فلم يختلف وضعهم عما كان عليه الحال بالنسبة لطلاب بلاد الشام في مصر، فقد سعوا لطلب العلوم على مختلف أصنافها وخاصة العلوم الشرعية وأجيزوا فيها، لكن الإجازات التي حصلوا عليها اقتصرت على الإجازة بالرواية دون غيرها من الإجازات العلمية.

الفصل الرابع

حركة العلماء المسلمين والرحالة المتصوفة والقسيسين والحاخامات بين مصر
وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر

أولاً: حركة العلماء المسلمين بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن
عشر:

- ١- علماء مصر في بلاد الشام:
 - أ- الارتحال لتولي المناصب.
 - ب- أماكن إقامة العلماء المصريين.
 - ج- مصادر دخل العلماء المصريين وإنفاقهم.

- ٢- علماء بلاد الشام في مصر:
 - أ- الارتحال لتولي المناصب.
 - ب- أماكن إقامة العلماء الشوام.
 - ج- مصادر دخل العلماء الشوام وإنفاقهم.

ثانياً: نماذج من حركة الرحالة المتصوفة العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين
السابع عشر والثامن عشر:

- ١- الرحالة عبد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ/١٦٤١-١٧٣١م):

- أ- مولده ونشأته.
- ب- رحلة النابلسي إلى مصر.
- ج- نشاط النابلسي العلمي في مصر.

٢- الرحالة مصطفى البكري الصديقي (١٠٩٩-١١٦٢هـ/١٦٨٨-١٧٤٨م):

أ- مولده ونشأته.

ب- رحلة الصديقي إلى مصر.

ج- نشاط الصديقي العلمي في مصر.

٣- الرحالة مصطفى أسعد اللقيمي (١١٠٥-١١٧٨هـ/١٦٩٣-١٧٦٤م):

أ- مولده ونشأته.

ب- رحلة اللقيمي إلى بلاد الشام.

ج- نشاط اللقيمي العلمي في بلاد الشام.

ثالثاً: حركة القسيسين العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن

عشر:

١- حركة انتقال القسيسين العلمية من بلاد الشام إلى مصر.

٢- حركة انتقال القسيسين العلمية من مصر إلى بلاد الشام.

رابعاً: حركة الحاخامات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن

عشر:

١- حركة انتقال الحاخامات العلمية من مصر إلى بلاد الشام.

٢- حركة انتقال الحاخامات العلمية من بلاد الشام إلى مصر.

خامساً: استنتاجات الفصل الرابع.

أولاً: حركة العلماء بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

سعت السلطنة العثمانية منذ امتداد حكمها إلى الولايات العربية إلى تعيين موظفين تابعين لها في هذه الولايات؛ "بغية الفصل في الخلافات بين الناس وتحقيق العدالة"^(١)، وقد كان اختيارهم يتم بعد إتمام تحصيلهم العلمي في إحدى المعاهد العلمية الكبرى في موطنهم أو في ولاية أخرى مجاورة، أو بعد إكمال دراستهم في "المدارس الثمانية" في العاصمة استانبول، غير أن العديد من هؤلاء العلماء كانوا لا يعينون في ولاياتهم، بل يُسَلَّموا وظائفهم أيًا كان نوعها في ولايات أخرى، على اعتبار أن كل الولايات تابعة للسلطنة العثمانية، وقد كتب الكثير ممّن عُيِّنوا في ولايات أخرى ملاحظاتهم ويوميّاتهم أثناء السفر على شكل رحلات، وكان لها قيمة كبيرة، وذلك لأنها تعكس الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية.

١- علماء مصر في بلاد الشام:

من خلال تتبع كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة التي أرّخت للقرنين السابع عشر والثامن عشر، التي ذكرت تراجم العلماء المصريين الذين ارتحلوا إلى بلاد الشام، يتبين نسبتهم وأماكن إقامتهم والوظائف العلمية والدينية التي عينوا فيها، ومن هذه الكتب كتاب محمد أمين بن فضل الله (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م): "خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، وكتابه: "نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة"، ومخطوطته: "فيض المنان في تراجم أعيان الزمان"، وكتاب الحسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م): "تراجم الأعيان من أبناء الزمان"، وكتاب مصطفى بن فتح الله الحموي (ت ١١٢٣هـ / ١٧١١م): "قوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر"، ومخطوطة مصطفى بن محمد طلس (ت ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م): "الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر"، وكتاب محمد خليل المرادي (ت ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م): "سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر"، وكتاب حسن بن عبد اللطيف الحسيني (ت ١٢٢٤هـ / ١٨١٠م): "تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري"، وكتاب عبد الرحمن بن حسن الجبرتي (ت ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م): "عجائب الآثار في التراجم والأخبار".

(١) - مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ٢٩٤.

❖ الجدول رقم (١): العلماء المصريين في بلاد الشام خلال القرن السابع عشر

الاسم	وجهة السفر من مصر إلى	أنواع العلوم التي أفاد بها علماء مصر في بلاد الشام في القرن السابع عشر
أبو السعود بن عبد الرحيم (ت ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م)	دمشق	اللغة العربية وآدابها
أبو السماع البصير المصري (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)	دمشق - طرابلس الشام	اللغة العربية وآدابها
أحمد بن محمد الخفاجي (ت ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م)	دمشق	اللغة العربية وآدابها
بعث الله المصري (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م)	دمشق	الموسيقى
شعبان بن الدمرداشي المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	التصوف
عبد البر بن عبد القادر الفيومي (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦١م)	دمشق - حلب	اللغة العربية وآدابها
عبد الجواد المصري (ت ١٠١٧هـ / ١٦٠٩م)	البقاع - دمشق	التصوف
عبد الله بن محمد المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها
عبد القادر المصري (ت ١٠٢٠هـ / ١٦١٢م)	دمشق	اللغة العربية وآدابها
محمد بن إبراهيم بن الصائغ (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)	بيت المقدس - دمشق	اللغة العربية وآدابها
محمد بن أحمد المنوفي المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	العلوم الشرعية
محمد بن عمر الفارسكوري (ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م)	دمشق - حلب	اللغة العربية وآدابها
منصور الشهير بالفرضي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م)	دمشق	العلوم الشرعية
منصور بن علي السطوحي (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)	بيت المقدس - دمشق	العلوم الشرعية والتصوف
يوسف الوفائي (ت ١٠٥١ / ١٦٤٢م)	بيت المقدس	اللغة العربية وآدابها والتصوف

❖ الجدول رقم (٢): العلماء المصريين في بلاد الشام خلال القرن الثامن عشر

الاسم	وجهة السفر من مصر إلى	أنواع العلوم التي أفاد بها علماء مصر في بلاد الشام في القرن الثامن عشر
أحمد الأحمدى (ت ١١٩٢هـ / ١٧٧٩م)	دمشق	التصوف
حسن المصري (ت ١١٥١هـ / ١٧٣٩م)	دمشق - حمص	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها
عامر المصري (ت ١١١٦هـ / ١٧١٣م)	حلب	العلوم الشرعية
عبد الباسط المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	العلوم الشرعية
عبد القادر الأزهرى (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	العلوم الشرعية
عبد الهادي المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	طرابلس الشام	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها
علي الإسكندري (ت ١١٦٩هـ / ١٧٥٧م)	دمشق	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها
علي المصري (ت ١١٦٣هـ / ١٧٥١م)	طرابلس الشام	العلوم الشرعية
عمر بن محمد البصير (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	حلب	العلوم الشرعية
محيي الدين المصري (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق	العلوم الشرعية

من خلال الجدولين رقم (١) و (٢) يمكن استخراج نسبة العلماء المصريين الذين انتقلوا في القرن السابع عشر إلى بلاد الشام التي بلغت حوالي ١٨.٨١ % (بالنسبة لكل الطلاب والعلماء المصريين) ووصلت إلى ٩٣.٧٥ % (بالنسبة لكل المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام). أما نسبة العلماء المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام في القرن الثامن عشر فقد بلغت حوالي ٤٦.٤٢ % (بالنسبة لكل الطلاب والعلماء المصريين) وهي نسبة مرتفعة مقارنةً مع نسبتهم في القرن السابع عشر، ووصلت إلى ٧٦.٩٢ % (بالنسبة لكل المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام).

أما بالنسبة للعلوم التي أفاد بها علماء مصر في بلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد كانت نسبة العلوم الشرعية الأكبر مقارنةً مع العلوم الأخرى إذ بلغت حوالي ٦٠.١% في القرن السابع عشر، بينما ازدادت ازدياداً كبيراً في القرن الثامن عشر ٩٠.٥%، ولم يُظهر العلماء المصريين في بلاد الشام الاهتمام بالعلوم الشرعية فحسب، إنّما اتّجهوا خلال هذه المرحلة أيضاً إلى دراسة علوم اللغة العربية، لأنّ هذه العلوم هي الأدوات الأساسية التي تُساعد على فهم العلوم الشرعية وبلغت نسبة العلماء الذين أفادوا طلاب بلاد الشام في اللغة العربية ٣٣.٣٣% في القرن السابع عشر، بينما وصلت نسبتهم في القرن الثامن عشر إلى ٣٠.٣%، أما بالنسبة للمتصوفة المصريين الذين جمعوا مريدين أكثر من بلاد الشام نتيجة لاستقرارهم الدائم هناك فقد وصلت نسبتهم في القرن السابع عشر إلى ٢٦.٦٦% بينما اقتضرت في القرن الثامن عشر على ١٠.١% فقط، وبالنسبة لعلم النغمة (الموسيقى) فقد وجدت في القرن السابع عشر فقط وبلغت نسبتها حوالي ٦.٦٦% والجدير بالذكر أن هذا العلم حظي خلال مرحلة البحث ببعض الاهتمام، وكانت الموسيقى تُستخدم في إقامة الشّعائر الدّينية، فالمقرئون والمؤدّنون والقائمون بالذّكر من المتصوّفة كانوا يعتمدون على الإيقاع في الأذان والتّواشيح النّبوية. كما استُخدمت الموسيقى كوسيلةٍ للتّرفيه عن الشّعب ولو بشكلٍ قليل.

أ- الارتحال لتولي المناصب:

سعى العديد من علماء مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى الانتقال إلى بلاد الشام للاستقرار مؤقتاً أو دائماً، وتولي المناصب العلمية والدينية والإدارية فيها، وكان العلماء يتوجهون حين يصلون دمشق إلى الجامع الأموي لما له من أهمية، بهدف التدريس فيه، فقد كانت العادة في الأموي

"إذا ما جاء عالم غريب لا يقبل علماؤها عليه إلا بعد استماعهم لدرسه في هذا الجامع، فيعرفون من خلال ذلك قدره حق المعرفة، وي طرحون عليه الأسئلة المختلفة لمعرفة مدى علمه، ولم تكن سمعته ولا مناصبه لتعفيه من هذا الامتحان، فإن نجح فيه، احترموه وأقبلوا عليه وأكرموا، وإلا أعرضوا عنه، فلا يسعه عندئذ إلا الرجوع^(١)، ومن اجتاز هذا الامتحان عندما انتقل إلى دمشق وتولى التدريس في الأموي عبد الله بن محمد

(١) - العلي، أكرم حسن: دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥٢٠م، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٨٢م، ص ١٧٠-١٧١.

المصري^(١)، وبعث الله المصري (ت ١٠١٦هـ / ١٦٠٨م)^(٢) الذي انتقل إلى الأموي، وأصبح مسؤولاً عن الأذان والموالد فيه، إلى جانب تعليمه طلاب العلم الشوام التجويد وعلم النغمة (علم الموسيقى)^(٣)، ومنهم أيضاً محمد بن أحمد المنوفي^(٤) الذي "عقد حلقة تدريس في الأموي فور قدومه إلى دمشق وأقرأ صحيح مسلم، فاجتمع لحضوره خلق كثير"^(٥).

وقد جرى تعيين العلماء المصريين في مدارس بلاد الشام ومساجدها عن طريق قاضي القضاة الرومي الحنفي المُرسل من السلطنة العثمانية إلى إحدى مدن بلاد الشام، حيث يقترح مبدئياً أسماء المدرسين من العلماء ممن يرغب في تسليمهم الوظائف التدريسية الشاغرة ريثما تأتي البراءة السلطانية^(٦) التي تثبت هذا المدرس في الوظيفة أو تعيين آخر بدلاً عنه^(٧). ومن بين علماء مصر الذين عينوا مدرسين في أشهر مدارس بلاد الشام أو مساجدها منصور الشهير بالفرضي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م)^(٨) الذي تولّى التدريس في المدرسة العمرية^(٩) ودرس فيها علمي الفرائض

(١)- عبد الله بن محمد المصري الحنفي: وُلد في القاهرة، وحصل علومه فيها واشتهر بمعرفته لعلوم اللغة العربية وآدابها والفقه وأصوله، ثم انتقل إلى دمشق للاستقرار فيها، وبقي هناك حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٦٥-٦٦.

(٢)- بعث الله المصري الحنفي: وُلد في القاهرة، وحصل علومه الأولية فيها، ويذكر أنه كان كفيف البصر، "وحفظ القرآن الكريم بعد مجيئه إلى دمشق، وكان أعرف أهل زمانه بالموسيقى وأحسنهم صوتاً". المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٤٥٣.

(٣)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٤٥٣.

(٤)- محمد بن أحمد المنوفي المصري الشافعي: ولد ونشأ في بلده منوف، وانتقل إلى القاهرة للتحصيل العلمي وبرع في الأدب، ثم رحل إلى دمشق للتدريس فيها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٥٩-٣٦١.

(٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٥٩-٣٦١.

(٦)- البراءة السلطانية: اصطلاح أُطلق في العصر العثماني على عدة أمور مختلف بعضها عن بعضها الآخر باختلاف طبيعتها، وتعني هنا أمراً حكومياً (قراراً أو مرسوماً) يعهد فيه بتولية أحد الرعايا في وظيفة شاغرة. بوين، هارولد، جب، هاملتون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد إبيش، جزآن، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط ١، ٢٠١١م، ج ١، ص ٧٢-٧٣، ١٧٣-١٧٥.

(٧)- مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج ١، ص ٢٩٢-٢٩٦.

(٨)- منصور الفرضي الصالحي الشهير بالفرضي الشافعي: أخذ عن علماء مصر في عصره وبرع في الفقه وأصوله، ثم انتقل إلى صالحية دمشق ودرس فيها ونفع الطلاب. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٩)- المدرسة العمرية: أنشأ هذه المدرسة الشيخ أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة (٥٢٧-٦٠٧هـ / ١١٣٣-١٢١٠م) وتقع في حي الصالحية في دمشق في حارة العمرية. ابن طولون: القلائد الجوهريّة، ص ٢٤٥-٢٤٦.

والحساب، فقصدته عدد لا يحصى من طلاب العلم^(١) من أجلهم الشيخ عبد القادر التغلبي (ت ١٠٥٢هـ/١١٣٥م) الذي لازمه لطلب العلوم العقلية^(٢)، ومنهم عبد الهادي المصري^(٣) الذي انتقل إلى حلب "فتولى التدريس في المدرسة الأحمدية"^(٤)، وأفاد عدداً كبيراً من طلاب حلب وخاصة في اللغة العربية والعقائد^(٥)، ومنهم عبد الجواد المصري (ت ١٠١٧هـ/١٦٠٩م)^(٦) الذي تولى "تعليم الأطفال في بعض جوامع البقاع"^(٧)، ومنهم الشيخ عبد القادر الأزهرى الذي ولي "التدريس في المدرسة العزيزية"^(٨) بدمشق وأفاد فيها طلاب العلم في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية^(٩)، والشيخ عبد الباسط المصري الذي "عُيِّن بالمدرسة الخاتونية"^(١٠) وأفاد الطلاب في العلوم

(١) - التغلبي، عبد القادر: ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي، تخريج تلميذه محمد بن عبد الرحمن الغزي، اعتنى به محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الكويت، د.ط، د.ت، ص ٤٢. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) - عبد القادر بن عمر بن عبد القادر التغلبي الحنبلي، ولد ونشأ في دمشق، لازم كبار علماء عصره حتى برع في العلوم الشرعية إلى جانب معرفته العلوم العقلية، وعين إثر ذلك في منصب مفتي الحنابلة في دمشق. التغلبي: ثبت مفتي الحنابلة، ص ٩-١٠.

(٣) - عبد الهادي المصري: وُلد ونشأ في القاهرة، ولزم منذ صغره كبار علماء الأزهر، وبرع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية، فتوجه إلى حلب، وبقي يفيد طلابها حتى وفاته. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٤٢.

(٤) - المدرسة الأحمدية: وتسمى أيضاً: مدرسة الجلبى، وتقع إلى الشرق من جامع البهرمية يفصله عنها شارع يؤدي إلى المدينة، وقد بنى المدرسة مع وقفها أحمد أفندي بن طه أفندي في العام ١١٧٦هـ/١٧٦٣م. الغزي، كامل بن حسين بن محمد: نهر الذهب في تاريخ حلب، تقديم شوقي شعث ومحمود فاخوري، جزأين، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٩٩٩م، ج ٢، ص ٥٢-٥٣.

(٥) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٤٣.

(٦) - عبد الجواد المصري الشافعي المجذوب نزيل دمشق: ولد ونشأ في القاهرة، ثم انتقل إلى دمشق ونفع طلابها. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٧) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٨) - المدرسة العزيزية: تقع في حي الكلاسة إلى يسار الخارج من الباب الشمالي للجامع الأموي، عند ضريح السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت ٥٨٩هـ/١١٩٣م). كرد علي، محمد: خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة المفيد، دمشق، ط ١، ١٩٢٨م، ج ٦، ص ٨٦-٨٧.

(٩) - انظر إلى الملحق الثاني ص ١٧٥. وثيقة رقم ١٩١، سجل دمشق، رقم ٧١، ص ٣٩، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٧هـ/١٧٣٧م.

(١٠) - المدرسة الخاتونية: تقع في محلة حجر الذهب إلى الشمال القريب من البيمارستان النوري، وقد أنشأتها الخاتون عصمة الدين زوجة السلطان نور الدين الزنكي (ت ١١٨٥/٥٨م) في العام ٥٧٠هـ/١١٧٥م. النعيمي: المدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٣٨٨.

الشرعية^(١)، ومنهم أيضاً حسن المصري (ت ١١٥١هـ / ١٧٣٩م)^(٢) الذي "دَرَسَ النحو والقراءات القرآنية في بعض جوامع دمشق ومساجدها"^(٣).

ومن علماء مصر في بلاد الشام من سعى للحصول على وظيفتين أو ثلاثة أو أكثر في الوقت نفسه، وذلك رغبة في زيادة رواتبهم وتحسين مستوى معيشتهم، مثل الشيخ عبد القادر المصري (ت ١٠٢٠هـ / ١٦١٢م)^(٤) الذي جمع بين التدريس والخطابة معاً عن طريق توليه "إمامة الصابونية بمحلة باب النصر وخطابة جامع الحشر تحت قلعة دمشق"^(٥)، ومن العلماء أيضاً من جمع بين الإفتاء والتدريس، مثل الشيخ عبد البر بن عبد القادر بن محمد الفيومي (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦١م)^(٦) الذي انتقل إلى القدس، فتولى "إفتاء الشافعية في المسجد الأقصى مع التدريس في المدرسة الصلاحية"^(٧)، وأفاد عدداً كبيراً من طلاب العلم^(٨).

كما جرى تعيين بعض علماء مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر في منصب القضاء في إحدى المحاكم الشرعية في بلاد الشام، وقد كان يتم اختيارهم بناءً على طلب السلطنة،

(١)- انظر إلى الملحق الثاني ص ١٧٥. وثيقة رقم ١٩٤، سجل دمشق، رقم ٦١، ص ٩٧، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.

(٢)- حسن المصري الفيومي نزيل دمشق: كان من أشهر علماء عصره في النحو وعلم القراءات. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٣٦-٣٧.

(٣)- المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٣٦-٣٧.

(٤)- عبد القادر المصري الكاتب: وُلِدَ ونشأ في القاهرة، ولازم كبار علماء الأزهر، وأخذ عنهم حتى أجيز منهم، وبرع في كثير من العلوم وخاصة الشرعية منها، فانتقل إلى دمشق وولي فيها مناصب عدة، وبقي يفيد طلابها حتى وفاته. البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٦٨. الغزي: لطف السمر، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٥)- البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٦٨. الغزي: لطف السمر، ج ٢، ص ٥٣٠.

(٦)- عبد البر بن عبد القادر: الشاعر، الأديب، الذي انتقل من مصر بعد إتمام تحصيله العلمي في الأزهر الشريف إلى القدس، فتولى فيها مناصب عدة. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٩١-٢٩٣.

(٧)- المدرسة الصلاحية: تعدّ المدرسة الصلاحية من أشهر مدارس القدس الإسلامية، كما أنها من المدارس التي استمرت في التدريس مدة طويلة حتى نهاية القرن الثامن عشر، ومؤسس هذه المدرسة هو السلطان صلاح الدين الأيوبي، ذلك أنه عندما استردّ القدس من الفرنجة في العام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م قرر إنشاء مدرسة للشافعية في كنيسة صندحنة، وعلى الرغم من أنّ صلاح الدين قد قرّر إنشاء المدرسة حال استرداده بيت المقدس إلا أنه لم يتم إنشاؤها من الناحية الفعلية إلا في العام ٥٨٨هـ / ١١٩٢م. العليمي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ٨٨.

(٨)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٥٩-٣٦١.

وبعد إتمام تحصيلهم العلمي في "المدارس الثمانية" في إستانبول^(١) مثل أبي السعود المصري (ت ١٠٨٨هـ / ١٦٧٧م)^(٢) الذي "عُين بعد عودته من دار السلطنة في قضاء الشام"^(٣)، ومحمد المعروف بـ: ابن الصائغ (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)^(٤) الذي "وجهت إليه رتبة قضاء القدس بعد عودته من إستانبول"^(٥)، ومحمد بن عمر الفارسكوري (ت ١٠٥٧هـ / ١٦٤٧م)^(٦) الذي "وُجّه إليه قضاء حلب ودمشق ومصر بعد عودته من دار السلطنة"^(٧).

ب- أماكن إقامة العلماء المصريين:

اختلفت أماكن إقامة العلماء المصريين في بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر بحسب المناصب التي عُيّنوا فيها، إذ قصد البعض منهم الإقامة في المدارس التي عُيّنوا فيها، لأنها تضم مساكن للمدرسين والطلبة وأصحاب الوظائف الأخرى، ولا سيما الغرياء والفقراء منهم^(٨)، ومما يؤكد ذلك أن الشيخ منصور الشهير بالفرضي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦٠م) سكن عند وصوله إلى دمشق "بالمدرسة العمرية مدة حياته ودرّس فيها وأفاد واشتغل عليه جماعة من فضلاء دمشق وانتفعوا

(١)- كانت ضرورة متابعة تحصيل العلم في المدارس العثمانية في إستانبول من الشروط الواجبة على من يرغب من العلماء العرب المسلمين في تولي مناصب القضاء المختلفة، والمتتبع لتراجم العلماء المصريين في مرحلة البحث يجد أنهم انتقلوا جميعاً إلى دار السلطنة لإكمال تحصيلهم العلمي في المدارس الثمانية، ومن ثم وجهت إليهم رتبة القضاء في إحدى مدن بلاد الشام. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٠، ج ٤، ص ٨٢. المحبي: فيض المنان، ق ٢٠٧.

(٢)- أبو السعود بن عبد الرحيم بن عبد المحسن المصري: وُلِد ونشأ في مصر، ثم توجه إلى إستانبول، وأكمل تحصيله العلمي فيها، حتى تخرج، فعُيّن قاضياً في الشام، وبقي في هذا المنصب حتى وافاه أجله. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٠.

(٣)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٠.

(٤)- محمد بن إبراهيم الملقب بسري الدين الدروري: أخذ عن علماء عصره في مصر، ثم انتقل إلى دار السلطنة ووجهت إليه رتبة قضاء القدس، فتوجه إليها، وبقي في هذا المنصب حتى عُزل، فعاد إلى القاهرة وتوفى فيها. المحبي، فضل الله بن محب الدين: فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، مخطوط توجد صورة عنه في مكتبة فيصل بن يوسف العلي في الكويت، (٣٥٠ق)، رقم ٤٤٢، ويوجد على هذا الرابط (<https://wqf.me/?p=16670>)، ق ٢٠٧.

(٥)- المحبي: فيض المنان، ق ٢٠٧.

(٦)- محمد بن عمر بن محمد الملقب تقي الدين الفارسكوري: وُلِد ونشأ في مصر، ثم توجه إلى إستانبول، وأكمل تحصيله العلمي فيها، فوجّه إليه قضاء حلب ودمشق، ثم مصر. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٨٢.

(٧)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٨٢.

(٨)- شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، ص ٣٨٣-٣٨٤.

به^(١)، وسكن عبد الله بن محمد المصري "في حجرة خاصة في مدرسة شادي بك^(٢) وانتفع به خلق كثير^(٣)"، كما سكن شعبان بن الدمرداشي المصري^(٤) عندما وصل إلى دمشق في "المدرسة الأيدغمشية"^(٥) ونفع فيها الطلاب^(٦).

وممن أقام من العلماء المصريين في مدارس بلاد الشام في القرن الثامن عشر عبد الهادي المصري، الذي سكن في المدرسة الأحمدية في حلب، وأفاد عدداً كبيراً من طلابها^(٧)، ومنهم عامر المصري (ت ١١١٦هـ / ١٧١٣م)^(٨) الذي سكن في "المدرسة الحلاوية"^(٩) في حلب، فأخذ عنه قراء وقته^(١٠)، ومنهم أيضاً علي المصري (ت ١١٦٣هـ / ١٧٥١م)^(١١) الذي "قطن في المدرسة الجقمقية"^(١٢) ثم تحول إلى الظاهرية^(١٣)

-
- (١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٨-٤٢٩.
- (٢) - مدرسة شادي بك: وتسمى أيضاً المدرسة الشاذبكية؛ نسبة إلى منشئها الأمير سيف الدين شادي بك الدوادار، نائب الشام ١١٥٧هـ / ١٤٥٣م، تقع في دمشق في محلة القنوات. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٦٥-٦٦.
- (٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٦٥-٦٦.
- (٤) - شعبان بن الدمرداشي المصري المعروف بأبي القرون: وُلد ونشأ في مصر، ثم ورد إلى دمشق، ونزل فيها مدة يعلم الناس، وانتقل من بعدها إلى القدس وأقام فيها حتى وفاته. المحبي: فيض المنان، ق ٢٣٥.
- (٥) - المدرسة الأيدغمشية: تقع بالقرب من قلعة دمشق. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٣٠.
- (٦) - المحبي: فيض المنان، ق ٢٣٥.
- (٧) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١٤٣.
- (٨) - عامر المصري الضرير: وُلد في مصر، وقرأ فيها العلوم الشرعية على كبار علماء الأزهر الشريف، ثم قدم إلى حلب، وأخذ عنه جمع غفير من طلابها. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.
- (٩) - المدرسة الحلاوية: تعد من أشهر مدارس دمشق، سُميت بالحلاوية؛ لكون العادل نور الدين (٥١١-٥٦٩هـ / ١١١٨-١١٧٤م) كان يملأ جرناً فيها ليلة ٢٧ رمضان قطائف محشوة، ويجمع الفقهاء إليها، وتقع هذه المدرسة في محلة جب أسد الله. كانت الحلاوية كنيسة من بناء هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين، وقد حوّلها أبو الحسن بن الخشاب إلى مسجد وعرف بمسجد السراجين، ثم تحوّلت إلى مدرسة الطباخ، محمد راغب: إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه محمد كمال، ٨ أجزاء، دار القلم العربي، حلب، ط ٢، ١٩٩٢م، ج ٢، ص ٦٣.
- (١٠) - المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢٢٩-٢٣٠.
- (١١) - علي بن حسين الشافعي المصري: وُلد في القاهرة، وحصل علومه فيها، حتى جدّ واجتهد وأصبح من العلماء البارزين، فانتقل إلى دمشق، وقطن في بعض مدارسها وأفاد فيها. المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢١٣-٢١٤.
- (١٢) - المدرسة الجقمقية: أنشأها الأمير سيف الدين جقمق في العام ٨٢٤هـ / ١٤٢١م وتقع في الكلاسة إلى يمين الخارج من باب الأموي الشمالي. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٣٧٤.
- (١٣) - المدرسة الظاهرية: أنشأ هذه المدرسة الملك الظاهر بيبرس البندقداري في العام ٦٧٨هـ / ١٢٧٩م، وتقع في حي الكلاسة قرب الجامع الأموي. النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، ج ١، ص ٢٦٣.

وأقرأ فيها الأولاد القرآن الكريم والنحو وغيره..^(١).

وكانت الجوامع أيضاً تستقطب العلماء المصريين للسكن فيها، وينطبق ذلك على منصور بن علي السطوحى (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)^(٢) الذي كان يسكن "بالجامع المعروف بالصابونية قرب باب الصغير، فانعكف عليه أهل دمشق قاطبة، واعتقدوه وأحبوه حتى صار من تلامذته ومريديه خلق كثير.."^(٣)، ومنهم أيضاً عبد البر بن عبد القادر الفيومي (ت ١٠٧١هـ / ١٦٦١م) الذي سكن عندما دخل دمشق في "حجرة بجامع المرادية ونفع الناس"^(٤). وإلى جانب المدارس والجامع، فقد استضاف علماء بلاد الشام بعض العلماء المصريين في منازلهم، وأكرموا وفادتهم، ومنهم على سبيل المثال: الأديب أبو السماع البصير المصري (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م)^(٥) الذي قدم إلى دمشق "فأنزله أديب الزمان أحمد الشاهيني (ت ١٠٥٣هـ / ١٦٤٣م)^(٦) عنده، وأقبلت عليه أعيان الشام وأدباؤها لغرابة حالة وتفوقه في شأنه.."^(٧).

ج- مصادر دخل العلماء المصريين وإنفاقهم:

لم يرد في كتب التراجم المعنية بمرحلة البحث أي معلومة تخص مصادر دخل العلماء المصريين في بلاد الشام وإنفاقهم، أما وثائق المحاكم الشرعية في دمشق، فقد أوردت رواتب بعض هؤلاء العلماء منهم الشيخ عبد القادر الأزهرى^(٨) الذي عُيِّن على "وقف مدرسة العزيزية بمعلوم قدره في كل يوم عثمان واحد وفي وظيفة التدريس بالمدرسة المذكورة بمعلوم قدره في كل يوم ستة

(١)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢)- منصور بن علي السطوحى المحلي: وُلِدَ في مصر، وحصل علومه الأولية فيها، ثم قدم القدس وأقام فيها منعكفاً على العبادة مدة من الزمن، ثم انتقل إلى دمشق، وأقام فيها ونفع طلابها وأعيانها. المحبى: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٣)- المحبى: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٢٤-٤٢٥.

(٤)- المحبى: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٣٥٩-٣٦١.

(٥)- أبو السماع البصير المصري: الشاعر المشهور، قدم دمشق بعد تحصيل علومه في الأزهر الشريف ونزل فيها، فأقبل عليه عدد لا يحصى من أعيانها، ثم عاد إلى مصر. المحبى: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٩.

(٦)- أحمد بن شاهين: وُلِدَ ونشأ في دمشق، وانتظم في سلك الجند في بداية أمره، ثم تركه وعكف على التعليم، فأخذ عن أيدي كبار علماء عصره حتى أصبح يشار إليه بسعة الاطلاع في الشعر والنثر، وله عدد كبير من الشعر جله مخطوط. المحبى: خلاصة الأثر، ج ١، ص ٢١٠-٢١١.

(٧)- المحبى: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٩.

(٨)- لم أعثر له على ترجمة.

عثمانية^(١)، ومنهم أيضاً الشيخ عبد الباسط المصري^(٢) الذي حصل إثر تعيينه بالمدرسة الخاتونية على "درهمين عثمانيين في كل يوم"^(٣).

كما اهتمَّ بعض رجال الإدارة العثمانية بعلماء مصر الذين قدموا بلاد الشام وأكرمواهم، وقدّموا لهم العطايا الطائلة التي أمنت بدورها متطلبات معيشتهم، مثل: الشيخ أبي السماع البصير المصري (ت ١٠٦٦هـ / ١٦٥٦م) الذي انتقل إلى طرابلس الشام بعد إقامته في دمشق، قاصداً قاضيها الأديب عبد اللطيف المعروف بأنسي الرومي (ت ١٠٧٥هـ / ١٦٦٥م)^(٤) وحصل منه عطايا طائلة -خاصةً وأن أنسي الرومي كان أديباً مهتماً بأدباء عصره- ثم عاد إلى موطنه مصر^(٥).

إضافة إلى ما سبق ذكره فقد كان لبعض العلماء المصريين في دمشق أوقاف خاصة بهم عُرفت بـ: "أوقاف السادة المصريين"، وقد عيّنوا عليها موظفاً خاصاً مسؤولاً عنها، وهو: علي بن حسين البولاقي^(٦) المُعين "بموجب البراءة الشريفة السلطانية، وتشمل هذه الأوقاف جميع القرى وأراضيها الكائنة بناحية مدينة غزة هاشم"^(٧) والتي بدورها تمد المصريين المقيمين في بلاد الشام في مرحلة البحث بمساعدات يومية لإعانتهم^(٨).

٢- علماء بلاد الشام في مصر:

أوردت كتب التراجم المخطوطة والمطبوعة التي سبق ذكرها تراجم العلماء الشوام الذين انتقلوا بصفة مؤقتة أو دائمة إلى مصر، كما أوردت من ارتحل من مصر إلى بلاد الشام لتولي المناصب العلمية والدينية فيها. ومن خلال تتبع تراجمهم يتبين أعداد العلماء المرتحلين من بلاد الشام إلى مصر، ونسبتهم وتوليهم المناصب فيها، وهم حسب الجدول الآتي:

(١)- وثيقة رقم ١٩١، سجل دمشق، رقم ٧١، ص ٣٩، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٧هـ / ١٧٣٧م.

(٢)- لم أعثر له على ترجمة.

(٣)- وثيقة رقم ١٩٤، سجل دمشق، رقم ٦١، ص ٩٧، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.

(٤)- عبد اللطيف المعروف بأنسي أحد موالى الروم: وُلد ونشأ في بلدة كوتاهيا (في آسيا الصغرى)، ثم ورد إلى دمشق وقرأ فيها، وتأدب حتى مَهَر وتَفَوَّق على أقرانه، فعُيِّن في مناصب عدة، منها: قاضياً في طرابلس الشام. المحبي: فيض المنان، ق ٢٨١.

(٥)- المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٢٩.

(٦)- لم أعثر له على ترجمة.

(٧)- انظر إلى الملحق الرابع ١٧٨. وثيقة رقم ٦٣، سجل دمشق، رقم ٤٣، ص ٣٥، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٣٣هـ / ١٧٢١م.

(٨)- وثيقة رقم ٦٣، سجل دمشق، رقم ٤٣، ص ٣٥، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٣٣هـ / ١٧٢١م.

❖ الجدول رقم (٣): علماء بلاد الشام في مصر خلال القرن السابع عشر

الاسم	وجهة السفر	أنواع العلوم التي أفاد بها علماء بلاد الشام في مصر في القرن السابع عشر
أحمد بن إبراهيم المعروف بابن تاج الدين(ت ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م)	دمشق - مصر	اللغة العربية وآدابها
أحمد بن علي الحريري العسالي (ت ١٠٤٨هـ / ١٦٣٩م)	دمشق - مصر	التصوف
أحمد بن علي بن سالم الدمشقي(ت ١٠٨٦هـ / ١٦٧٧م)	دمشق - مصر	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والتصوف
أسعد بن عبد الرحمن (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٣م)	حلب - مصر	اللغة العربية وآدابها
شرف الدين العسيلي (ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	بيت المقدس - القاهرة	اللغة العربية وآدابها
عبد الحي المعروف بطرز الريحان(ت ١٠٩٩هـ / ١٦٨٩م)	بعلبك - القاهرة	اللغة العربية وآدابها
عبد الغني بن صلاح الدين الخاني(ت ١٠٩٥هـ / ١٦٨٥م)	حلب - القاهرة	العلوم الشرعية
عبد الكريم بن محمد المعروف بالعبادي (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦١م)	دمشق - القاهرة	اللغة العربية وآدابها
محمد بن جمال الدين (ت ١٠٥٥هـ / ١٦٤٦م)	بيت المقدس - القاهرة	اللغة العربية وآدابها
محمد بن عبد اللطيف المحبي(ت ١٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق - القاهرة	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والعلوم العقلية
محمد بن فتح الله (ت ١٠٥٨هـ / ١٦٤٩م)	حلب - القاهرة	اللغة العربية وآدابها
محمد المعروف بابن الدرا (ت ١٠٦٥هـ / ١٦٥٥م)	دمشق - القاهرة	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها
محمد بن منصور المحبي (ت ١٠٦٥هـ / ١٦٤٧م)	دمشق - القاهرة	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والعلوم العقلية

❖ الجدول رقم (٤): علماء بلاد الشام في مصر خلال القرن الثامن عشر:

الاسم	وجهة السفر	أنواع العلوم التي أفاد بها علماء بلاد الشام في مصر في القرن الثامن عشر
إبراهيم بن حمزة (ت ٥٠٠٠هـ / ١٠٠٠م)	دمشق - مصر	العلوم العقلية
أحمد الأدهمي (ت ١١٥٩هـ / ١٧٤٧م)	طرابلس - مصر	العلوم الشرعية
محمد أمين المحبي (ت ١١١١هـ / ١٧٠٠م)	دمشق - القاهرة	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والعلوم العقلية
مصطفى البكري (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٩م)	دمشق - القاهرة	العلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها والعلوم العقلية

ومن الجدول رقم (٣) و (٤) يمكن استخراج نسبة علماء بلاد الشام الذين انتقلوا في القرن السابع عشر إلى مصر التي وصلت إلى ٥.٢٦% (بالنسبة لكل الطلاب والعلماء الشوام) ووصلت إلى ١٠.٩٢% (بالنسبة للشوام في مصر). أما بالنسبة إلى علماء بلاد الشام الذين انتقلوا في القرن الثامن عشر إلى مصر فقد وصلت إلى ٥.٧٣% (بالنسبة لكل الطلاب والعلماء الشوام) ووصلت إلى ٧.٥% (بالنسبة للشوام في مصر).

والمُتَّبِع لأنواع العلوم التي أفاد بها علماء بلاد الشام طلاب العلم في مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر يُلاحظ مدى غلبة الصبغة الدينية على التعليم في مصر وبلاد الشام، حيث نجد أن التدريس فيها ينصب في أربعة علوم جميعها من العلوم الشرعية، وهي علم الفقه على المذاهب الأربعة (الحنفي - المالكي - الشافعي - الحنبلي) وعلم التفسير، والحديث والقراءات، وقد بلغت نسبة الإفادة في العلوم الشرعية في القرن السابع عشر حوالي ٥٥.٥٥% ، وفي القرن الثامن عشر ازدادت الإفادة فيها فوصلت إلى ٨٣.٣٣%.

أما بالنسبة لعلوم اللغة العربية فقد اهتموا بتدريسها لكونها من العلوم المساعدة للعلوم الشرعية وبلغت نسبة الإفادة فيها في القرن السابع عشر حوالي ٧٢.٢٢%، أما في القرن الثامن عشر فقد بلغت ٧٠.٣٣%، وما تبقى من العلوم العقلية وخاصة العلوم الرياضية "الرياضيات" وعلم الفلك والتنجيم والعلوم الطبية، فقد بلغت نسبة الإفادة فيها في القرن السابع عشر حوالي ١٦.٦٦% بينما ازدادت في القرن الثامن عشر فوصلت إلى ٣٣.٣٣% لكن هذه النسب بقيت قليلة مقارنة مع الإفادة بالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية.

ومما هو جدير بالذكر أن اقتصار الأوقاف على العلوم الشرعية وتقنين الوظائف لها إضافة إلى تحديد بعض الكتب المتعلقة فيها، كان له أثر كبير في سير الحركة العلمية نحو العلوم الشرعية، مما أوجد باعثاً على تشجيع دراسة هذه العلوم وإقبال الطلبة عليها، ولم تكن الأوقاف على العلوم الشرعية وليدة العصر العثماني، بل امتدت جذورها إلى العصرين السابقين (الأيوبي والمملوكي)، ولا يخفى أن السبب في تركيز أصحاب تلك الوقفيات - والذين كان أكثرهم من السلاطين والأمراء - على تدريس الفقه بمذاهبه الأربعة هو محاولة سلاطين العصر الأيوبي القضاء على أي أثر للفكر الفاطمي، فانتهج خلفاؤهم من سلاطين العصر المملوكي هذا الأمر بعدهم. ويعود السبب الرئيس في اتباع هذه السياسة عبر هذه العصور إلى النظام الذي أسسه نظام الملك (٤٠٨-٤٨٥هـ / ١٠٩٢-١٠١٧م)^(١) في مرحلة الصعود السلجوقي بهدف تطويع وتقنين مؤسسات العلم على نحو يجعلها إحدى مرتكزات مؤسسات السلطة السياسية الحاكمة، فكان لذلك الأثر الكبير في تمهيد الطريق لانتفاخ المؤسسات العلمية لتلقي تبعات السلطنة على اختلاف مراكزها^(٢).

أ- الارتحال لتولي المناصب:

لم يكن هناك عدد كبير من العلماء الشوام الذين تولوا المناصب العلمية والدينية والإدارية فور وصولهم إلى مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر، كما هو الحال بالنسبة لعلماء مصر في بلاد الشام، فالمتتبع لتراجم هؤلاء العلماء يجد أن انتقالهم إلى مصر اقتصر على تولي مناصب

(١) - الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي: ولد ونشأ في نوقان (إحدى قرى مدينة طوس)، درس العلوم الشرعية عامة والفقه الشافعي خاصة، وتولى العديد من المناصب الإدارية حتى أصبح وزير السلطان ألب أرسلان السلجوقي ولابنه السلطان ملكشاه، ومن أهم أعماله بناؤه مجموعة كبيرة من المدارس النظامية في بغداد ونيسابور والموصل وأصفهان ومرو وغيرها، والتي اقتصت بتدريس الفقه الإسلامي، وأوقف عليها أوقافاً عظيمة. الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، جزءان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٩٩٤، ج ٢، ص ٥١٣-٥١٥.

(٢) - حمادة، محمد فؤاد: تاريخ الحركة العلمية في مدينة دمشق في القرن السابع عشر الميلادي، إشراف الأستاذة الدكتورة بشرى خيريك، أطروحة دكتوراة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٨-٢٠١٩م، ص ٣٠.

القضاء المختلفة^(١). وكان يتم تعيين قضاة مصر عن طريق قاضي عسكر الأناضول^(٢) في استانبول الذي بدوره يرسلهم إلى مناصب القضاة الشاغرة في إقليم مصر.

وقد جرى اختيار علماء بلاد الشام لتولي مناصب القضاء في مصر بعد إتمام دراستهم في: "المدارس الثمانية" في دار السلطنة؛ وأرسلوا إلى مصر بموجب قرار رسمي وممن أرسلوا: أحمد بن إبراهيم (ت ١٠٦٠هـ / ١٦٥٠م)^(٣) الذي تولّى "قضاء مصر مدة من الزمن حتى تركه وأبدله بالتدريس"^(٤)، ومنهم شرف الدين العسيلي المقدسي^(٥) الذي ولي "قضاء شبشير (إحدى قرى طنطا) في مصر"^(٦)، وعبد الكريم بن محمد (ت ١٠٧٠هـ / ١٦٦١م)^(٧) الذي ولي قضاء أبيار (شمال غرب طنطا)^(٨)، ومحمد بن جمال الدين القدسي (ت ١٠٥٥هـ / ١٦٤٦م)^(٩) الذي ولي قضاء مصر^(١٠)، ومنهم أيضاً محمد بن فتح الله البيلوني (ت ١٠٥٨هـ / ١٦٤٩م)^(١١) الذي "سلك طريق القضاء، فتولّى

(١) - قُسم الإقليم المصري إلى ستة وثلاثين قضاء يضم ست رتب، وكانت المرحلة الثانية في كلا القسمين تسمى موصلة "تمهيدية"، وكان القضاء في الأقاليم درجات أعظمهم قضاة المديريات البحرية والثغور. بوين، جب: المجتمع الإسلامي والغرب، ج ١، ص ٢٣٥.

(٢) - قاضي عسكر الأناضول: وتتمثل وظيفته في إصدار الأحكام والفتاوي الشرعية، إلى جانب الرد على الاستفسارات الموجهة إليه من أفراد المجتمع، وكان كل قضاة الأناضول يتبعون له. صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص ١٧٤.

(٣) - أحمد بن إبراهيم المعروف بابن تاج الدين: سافر إلى دار السلطنة وأكمل تحصيله العلمي هناك حتى حصل على منصب القضاء في مصر وبقي فيه مدة من الزمن ثم تركه وأبدله بالتدريس، فدرس وأفاد في دمشق حتى وافاه أجله. المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥٨.

(٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ١، ص ١٥٨.

(٥) - شرف الدين العسيلي القدسي: كان من الأدباء المشهورين في عصره، سافر إلى دار السلطنة لمتابعة تحصيله العلمي، فولي قضاء شبشير من إقليم مصر. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٦) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٧) - عبد الكريم بن محمد المعروف بالعبادي الدمشقي الحنفي: الأديب الفاضل كانت له مشاركة تامة في الفنون وخبرة في نقد الشعر، قرأ بدمشق على كبار علمائها، ثم سافر إلى استانبول، فعُين في مناصب القضاء المختلفة. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٩.

(٨) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٩.

(٩) - محمد بن جمال الدين بن أحمد الملقب بحافظ الدين العجمي القدسي الحنفي: قرأ في موطنه وحصل وتفوق وسافر مزاراً إلى الروم، وولي القضاء في إقليم مصر، وتصرّف بمناصب عدة إلى أن انفصل عن قضاء المنصورة، ثم صار مفتياً بالقدس، ومدرساً بالمدرسة العثمانية، ثم انتقل إلى دمشق وبقي فيها حتى وفاته. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١٣.

(١٠) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤١٣.

(١١) - محمّد بن فتح الله بن محمود بن محمد بن حسن البيلوني: وُلِدَ ونشأ في حلب، وتأدّب على يد والده فتح الله، ثم رحل إلى الروم وسلك طريق القضاء، وقد اشتهر بأشعاره الكثيرة. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٠٥.

قضاء مصر^(١)، كما رحل إلى مصر محمد بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ / ١٦٩٩م) وتولى قضاءها^(٢).

أما بالنسبة لمناصب التدريس في مصر، فجميع من تولى هذه المناصب من الشوام كانوا من الطلاب الذين قدموا إلى القاهرة وأكملوا تحصيلهم العلمي في الأزهر الشريف، حتى تفوقوا على أقرانهم، وكبر شأنهم فتصدروا للإفادة والتدريس في الأزهر الشريف أو في أحد المعاهد العلمية والدينية في مصر، مثل: الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م) الذي انتقل من بلدته طول كرم (شمال غرب فلسطين) إلى القاهرة، وأخذ العلم عن كثير من علمائها ومشايخها في: الفقه، والحديث، والتفسير، حتى كبر شأنه فتصدّر للتدريس والإفتاء، وقد طاب له المقام في القاهرة، فأثر البقاء فيها^(٣). ونظراً لبلوغه منزلة عالية في العلم، فقد تصدر للإقراء والتدريس في الجامع الأزهر، فتوافد عليه الكثير من طلاب العلم الشوام والمصريين لأخذ العلم عنه، وبقي الكرمي يفيد ويستفيد ويستقي من علوم علماء مصر، ويعلم الناس حتى توفي سنة ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م^(٤). ومنهم الشيخ عبد اللطيف بن أبي الوفا الدمشقي (ت ١٠٣٦هـ / ١٦٢٧م)^(٥) الذي انتقل إلى مصر لطلب العلم على جهابذة علمائها ومشايخها وأجازوه بالإفتاء والتدريس، وبقي يفتي ويدرس في الأزهر الشريف حتى عاد إلى دمشق وتولى القضاء فيها^(٦).

وبرز من علماء الشام في الأزهر الشريف وأصبح مقصداً لطلاب العلم المسلمين المصريين والشوام والمغاربة على حد سواء الشيخ ياسين الحمصي (ت ١٠٦١هـ / ١٦٥١م)، الذي درس في الأزهر منذ صغره حتى تفوق على أقرانه، واشتهر بعلمه في الأزهر الشريف، فتصدر لإقراء العلوم

(١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ١٠٥.

(٢) - المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٨٦-٩١.

(٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٨. النجدي، محمد بن عبد الله بن حميد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ص ٤٦٣-٤٦٤.

(٤) - مجهول، مجهول: تراجم علماء مصر في القرنين الثاني والثالث عشر، مخطوط محفوظ في دار الكتب القومية بمصر، (١٩٤ق)، رقم (٢٣٢٨)، ويوجد على هذا الرابط (<http://wqf.me/?p=16797>)، ق ١٤. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٥٨. النجدي: السحب الوابلة، ص ٤٦٤.

(٥) - عبد اللطيف بن أحمد بن أبي الوفا المفلحي الحنبلي: ولد ونشأ في دمشق، ثم ارتحل إلى الأزهر وحصل العلوم الشرعية فيه حتى أجازته جل شيوخه. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٤.

(٦) - البوريني: تراجم الأعيان، ج ٢، ص ٣٥٠. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ١٤.

فيه، ولازمه أفاضل عصره، وحظي كثيراً وشاع ذكره، ومما اشتهر فيه أنه: "كان مغرمًا بالطيب، وإذا دخل الجامع الأزهر يشم من صدره رائحة المسك والعنبر فيعلم أهل الجامع بقدومه"^(١).

وممن اشتهر من علماء الشام أيضاً محمد المعروف بابن النقيب (ت ١٠٦٤هـ/ ١٦٥٤م)^(٢)، الذي انتقل إلى مصر، وتمكن من العلوم فيها حق التمكن حتى درس بالجامع الأزهر، وأخذ عنه عدد كبير من علماء مصر، منهم الشيخ سلطان المزاحي (ت ١٠٧٥هـ/ ١٦٦٤م) الذي يعد أحد أساطين الأزهر الشريف، ومما قيل عنه إنه: "كان يُدرّس في أحد وعشرين علماً ولا ينظر في كتاب، ويقول: هذه طريقتنا وطريقة شيوخنا"^(٣)، وبقي يدرّس بالأزهر أربعين عاماً، ثم انتقل منه إلى دمياط للتدريس فيها، وظلّ يدرّس ويفيد حتى وفاته^(٤).

ومنهم من درّس في الأزهر الشريف حتى أجز منه، وعيّن في أرفع مناصبه، مثل: الشيخ شحادة بن إبراهيم الحلبي (ت ١٠١٠هـ/ ١٦٠٢م)^(٥)، الذي عيّن "ناظراً في الجامع الأزهر وشيخاً في رواق الريافة"^(٦) في الأزهر^(٧) ومن شدة نبوغه العلمي والفكري في الأزهر لقب بـ: "شيخ الشيوخ بالجامع الأزهر"^(٨). ومن علماء بلاد الشام من درّس في الأزهر الشريف حتى أجز منه وتصدّر للتدريس والإفادة فيه، ثم اختير ليتولى مشيخة رواق السادة الشوام، مثل الشيخ عبد اللطيف المكتبي الدمشقي (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٩م)^(٩)، والشيخ عبد الرحمن بن عمر العريشي الغزي (ت ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م)^(١٠) وجميع هؤلاء انتقلوا إلى مصر لطلب العلم على أيدي مشايخها الجهابذة، فاشتهروا

(١) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٤٩١.

(٢) - محمد المعروف بابن النقيب: مولده في بيروت ووفاته في دمياط. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٣) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٤) - المحبي: خلاصة الأثر، ج ٤، ص ٣٠٦.

(٥) - شحادة بن إبراهيم الحلبي الشافعي نزيل القاهرة: أحد أشهر علماء الأزهر في عصره، وعلامة المعقول والمنقول، وشيخ أهل الفروع والأصول. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ٢٢١-٢٢٢.

(٦) - رواق الريافة: وهو أحد أروقة الأزهر الشريف القديمة، مخصص لطلاب وعلماء ريف مصر. البقاعي، إبراهيم بن عمر: إظهار العصر لأسرار أهل العصر، تحقيق محمد بن سالم العوفي، ٣ أجزاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٩٩٢م، ج ١، ١٣٩-١٤٠.

(٧) - انظر إلى الملحق الثالث ص ١٧٧. وثيقة رقم ١٨٤١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ٤٢٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م.

(٨) - انظر إلى الملحق الثالث ص ١٧٦. وثيقة رقم ١٦٠١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ١٨٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ ١٠٠١هـ/ ١٥٩٢م.

(٩) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١١٨-١١٩.

(١٠) - عبد الرحمن بن عمر العريشي: ولد ونشأ في العريش (من أعمال غزة) ثم انتقل إلى مصر للتحصيل العلمي حتى تصدر للتدريس فيها ونفع الطلاب. الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٢، ص ٥٢-٥٤.

هناك، وكبر شأنهم، ودرسوا وأفادوا وأجادوا حتى عُيِّنوا في مشيخة رواق الشام بالجامع الأزهر، ويقوا في هذا المنصب حتى وافاهم أجلهم، ومما سبق يمكن القول: إنَّ طلاب بلاد الشام مارسوا نشاطهم الفكري والعلمي في القاهرة في القرنين السابع عشر والثامن عشر دون أي عوائق أمامهم، وهذا ما جعل أواصر الارتباط بين الولايتين تستمر ليس جغرافياً وسياسياً واقتصادياً فحسب، وإنما فكرياً وعلمياً أيضاً.

ب- أماكن إقامة العلماء الشوام:

لم تذكر كتب التراجم الخاصة بمرحلة البحث المكان الذي أقام فيه كل علماء بلاد الشام الذين رحلوا إلى مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر سوى من تصدر للإفادة والتدريس في الأزهر الشريف أو تولى مشيخته، حيث استقروا في "رواق السادة الشوام" في المكان المخصص للمدرسين فيه، وذلك للتمكن من مواصلة دروسهم ونفعهم الطلاب وأداء صلواتهم في الأزهر الشريف^(١).

ج- مصادر دخل العلماء الشوام وإنفاقهم:

اختلفت مصادر دخل علماء بلاد الشام وإنفاقهم في مصر من عالم لآخر، وذلك بحسب منصبه فيها، ونظراً لكون معظم علماء بلاد الشام درسوا في الأزهر الشريف واستمدوا علومهم منه، ولابد من الإشارة إلى مصادر الدخل الخاصة بالأزهر الشريف، خاصة وأن الأزهر تمتع منذ إنشائه بأوقاف كبيرة رصدت له من قبل سلاطين وأمراء العصور السابقة^(٢). وعند مجيء العثمانيين إلى البلاد العربية لم يتعرضوا لهذه الأوقاف، بل كانت هناك مشاركة من قبل الإدارة العثمانية للإنفاق على الجامع الأزهر والاهتمام به، لكنها كانت ضئيلة مقارنة مع أوقافه السابقة، فضلاً عن هذه المشاركات، فقد كان "ثمة الكثير من أفراد المجتمع أدركوا مكانة الأزهر وأهميته العلمية والتعليمية، فتباروا في رصد أموالهم الخاصة عليه، فأوقفوا أموالهم على نشاطه العلمي بصفة عامة دون اختصاص رواق بعينه^(٣)". فكان لكل هذه الأوقاف الدور الكبير في توفير مصادر دخل العلماء والطلاب المجاورين في الأزهر وتأمين مستلزمات معيشتهم فيه.

(١)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ١١٨-١١٩.

(٢)- عنان، محمد عبد الله: تاريخ الجامع الأزهر، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط ١، ١٩٤٢م، ص ٦٨-٦٩.

(٣)- حول أوقاف الأزهر الشريف ومصادر دخله وإنفاقه انظر: عثمان، ناصر عبد الله: الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د. ط، ٢٠١٢م، ص ١٣٠-١٣١.

أما بالنسبة لمصادر دخل القضاة الشوام في مصر فقد كانوا يحصلون على جزء كبير من دخلهم من الرسوم القضائية والغرامات التي يحكمون فيها، والتي بدورها تدر إيراداً وفيراً، كما كانوا يتقاضون جزءاً من الرسوم المقررة على معاينة التركات وتقسيمها والمبيعات، إلى جانب الرواتب التي تخصصها لهم السلطنة العثمانية في نهاية كل شهر هجري^(١)، مما ساعدهم على التمتع بحياة أفضل ومستوى دخل عالٍ جداً مقارنةً مع العلماء الشوام المشتغلين في الأزهر الشريف في مرحلة البحث.

ثانياً: نماذج من حركة الرحالة المتصوفة العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

شكلت الرحلات الصوفية ركناً مهماً من أركان الطريق الصوفي، وأكدت هذه الطرق على أهمية الرحلة للمتصوفة اعتماداً على قوله تعالى: «قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(٢) لكون حياة الإنسان ما هي إلا سفر من البداية إلى النهاية وقد أشار ابن عربي (ت ٥٦٠هـ/ ١٢٤٠م)^(٣) إلى ذلك في قوله: "وعلى الحقيقة فلا نزال في سفر أبداً من وقت نشأتنا ونشأة أصولنا إلى ما لا نهاية له"^(٤) فحياة الإنسان كلها رحيل وانتقال وتختلف غاياته من إنسان إلى آخر، لكن السفر الذي يريده الصوفية هنا هو ذلك الذي تكون غايته الله وحده^(٥).

(١) - الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ٤ أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م، ج ١، ص ١٧٩.

(٢) - القرآن الكريم: سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.

(٣) - محمد بن علي بن محمد ابن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب بالشيخ الأكبر: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كل علم، مولده في مرسية (بالأندلس) ووفاته في دمشق. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٥، ص ١٩٠-١٩١.

(٤) - ابن عربي، محيي الدين: الإسفار عن نتائج الأسفار، ضمن كتاب: رسائل ابن عربي، جمع محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠١م، ص ٣٥٤.

(٥) - ابن عربي، محيي الدين: الإسفار عن نتائج الأسفار، ضمن كتاب: رسائل ابن عربي، جمع محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠١م، ص ٣٥٤.

وقسم القشيري (ت ٤٦٥ هـ / ١٠٧٢ م)^(١) السفر إلى قسمين فقال: "قسم بالبدن وهو الانتقال من بقعة إلى بقعة، وسفر بالقلب وهو الارتقاء من صفة إلى صفة، فترى ألفاً يسافر بنفسه وقليل من يسافر في قلبه، والقسم الأول يعد نوعاً من الآداب الصوفية، فمن آداب الصوفية محبة السفر وصحبة الغرباء، لذلك نجد عند الصوفية دأبهم على السياحة في الأوطان لمعاينة تجليات الحقائق"^(٢)، وانطلاقاً من أهمية الرحلة الصوفية فقد عزم بعض متصوفة مصر وبلاد الشام على الارتحال من ولاية إلى أخرى لمعاينة تجليات الحق، ولزيارة الأضرحة والمقامات والمشاهد الدينية، وتحملوا في سبيل ذلك صعوبة الأسفار وركوب البحار لتحقيق أهدافهم وغاياتهم.

وقد أعطت الرحلات الصوفية التي دوّنت في القرنين السابع عشر والثامن عشر صورة واضحة عن طبيعة مسير هذه الرحلات من مصر إلى بلاد الشام، ومن بلاد الشام إلى مصر، إلى جانب وصف جغرافية المناطق والمدن التي مروا فيها، فضلاً عن إعطاء وصف واضح للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والتعريف بأشهر العلماء والفقهاء والأئمة والأقطاب الصوفية، فتضمنت هذه الرحلات معلومات قيمة وفريدة أغنت المكتبات عامة والإسلامية خاصة بمجالات عدة، الأمر الذي جعل كتب الرحلات مصدراً مهماً من المصادر الأولية لتاريخ مصر وبلاد الشام.

وكان للرحلة الصوفية خلال مرحلة البحث دور كبير في الوحدة العلمية والثقافية بين مصر وبلاد الشام، لأنها عززت علاقة متصوفي بلاد الشام بمتصوفي مصر وعلمائها والعكس صحيح، لأن الطرق الصوفية تجتاز الحدود والولايات لترتبط أفرادها أينما كانوا برباط الطريقة، إلى جانب الإسهام في التبادل الثقافي والمعرفي، وهذا ما أكدته المعلومات الغنية التي دوّنت في هذه الرحلات من سعي المتصوفة في رحلتهم إلى نشر طرقهم الصوفية وجمع مريدين جدد، إلى جانب نشر علومهم وإفادة طلبة العلم هناك، وعقد مجالس علمية مع مشاهير العلماء والتباحث معهم حول مسائل علمية وفقهية ترتقي بالمعرفة الإنسانية، إلى جانب الأخذ عن كبار علماء الولاية التي زاروها وطلب الإجازة منهم، وهذا ما جعل للمتصوفة في مرحلة البحث الدور الكبير في توثيق العلاقات العلمية والفكرية بين الولايات العربية عامة ومصر وبلاد الشام خاصة. ولإعطاء صورة لدور التصوف في توثيق الصلات العلمية بين مصر وبلاد الشام والعكس تم اختيار ثلاثة من المتصوفة الذين تركوا لنا رحلاتهم التي دونوها أثناء سياحتهم وقد أتت خير شاهد على العصر الذي دونت فيه

(١) - عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري: شيخ خراسان في عصره، كانت إقامته بنيسابور ووفاته فيها.

حاجي خليفة: كشف الظنون، ج ٣، ص ٧٧.

(٢) - القشيري: الرسالة القشيرية، مج ١، ص ٤٧٩.

هذه الرحلات في شتى المجالات. ولم يكن اختيار هذه الأمثلة اعتباطياً، وإنما تم اختيارهم للموقع الذي شغلوه في مجتمعاتهم. فالنابلسي كان أحد أشهر المتصوفة في العصر العثماني، أما البكري الصديقي فكان شيخ الطريقة الخلوتية، وأما اللقيمي فقد كان مريداً سلك الطريقة الخلوتية على يد البكري الصديقي في بيت المقدس.

١- الرحالة عبد الغني النابلسي (١٠٥٠-١١٤٣هـ/١٦٤١-١٧٣١م):

هو الشيخ "عبد الغني بن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي الشهير بابن النابلسي، الشامي مولداً الحنفي مذهباً القادري مشرباً النقشبندي^(١) طريقة^(٢)" ويرجع كمال الدين الغزي (ت ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م)^(٣) نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أما شهرته بالنابلسي، فقد أشار الغزي إلى أن برهان الدين إبراهيم (جد النابلسي الرابع) استوطن نابلس مدة بعد أن خرج من بيت المقدس، ثم رحل منها إلى دمشق واستوطنها، وبقيت ذريته فيها واشتهروا ببني النابلسي^(٤).

أ- مولده ونشأته:

وُلد عبد الغني النابلسي في دمشق في العام ١٠٥٠هـ/١٦٤١م^(٥)، ونشأ في بيت علم وفضل، اشتهرت عائلته بالعلم والزهد والتصوف، وهذا ما أنشأ النابلسي نشأة علمية، فبدأ في سنة مبكرة بنظم الشعر والمؤلفات^(٦)، وقد قرأ العلوم المختلفة على أيدي كبار علماء عصره، فنبغ في: الفقه والحديث والتفسير والنحو والمعاني والبيان والصرف، فصنّف وألّف عدداً كبيراً من المصنفات، قال المرادي في

(١)- حول الطريقة القادرية والنقشبندية انظر النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٤٤-٤٩.

(٢)- النابلسي، عبد الغني: ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، ضبطه وعلق على حواشيه محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٨-١٩.

(٣)- أبو الفضل كمال الدين محمد بن محمد شريف بن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن الغزي العامري: وُلد في دمشق وقرأ على كبار علمائها حتى تفوق على أقرانه، فتولى إفتاء الشافعية في دمشق بعد وفاة والده، ففاقت شهرته بلاد الشام وانتفع به عدد لا يحصى من طلاب العلم. البيطار، عبد الرزاق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د. ط، ١٩٦٣م، ص ١٣٣١-١٣٣٢.

(٤)- الغزي، كمال الدين محمد: الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، اعتنى به وعلق عليه أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠١٥م، ص ٨.

(٥)- المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٠-٣١.

(٦)- Akkach, Samer: **Abd al-Ghani al-Nabulusi Islam and the Enlightenment**, One world oxford, England, 2007, p.p 24-25.

ذلك: "تأليفه ومصنفاته كثيرة وكلها حسنة ومتداولة مفيدة، ونظمه لا يحصى لكثرتة"^(١). وقد اشتهر الشيخ النابلسي برحلاته المتعددة إلى بلاد الروم وبلاد الشام والحجاز ومصر، منها: الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية، وحلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز، والحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، والرحلة إلى إستانبول، والرحلة الحجازية والرياض الأنسية^(٢).

ب - رحلة النابلسي إلى مصر:

أوضح النابلسي في رحلته الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز تفاصيل زيارته إلى الديار المصرية، فبدأ بذكر طريق السفر فقال إنه انطلق من مدينة دمشق وطاف في مدن الشام وثغورها، وزار مشاهدها الدينية حتى وصل إلى الحدود المصرية في اليوم الثالث بعد المائة من بدء الرحلة من العام ١١٠٥هـ/١٦٩٣م، ودخل مدينة القاهرة وهو يحييها بإعجاب وحماسة كما حياها من قبل جميع الأعلام والمتصوفة الوافدين عليها من المشرق والمغرب^(٣)؛ ونزل ضيفاً عند صديقه زين العابدين البكري (ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤م)^(٤) حيث أفرد له داراً خاصة ملاصقةً داره، ورثب له فيها كل ما يلزم لراحته من متاع وأثاث^(٥).

ولعل أهم ما عني به الرحالة النابلسي في رحلته إلى مصر زيارته للقرافة ومزاراتها، وكان النابلسي من أقطاب الصوفية الذين اهتموا بالرحلات الصوفية تمثلاً بكبار المتصوفة السابقين، فزار فيها مقام نفيسة بنت الحسن (ت ٢٠٨هـ/٨٢٣م)^(٦)، ومدافن السادة المالكية، ثم زار مقام الإمام

(١) - المرادي: سلك الدرر، ج ٣، ص ٣٠-٣٣.

(٢) - الغزي: الورد الأنسي، ص ٩-١٠.

(٣) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٧٣.

(٤) - زين العابدين بن محمد بن علي البكري الصديقي القاهري الشافعي: وُلِدَ في القاهرة، وحصل علومه فيها، حتى نبغ وبرع، وله مشاركة في مختلف العلوم وخاصة في العربية والتفسير وعلوم البلاغة. المحبي: خلاصة الأثر، ج ٢، ص ١٩٦-١٩٧.

(٥) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨١.

(٦) - نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب: وُلِدَت بمكة في العام ١٤٥هـ/٧٦٣م، فانتقل والدها إلى المدينة المنورة؛ فكانت تذهب إلى المسجد النبوي وتسمع شيوخه، وتتلقى الحديث والفقه من علمائه، حتى لقبها الناس بلقب: "نفيسة العلم"، ثم تزوجت وانتقلت مع زوجها وأولادها إلى مصر، وكان لها شأن كبير، واشتهرت هناك بطاعتها وعبادتها، توفيت في مصر ودفنت فيها. المناوي، محمد عبد الرؤوف: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد أديب الجادر، جزأين، دار صادر، دمشق، د. ط، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٥٥٥.

الشافعي (ت ٢٠٤هـ / ٨٢٠ م)^(١)، وعطف بعد ذلك على زيارة قبر الشيخ زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ / ١٥٢٠ م)، ثم زار الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ / ٧٩١ م)^(٢)، وقبر الشيخ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥ م)، وبعض قبور الشيوخ والأولياء هناك، ونظم قصائد في كل المقامات والأضرحة التي زارها^(٣).

ثم يصفُ زيارته لمزار ابن الفارض (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٥ م)^(٤) بجامع القرافة، ويصف حلقات الذكر الصوفي الذي تنشد فيه القصائد والأنشيد المؤثرة، ويذكر أنه شهد الأولياء أحياناً "يأخذهم التأثر، فيمزق بعضهم ثيابه أو يدوس الناس هائماً على وجهه لا يلوي على شيء"^(٥)، وبعد أن أتمَّ زيارته إلى القرافة توجه لزيارة بعض المساجد والزوايا في مصر، ومن ثم عكف على زيارة الأزهر الشريف، فالتقى بالشيخ منصور المنوفي الشافعي الضرير^(٦) وجرت بينهما بعض المباحثات العلمية، وكان يكثر من زيارة الأزهر، ويجتمع بمشاخه وطلابه، ويستمتع لبعض ما يُلقى فيه من دروس^(٧).

كما وصف النابلسي أيضاً جزيرة الروضة (إحدى جزر نهر النيل) وجمالها، والمقياس وعجائبه وجامع عمرو بن العاص (في القاهرة شرق نهر النيل) وفخامته؛ ثم قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين الأيوبي التي تقع فوق جبل المقطم)، ولم يفتُهِ وصف نهر النيل الذي نظم فيه قصائد كثيرة^(٨). ولبثَ النابلسي في القاهرة ثمانين يوماً حتى اقترب موعد السفر إلى الحج لاستكمال رحلته

(١) - محمد بن إدريس محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبلي، أبو عبد الله الإمام الشافعي: "أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة، وُلِدَ في غزة (بفلسطين) وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر في العام ١٩٩هـ / ٨١٥م، فتوفي فيها. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٣٢٩.

(٢) - أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي المصري: إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً، وُلِدَ في قلْقَشْدنة من أعمال مصر، وكان من الكرماء الأجواد، توفي في القاهرة. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج ١، ص ٢٠٧.

(٣) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨٧-٢٠٣.

(٤) - أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي الشهير بابن الفارض: أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالبها في العشق الإلهي حتى أنه لُقِّبَ بـ: "سلطان العاشقين"، وُلِدَ ونشأ في مصر، واشتغل بفقهِ الشافعية، والحديث ثم سلك طريق الصوفية ومال إلى الزهد، وانعكف عن الناس حتى وفاته. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مج ٥، ص ١٤٩-١٥٣.

(٥) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) - منصور المنوفي الشافعي الشهير بالضرير: وُلِدَ ونشأ في المنوفية، ثم انتقل إلى القاهرة للدراسة في الأزهر الشريف، حتى كبر شأنه، فأصبح من أشهر مشايخ الأزهر الشريف، وانتفع به خلق كثير. النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٢.

(٧) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٨) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٣٦-٢٥٠.

الكبرى وهي الرحلة التي بين أيدينا، فأعدَّ عدته للسفر، وودَّع أصدقاءه ومشايخه ومحبيه، وغادر القاهرة في العام ١١٠٥ هـ / ١٦٩٥ م، فانتَهت بذلك رحلته المصرية^(١)، ويمكن القول: إنَّ رحلة النابلسي هذه ما تزال حتى يومنا هذا محطَّ إعجاب واهتمام المؤرخين العرب والأجانب بسبب غزارة المعلومات التي وردت فيها.

ج- نشاط النابلسي العلمي في مصر:

نزل النابلسي عند وصوله إلى مصر ضيفاً عند الشيخ زين العابدين البكري (ت ١٠١٣ هـ / ١٦٠٤ م) شيخ السادة البكرية^(٢) في مصر آنذاك، وكانت دار البكرية مجلساً من مجالس العلم^(٣)، فقدم النابلسي وصفاً دقيقاً لأوقات المجلس ومن اجتمع بهم فيه، حيث قال: "يرسل إلينا - زين العابدين - في وقت العشى لأجل المذاكرة والإفادة ونبقى معه في مطالعة علمية ومطارحات أدبية وقصائد شعرية إلى أن يمضي الليل نحو الثلاث والأربع ساعات رملية، ثم نعود إلى منزلنا - المجاور لمنزل زين العابدين - مع جماعتنا ونبيت فيه. وهكذا كانت أيامنا معه المباركة وليالينا^(٤)".

واجتمع عبد الغني النابلسي في مجلس السادة البكرية بمشاهير علماء مصر وبلاد الشام آنذاك، مثل الشيخ محمد بن فضل الله المحبي (ت ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م)، والأديب شاهين بن فتح

(١) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨٧-٢٠٣.

(٢) - مازالت أسرة البكري إلى يومنا هذا تحتفظ بوثائق تثبت صحة نسبهم تعود إلى القرن الرابع للهجرة، ولهذه الأسرة فروع في الحجاز ومصر وإستانبول ودمشق، وقد سطع نجم آل البكري منذ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وشغل أبنائها مناصب علمية ودينية وإدارية مهمة في الولايات العربية وخاصة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجري/ السابع عشر والثامن عشر الميلادي. شيلشر، ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمر الملاح ودينا الملاح، مراجعة عفاف مارديني، دار الجمهورية، دمشق، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ١٨٩-١٩٣.

(٣) - كان للسادة البكرية مساكن ومجالس علم متعددة منها بقنطرة باب الخلق وعابدين، وعلى الخليج تجاه زاوية جلال الدين المشهورة بالجامع الأبيض وبالأزكية (وجميعها في القاهرة)، أما مجلس السادة البكرية الذي زاره النابلسي فهو يقع في بركة الفيل (أقدم برك القاهرة)، وقد أعجب النابلسي أثناء رحلته إلى مصر به، فقال: "وهي ذات قصور عالية وأبنية أرخصت غيرها وهي غالبية ورياض أنيقة، وكيف التقت وجدت حديقة وفيها مجلس مطل على بركة الفيل، كل كثير من البلاغة في وصفه قليل، لطيف الأرجاء وهو لنور الكمال معتمد، وملجأ يحيط به شبكات من الخشب المدهون مطة على حوض من لرخام الملون بفنون". البكري، محمد توفيق: بيت الصديق، مصر، د. ط، ١٣٢٣ هـ، ص ٣٩٧-٤٠٢. مبارك: الخطط التوفيقية الجديدة، ج ٦، ص ١٣٠. النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٣.

(٤) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨١.

الله^(١)، وجرت بينهم مباحثات أدبية، واجتمع بالعلامة أحمد المرحومي^(٢) والشيخ علي الصايم الحنفي^(٣) وغيرهما من فضلاء الأزهر الشريف وحصلت بينهم "مباحثات علمية وراجعوا بعض التفاسير في آيات قرآنية"^(٤).

كما قدم عليهم للزيارة أثناء حضورهم في المجلس "أناس كثيرون من المجاورين بالجامع الأزهر من العلماء وطلبة العلم، وحصل للنبلسي بهم كمال الأنس والبركة وجرت بينهم مباحثات علمية ومذاكرات فقهية"^(٥). وقد طلب زين العابدين من النبلسي أثناء حضوره المجلس شرح قصيدة ألقاها عليه، فشرحها النبلسي "شرحاً لطيفاً، وأكمل الكلام في معانيها تحقيقاً وتعريفاً"^(٦)، وأطلق عليها "نفحة الصور ونفحة الزهور في الكلام في أبيات قبضة النور"^(٧) وأكمل كتابتها في منزل العابدين في القاهرة.

وكان من الطبيعي في ظل هذا التواصل العلمي بين النبلسي وعلماء مصر أن تتنوع الموضوعات المطروحة في هذه المجالس من جلسة إلى أخرى، فهناك بعض الجلسات التي درت حول تفسير آيات من القرآن الكريم، في حين طرحت في جلسات أخرى بعض القضايا الخلافية، مثل قضية الإسراء والمعراج هل هو بالروح أم بالجسد، وهل التوسل بالإنماء والأدب جائز أم لا، وأفادهم النبلسي في آراءه حول هذه القضايا^(٨).

وسأل في أحد المجالس البكرية الشيخ علي الصالح الأزهري^(٩) حول قضية خطبة الجمعة والأعياد، هل تكون بإذن من السلطان أم من قاضي القضاة، لكون جميع الخطباء في جوامع مصر يخطبون بدون إذن السلطان، والمعلوم في فقه الحنفية أن إذن السلطان شرط في صحة الخطبة، ورد عليه النبلسي بأن إذن السلطان القاضي المعين من قبل السلطان بمثابة إذن من السلطان^(١٠).

(١) - شاهين بن فتح الله المصري: ولد ونشأ في القاهرة، ويعد من أشهر أدباء مصر في القرن السابع عشر. المحبي: نفحة الريحانة، ج ١، ص ٤٥٢.

(٢) - لم أعثر له على ترجمة.

(٣) - لم أعثر له على ترجمة.

(٤) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٣.

(٥) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٢-٢٠٣.

(٦) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢١٤.

(٧) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢١٥.

(٨) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٩) - لم أعثر له على ترجمة.

(١٠) - النبلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٧٢.

وكان الحديث يدور في المجالس البكرية حول بعض القضايا التاريخية، منها الرواية التاريخية التي سمعها النابلسي، وهي التي تدور حول تمجيد البيت البكري، وأن الشيخ جلال الدين البكري^(١) قد عرض عليه المماليك أن يحكم مصر بعد ثورتهم على السلطان قانصوه الغوري (٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠١-١٥١٦م) بسبب مظالمه، وأنهم توسموا في الشيخ جلال الدين البكري الخير، وذلك لأن جده الخليفة أبو بكر الصديق عليه السلام، ولكنه لم يقبل وأوصاهم بالصبر، وتستطرد الرواية في إعطاء الشيخ جلال الدين البكري دوراً مهماً في استيلاء العثمانيين على مصر عندما ذهب هذا الشيخ مع الشيخ أبي السعود الجارجي^(٢) والشيخ الدشطوطي^(٣) إلى بلاد الشام وجاءوا بالسلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥٢٠م) إلى مصر، وعلى الرغم من أن النابلسي ذكر هذه القصة في رحلته إلا أنه لم يبدِ رأيه فيها^(٤).

ويذكر النابلسي زيارته دار الشيخ أحمد العشماوي^(٥) برفقة زين العابدين وبعض أصدقائه، فيقول: "فجلسنا عنده حصة من الزمان، نحن والإخوان، فأخرج لنا من كتبه أشياء كثيرة، اطلعنا عليها، فاستصحبنا من ذلك شرحاً وجدناه عنده للشيخ عبد الرؤوف المناوي شارح الجامع الصغير للسيوطي على قصيدة الرئيس ابن سينا في الروح، وكتاباً آخر في صناعة الموسيقى^(٦)" لكون الموسيقى تساعد المتصوفة في عملهم كالتأذين والإنشاد وإحياء مجالس الذكر الصوفية.

وحضر النابلسي أثناء إقامته في مصر مجالس والي مصر العثماني علي باشا خازن دار^(٧) آنذاك، التي تقام كل سبت عند بكرة النهار، وكان يذهب إلى هذا المجلس مع صديقه زين العابدين البكري (ت ١٠١٣هـ/١٦٠٤م) "بقصد المندامة والملاطفة والاستخبار"^(٨) إلى جانب التباحث في مسائل علمية وفقهية "وما يليق بمجالس الدولة العلية في الأمور الجالبة للمنافع الدينية والدنيوية مع صادق النصيحة والملاطفة بكل عبارة فصيحة"^(٩) وهذا دليل على المكانة الرفيعة التي حظي بها النابلسي في مصر.

(١)- لم أعثر له على ترجمة.

(٢)- لم أعثر له على ترجمة.

(٣)- لم أعثر له على ترجمة.

(٤)- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٥٣-٢٦١.

(٥)- لم أعثر له على ترجمة.

(٦)- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢١٨.

(٧)- علي باشا خازن دار: والي عثماني، حكم مصر بين العامين ١١٠١-١١٠٥هـ/١٦٩١-١٦٩٥م.

Somel: **The A to Z**, p.p 203.

(٨)- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨١.

(٩)- النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٨١.

وعند ذهاب النابلسي إلى الأزهر الشريف اجتمع بعلمائه ومدرسيه وحضر بعض دروسهم، ثم طلبوا منه أن يعطيهم درساً عاماً في "الحديث أو في شرح العقائد" لمؤلفه سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)^(١) واجتمع حوله طلبة الأزهر راجين منه ذلك إلا أنه اعتذر لكونه منشغلاً "بزيارة الصالحين والتبرك بمقاماتهم ولا فراغ له إلى المطالعة وحبس النفس في تقرير العلوم الظاهرية"^(٢) وذلك لاعتقاده بأن الانشغال بهذه الدروس ينقص عليه ممارسته "العلوم الحقائق"^(٣) ويعكر صفاء روحه^(٤). ثم خرج من الأزهر لاستكمال زيارته للمقامات والأضرحة^(٥).

إن المتتبع لمجالس النابلسي العلمية في مصر يُلاحظ أنه اكتفى أثناء تدوينه للمجالس العلمية التي انضم إليها بذكر القصائد الشعرية المنظمة والمُخمسة التي ألّفها هناك عامةً، والقصائد الخاصة بمدح آل البكري والنابلسي ومصر خاصةً، فضلاً عن أنه اكتفى عند مباحثاته مع كبار العلماء بقوله "وجرت بيننا وبينهم بعض المباحثات العلمية والأدبية"^(٦) دون ذكر التفاصيل التي ناقشوها، باستثناء بعض القضايا التي ذُكرت في الصفحات السابقة، على عكس تدوينه للمباحثات التي جرت بينه وبين بعض العلماء أثناء زيارته مدن بلاد الشام التي أسهب في الحديث عنها، ومثال ذلك ما ذكره أثناء إقامته في مدينة صيدا عندما قال: "دعانا إلى داره مفخر الأكارم صديقنا لطفي جلبي الكاتب يومئذ بمدينة صيدا المحروسة، وحصل لنا كمال السرور بذاته اللطيفة المأنوسة ووجدنا عنده هذا السؤال والجواب المنظومين في سلك

(١) - سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني: من أئمة العربية والبيان والمنطق، وُلِدَ بتقنازان (من بلاد خراسان) وأقام بسرخس، وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند، فتوفي فيها. ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٤، ص ٣٥٠.

(٢) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٢٦.

(٣) - وضع النابلسي الفرق بين العلوم الظاهرية وعلوم الحقائق الربانية أو الباطنية فقال: إن العلوم الظاهرية عند أهل الظاهر تبحث في العبادات الدينية والمالية المركبة منهما كالصلاة والصوم والزكاة والحج، أما علم الحقائق فهو علم تجليات الله تعالى وظهوره بأفعاله، وهو باب الحقيقة، وتجلياته بأسمائه وصفاته، والله تعالى يتولى تعليم السالك وتوقيفه على اصطلاحات علماء هذا الشأن، ولا يحتاج إلى أحد من علمائها. عطا، عبد القادر: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٢٧٤. النابلسي، عبد الغني: الفتح الرباني والفيض الرحماني، وضع حواشيه عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د. ط، ٢٠١٠م، ص ٨٤-٨٥.

(٤) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٢٦.

(٥) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٢٧-٢٥٠.

(٦) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٢٠٢-٢٠٣.

الاقتضاء لذلك والاقتضاب في حق شرب الدخان^(١)، من نظم كمال أفندي أحد العلماء الأعيان عليه الرحمة والرضوان^(٢).

ما قولكم سادتي في بدعةٍ ظهرت

فيا لها بدعةٌ تدعو إلى النارِ

مثل الغمامة في العينين قد نُشرت

وفي أنوف البرايا مثل إصاّر

وقد أكبَّ عليها الناسُ واشتهرت

بعد الخفاء بغليونٍ كمزمارِ

جوابُ ما قلته عن حالها كُثرت

فيه الأحاديث من أقوال أخيار^(٣).

يتبين من خلال رحلة النابلسي أنَّ الهدف الأساس منها: الاقتداء بكبار المتصوفة السابقين الذين قاموا برحلات صوفية، إلى جانب "زيارة الصالحين من الأحياء والأموات"^(٤) لذلك لم يترك مزاراً في طريقه إلا وزاره ودون ترجمة لصاحبه، كما كانت زيارته للتعرف على المشاهد الدينية والأثرية في مصر؛ وللتعرف على كبار علمائها ومجالستهم والتباحث معهم، لذا تعدُّ رحلته إلى مصر من أشهر مصادر القرن السابع عشر لما تضمنته من معلومات سياسية واجتماعية وعمرانية، إضافة إلى وصفه طريق السفر الذي كان يسلكه المسافرون في تلك المرحلة.

(١) - اكتشفت نبتة التبغ كما تذكر المصادر في العام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م في العالم الجديد، ومنه انتشرت هذه النبتة ووصلت زراعتها إلى أوروبا في العام ٩٥٦هـ/١٥٥٠م وكان أول ظهور في العالم الإسلامي في المغرب الأقصى في مستهل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، ومن المغرب انتشر الدخان في المشرق العربي حيث خُصصت له منابت ومزارع خاصة في الشام، وبشكل خاص في اللاذقية وجبله، وأقدم من تحدث عن اهتمام أهل هاتين البلدتين بزراعة التبغ هو العارف المتصوف عبد الغني النابلسي. وقد أولى موضوع شرب الدخان أهمية خاصة بسبب إثارة شرب الناس له الجدل بين الفقهاء فحلله بعضهم وحرمه البعض الآخر، فوضع النابلسي إثر ذلك مصنف حلل من خلاله شرب الدخان. للمزيد والتفصيل: النابلسي، عبد الغني: الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان، نشره محمد أحمد دهمان، المكتبة السلفية، دمشق، د.ط، ١٣٤٣هـ، ص ٢٦. النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ١٧٧.

(٢) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩٤.

(٣) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٩٤-٩٥.

(٤) - النابلسي: الحقيقة والمجاز، ص ٣.

٢- الرحالة مصطفى البكري الصديقي (١٠٩٩-١١٦٢هـ/١٦٨٨-١٧٤٨م):

هو مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر البكري الصديقي الحنفي مذهباً الشهير بالقطب البكري، "تنتهي سلسلة نسبه من جهة أبيه إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ، أما من جهة والدته، فيرجع نسبه إلى علي بن أبي طالب ﷺ، فهو بذلك ينتمي إلى عائلة ثرية^(١)" كانت لها مكانة مرموقة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجري/ السابع عشر والثامن عشر الميلادي^(٢).

أ- مولده ونشأته:

وُلد البكري الصديقي في دمشق في العام ١٠٩٩هـ / ١٦٨٨م، وتُوفى والده وهو صغير لم يتجاوز ستة الأشهر من عمره، فكفله ابن عمه الشيخ أحمد كمال الدين بن علي بن كمال الدين الصديقي (ت ١١١٧هـ / ١٧٠٦م)^(٣)، وعاش صباه في بيت عائلة البكري القريب من البيمارستان النوري^(٤) بدمشق، فنشأ فيها نشأة علمية، إذ واطب على مجالس العلم وحلقات العلماء، وأخذ عن كبار علماء دمشق: الفقه، والحديث، والقراءات، واللغة العربية^(٥)، وحين بلغ السادسة عشرة من عمره وجد نفسه ميالاً إلى التصوف، فأخذ الخلوتية عن الشيخ عبد اللطيف الحلبي الخلوتي (ت ١١٢١هـ / ١٧١٠م)^(٦)، وقد قال الجبرتي في ذلك: "نشأ على أكرم الأخلاق وأكملها، رباه شيخه عبد اللطيف الحلبي، وغذاه بلبان أهل المعرفة والتحقيق، ففاق ذلك الفرع الأصل، وظهرت به في أفق الوجود فبرع فهماً وعلماً^(٧)" وما لبث أن حظي بشهرة واسعة لتواضعه وسعة علمه وفقهه^(٨)، وقد وصفه

(١)- شيلشر: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ص ١٨٩-١٩٣.

(٢)- البكري الصديقي: إتحاف الصديق، ص ٩٤-٩٥.

(٣)- أحمد بن كمال الدين بن محيي الدين بن عبد القادر بن حسن بن بدر الدين البكري الصديقي: تولى التدريس في مدارس عدة ببلاد الشام ودار السلطنة. مولده في دمشق ووفاته في مصر. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٤٩-١٥٢.

(٤)- البيمارستان النوري: يقع في محلة الحريقة جنوب غرب الجامع الأموي بدمشق، بناه نور الدين زنكي ٥٤٩هـ / ١١٥٤م، وخصصه لمعالجة الفقراء والمساكين، ثم تحول إلى أشهر المشافي ومدارس الطب في البلاد الإسلامية. كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ١٤٦.

(٥)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٠١.

(٦)- عبد اللطيف بن حسام الدين الخلوتي: وُلد ونشأ في حلب، ثم خرج منها، وسافر وطاف في مصر، ثم انتقل إلى دمشق، وأقام فيها، واشتهر وساد إلى أن توفى فيها، ودُفن بترية مرج الدحاح. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ٤٥١.

(٧)- الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ٤٢٦.

(٨)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٠١.

تلميذ هذه الشـيخ مصـطفى اللقيمي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م) قـائلاً:
"فإنَّ أستاذنا المذكور قدس الله سره الشريف بمظهر من الجمال في أرفع محل منيف، مع لطف
بلغ غاية الكمال، وحسن خلق وفضل وأفضال، فهو النجم إذا هوى، إنه لجميع المحاسن قد حوى،
وهو الذي يقتدي به المقتدون، وبسمته يهتدي المهتدون"^(١).

وقد عُرف الصديقي بكثرة رحلاته وطوافه في الأمصار والبلدان، فكان لا يكاد يستقر به المقام
في بلد حتى يغادره إلى آخر، وألف وصنّف خلال مدة رحلاته أكثر من مئتي مصنف، منها: ستون
مصنفاً أحزاباً وأوراداً، واثننا عشرة مقامة، وسبعة دواوين شعرية، واثننا عشرة رحلة^(٢)، أما المتتبع
لرحلاته، فيلاحظ أنَّ عددها أربع عشرة رحلة شملت العديد من المدن والقرى في: بلاد الشام ومصر
والعراق وبلاد الروم^(٣).

ب- رحلة الصديقي إلى مصر:

عزم الصديقي على زيارة مصر، فسار من موطنه دمشق إلى الخليل، فأقام فيها أياماً، وجاءه
فيها الشيخ المُكنى بأبي جاعد^(٤)، فسأله الصديقي "بالإشارة عن التوجه إلى مصر، فأشار -أبو
جاعد- بيده نحو السماء مشيراً بأنَّ الله أعلم، ثم أخبر رجل صالح الصديقي أنه رأى في المنام
سيدي إسحق^(٥)، وقال له: "ل فلان أن يرجع إلى وطنه، فعدل الصديقي عن السفر"^(٦).

(١)- اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ١٠٣.

(٢)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٩٧.

(٣)- ترك البكري الصديقي حوالي ثلاث عشرة رحلة، وهي: الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، النحلة النصرية بالرحلة
المصرية، تفريق الهموم وتفريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم، الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية، الحلة
الفانية رسوم الهموم والغموم في الرحلة الثانية إلى بلاد الروم، الخطرات الثانية الأنسية للرحلة الدانية القدسية،
كشف الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الفيض الجليل في أراضي الخليل، براء
الأسقام في زيارة برزة والمقام، رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان، لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي
حسن الراعي وولده عبد العال، الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية، الحلة الرضوانية الدانية في
الرحلة الحجازية الثانية، حلة الأردن في الرحلة إلى جبل لبنان. البكري الصديقي: إتحاف الصديق، ص ١١٥-١١٦.

(٤)- لم أعثر له على ترجمة.

(٥)- لم أعثر له على ترجمة.

(٦)- البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٥٩.

فذهب الصديقي إلى القدس، وأقام فيها إلى أن مضى شهر رمضان، وفي شوال وصلته أنباء عن زيارة الحاج رجب باشا^(١) وزير الديار المصرية للأراضي المقدسية والخليلية، وعند وصول ركاب الوزير إلى نابلس سار الشيخ لاستقباله مع الشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م)، ثم اصطحبا الوزير لزيارة الخليل والمشاهد الدينية والأثرية، ثم عزموا على شد رحالهم للتوجه إلى مصر^(٢) وأثناء ذلك بدأ بكتابة رحلته إليها، وسماها: "النحلة النصرية في الرحلة المصرية"، ولما دخل القاهرة مع شيخه محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م)، رأى مدينة تتجمل بالمباني الفاخرة العريقة، ورأى فيها أشياء كثيرة، لم يرها في غيرها من الولايات الشهيرة، فتحقق أنها ولاية جمعت محاسن مميزة ضاهت غيرها من الولايات العثمانية، "ولم يقل كما قال البعض: إنها قرية كبيرة، بل قال كما قال الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م) عنها: كنت أظن أن مصر في الدنيا، فرأيت الدنيا في مصر"^(٣).

وشرع الصديقي فور وصوله إلى القاهرة زيارة الأضرحة والمقامات فيها، فزار بداية أمره: نفيسة بنت الحسن (ت ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م)، ثم توجه لزيارة مقام الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م)، وعطف بعد ذلك على زيارة شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦هـ/ ١٥٢٠م)، ثم مقامات أقربائه، ثم زار الليث بن سعد (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م)، وزار بعد ذلك جملة صالحة من سكان القرافة لا يمكن عددهم، ثم عكف على زيارة الشيخ عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)^(٤)، وتوجه بعد ذلك مع الشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/ ١٧٣٤م) لزيارة مقامات قرية مليج (التابعة لإقليم المنوفية)، والتقى أثناء ذلك بالشيخ محمد البديري (ت ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م)^(٥) فرافقهم في طريقهم إلى دمياط^(٦).

وعند وصوله إلى دمياط نزل في خلوة البديري^(٧)، ثم استضافه عنده الشيخ أحمد الإسقاطي

-
- (١) - رجب باشا: أحد الولاة العثمانيين بمصر. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٩٢-١٩٣.
- (٢) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٦٠.
- (٣) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٦٢.
- (٤) - أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن زرقا بن موسى الشافعي المصري المعروف بالشعراني، محدث فقيه صوفي. الباباني: هدية العارفين، ج ١، ص ٦٤١-٦٤٢.
- (٥) - محمد بن محمد بن أحمد البديري الحسيني، الدمياطي الأشعري الشافعي، أبو حامد: فاضل، عارف بالحديث، يقال له: ابن الميت، والبرهان الشامي ولد في دمياط، وتلقى تعليمه فيها حتى نبغ وبرع، ثم ارتحل إلى دمشق وأفاد فيها، وتوفي في موطنه دمياط، وله مصنفات كثيرة. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٧٠.
- (٦) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٦٠-١٧٣.
- (٧) - أسس هذه الخلوة الشيخ محمد بن محمد البديري الدمياطي المعروف بابن الميت (ت ١١٤٠هـ/ ١٧٢٨م)، في جامع البحر الذي يقع على الضفة الشرقية لنهر النيل في مدينة دمياط، وخُصصت لإقامة الذكر والأدعية والأوراد الخاصة بالطريقة الخلوتية، إلى جانب تدريس العلوم الشرعية فيها. البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٢. المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٢٠٢.

(ت ١١٥٩هـ/١٧٤٦م)^(١)، وأوقفه على بعض الحواشي، وجاءه بعض المشايخ برسالة للعلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، فنظمها في مئة بيت، وسمّاها: "البسط التام في نظم رسالة السيوطي الهمام"، ثم أوقفه شيخه البديري على قصيدة امتدحه بها الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، وطلب منه أن يكتب على منوالها ففعل، ثم اجتمع بكبار علماء مصر الأجلاء ومشايخها وطلّابها، وشرح لهم تعاليم الطريقة الخلوتية، فجمع بذلك تابعين كثر للخلوتية في مصر، ثم انصرف عائداً إلى وطنه لمتابعة رحلاته إلى بلاد الروم وحلب والعراق^(٢).

ج- نشاط الصديقي العلمي في مصر:

كان لشهرة البكري الصديقي التي فاقت الولايات العربية أثر كبير في وفود العلماء والمشايخ والمتصوفة إليه، للتباحث معه حول مسائل علمية وفقهية إلى جانب وقفهم له على بعض المخطوطات المتوفرة عندهم مثل الشيخ أحمد الإسقاطي (ت ١١٥٩هـ/١٧٤٦م)^(٣)، الذي أوقف الصديقي أثناء إقامته في دمياط على بعض الحواشي، كما أوقف بعض المشايخ للصديقي رسالة للعلامة جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)، فنظمها في مئة بيت، وسمّاها: "البسط التام في نظم رسالة السيوطي الهمام"، ثم أوقفه شيخه البديري (ت ١١٤٠هـ/١٧٢٨م) على قصيدة امتدحه بها الشيخ عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣٠م)، وطلب منه أن يكتب على منوالها، ففعل^(٤). وأثناء إقامة الصديقي في مصر اجتمع بكبار علماء مصر الأجلاء ومشايخها وطلّابها، وشرح لهم تعاليم الطريقة الخلوتية، فجمع بذلك تابعين كثر للخلوتية في مصر^(٥).

وعلى الرغم من شهرة الصديقي في مصر وتقرب علمائها منه ووقفهم ما لديهم من مؤلفات له، إلا أنه عزم على أخذ الإجازات العلمية منهم، إذ طلب من شيخه محمد بن أحمد البديري (ت ١١٤٠هـ/١٧٢٨م) إجازة عامة، فأجازه "بجميع ما تضمنه الجوهر العوالي في الأسانيد العوالي،

(١)- أحمد بن عمر الإسقاطي المصري الحنفي أبو السعود، نحوي، مقرئ، فقيه، مشارك في بعض العلوم، له مصنفات وشروحات كثيرة، من أشهرها: تنوير الحالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٤٩.

(٢)- البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٢.

(٣)- أحمد بن عمر الإسقاطي المصري الحنفي أبو السعود، نحوي، مقرئ، فقيه، مشارك في بعض العلوم، له مصنفات وشروحات كثيرة، من أشهرها: تنوير الحالك على منهج السالك إلى ألفية ابن مالك. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٤٩.

(٤)- البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٢.

(٥)- البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٤-٢٠٩.

وبجميع ما يحل لي وعني رواية ودراية وبما ينسب إلي من التصنيفات^(١)، ثم طلب من شيخه أحمد الإسقاطي (ت ١١٥٩هـ/١٧٤٦م) الإجازة بمروياته فأجازه، وبالمقابل طلب منه الإسقاطي أن يقابلها، فقال الصديقي: "فتوقفت؛ لأنني لست من أهلها، فما أمكن إلا أن نجيب لفرط حب وتواضع حبيب^(٢)"، ويوضح هذا التبادل مدى المكانة العالية التي كانت للصديقي عندهم، وبالمقابل يدل على تواضع البكري الصديقي واحترامه لعلماء مصر.

والجدير بالذكر أن علاقة الصديقي مع متصوفة وعلماء مصر كانت قائمة ومستمرة منذ إقامته في فلسطين، إذ استشار الشيخ عبد الوهاب الشعراني حول طريقة ارتقاء المتصوف من مقام إلى مقام أعلى، فوردته رسالة من الشعراني ذكر فيها: "... أن أحد مشايخ فقرا هذه البلاد سبقنا لأجل القرا وتحصيل الزاد ومعه المظاهر والأعلام بقصد الشهرة والإعلام. وبات مني ناحية ونحن في أخرى. وجاء في الصباح يسألنا عن أحوال السكون عنا أخرى. فأخذ الأخ السيد محمد الأجد يذكر لي عن كيفية إرشاده... فقال طريقته إذا جاء فقيراً وأخذوا عليه العهد الخطير يقول له النقيب اجلس مريداً وقم نقيباً فيفعل، ثم يقول له اجلس شيخاً وقم خليفة فيفعل، ثم يدقون الطبول على رأسه ويقرون له الفاتحة ويخبره الشيخ بالإرشاد والدعوة لرب العباد، فهل لهذا الفعل من سند معتمد عن تقدم من أهل المدد... فكان رد الشيخ الشعراني ما معناه... أن الحامل للأعلام والطبول إذا لم يدرس وضعها ومأخذها في الأصول وسر هذه الخرق الموروثة كامل شامل الخرق لا يجوز له حملها ولا لبسها ولا إلباسها وشروط الإرشاد شروط كثيرة...^(٣)".

ومن خلال الاطلاع على رحلة الصديقي إلى مصر يتبين أنّ الهدف الأساس منها كان نشر الطريقة الخلوتية التي أضحت من أوسع الطرق الصوفية انتشاراً وأكثرها اتباعاً، وهذا ما أكدّه الحسيني عندما قال في ترجمة البكري: "أشهر طريق الخلوتية حتى أخذ عنه ألوف، واهتدى بهديه خلق كثير^(٤)"، كما كان لرحلته إلى مصر هدف آخر وهو: زيارة الأماكن المقدسة، والمشاهد الدينية، ومقامات الصحابة والتابعين وآل البيت، وكبار رجال الدين والعلم والتبرك بهم: "وذلك تمثلاً بكبار المتصوفة الذين أتموا معرفة السياحة في تجربتهم الصوفية وأصبحوا مثلاً يُحتذى به لمن تبعهم

(١) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ١٩٧.

(٢) - البكري الصديقي: مجموع رحلات البكري، ق ٢٠٥.

(٣) - البكري الصديقي، مصطفى: الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، مخطوط محفوظ في مكتبة الأسد

بدمشق (٤٢ق)، رقم (٦٠٦٠٩)، ق ٢٧. خيربك، بشرى: دراسة رحلة الخمرة الحسية في الرحلة القدسية

للشيخ مصطفى البكري الصديقي ١٠٩٩-١١٦٢هـ/١٦٨٨-١٧٤٩م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية،

دمشق، المجلد ٣٤، العدد الثاني، ٢٠١٨م، ص ١٥٠.

(٤) - الحسيني: تراجم أهل القدس، ص ١٥٩.

من المتصوفة^(١) وتعدُّ هذه الزيارات بمثابة محج لرجال الطرق الصوفية، وقد ازدادت هذه الزيارات بكثرة في القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي.

٣- الرحالة مصطفى أسعد اللقيمي (١١٠٥-١١٧٨هـ/ ١٦٩٣-١٧٦٤م):

هو الشيخ مصطفى بن أحمد بن محمد بن سلامة بن محمد بن سلامة بن علي بن صلاح الدين، المعروف بمصطفى أسعد اللقيمي نسبة إلى لقيم (من قرى الطائف)، ثم الدمشقي، وله نسبة إلى سيدنا سعد بن عبادة الخزرجي^(٢).

أ- مولده ونشأته:

وُلد الشيخ مصطفى في دمياط في العام ١١٠٥هـ/ ١٦٩٣م^(٣) ونشأ في بيت أدب وعلم، وهو من أسرة اشتهرت بالأدب والشعر، وقد قال الجبرتي عن اللقيمي وإخوته: "وكلهم شعراء بلغاء"^(٤). وأخذ العلم على يد كبار علماء عصره في دمياط والقاهرة، واستجاز منهم وعمته نفحاتهم^(٥)، أشهرهم الشيخ محمد الدمياطي الشهير بالبدر وابن الميت (ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م)^(٦)؛ ونظراً لأنَّ اللقيمي من أتباع الطريقة الخلوتية، فقد قام برحلات إلى بلاد الشام، ودونها أثناء زيارته، ومن هذه الرحلات: "موانح الأنس برحلتني لوادي القدس، ولطائف الأنس برحلتني لوادي القدس، والحلة المعلمة البهيجة بالرحلة المقدسية المهيجة"^(٧).

ب- رحلة اللقيمي إلى بلاد الشام:

ذكر مصطفى اللقيمي في رحلته "موانح الأنس برحلتني لوادي القدس" أنه انطلق من مسقط رأسه دمياط في العام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م بحراً إلى فلسطين، بعد أن ودَّع أقرباءه وأصدقاءه ومشايخه، ورجال الطرق الصوفية، وكان دافع زيارته الحنين لزيارة المسجد الأقصى والصلاة في محرابه، وتحت

(١)- خيربك: دراسة رحلة الخمرة الحسية، ص ١٤٧.

(٢)- الحسيني: تراجم أهل القدس، ص ١٤٥-١٤٦. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٦٦.

(٣)- الباباني: هدية العارفين، ج ٢، ص ٤٥١. الحسيني: تراجم أهل القدس، ص ١٤٥-١٤٦. اللقيمي: لطائف أنس

الجليل، ص ٧. المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٤-١٦٦.

(٤)- الجبرتي: عجائب الآثار، ج ١، ص ٣٠٥.

(٥)- المرادي: سلك الدرر، ج ٤، ص ١٥٥.

(٦)- المرادي: سلك الدرر، ج ٢، ص ٧٠.

(٧)- اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٧-٨. اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ١٩.

قبا، وفي ظل مآذنه، وقد قال اللقيمي في ذلك: "فمن وفد إليه وافته السعادة، ونشرت عليه ألوية السيادة"^(١).

وقد زار اللقيمي في طريقه من دمياط إلى بيت المقدس الكثير من المدن والقرى الفلسطينية، وكانت مدينة رفح (أقصى جنوب غزة) أول مدينة فلسطينية زارها، ثم شرع بزيارة القرى والمدن المحيطة بها، فزار العشرات منها، ثم باشر بزيارة المقامات والأضرحة والمشاهد الدينية، فزار من مقامات الأنبياء إدريس وصالح وإبراهيم ويعقوب ولوط ويونس وعيسى وداود وموسى وذو الكفل وشعيب ويحيى وهود عليهم السلام جميعاً، وتوجه إلى عدد كبير من مقامات الصحابة رضوان الله عليهم^(٢).

إلا أن اللقيمي لم يحظَ أثناء وجوده في بلاد الشام بنفس الحفاوة والترحيب اللتين استقبل بهما النابلسي (ت ١١٢٦هـ/١٧١٤م) والبكري الصديقي (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٥م)، "فهو ليس بشيخ طريقة كالصديقي، ولا قطب صوفي كالنابلسي، إنما يريد في سلك الطريقة الخلوتية، أضف إلى ذلك أنه لم يكن ملتزماً بقافلة معينة تحد من حركته وتنقلاته وهذا ما جعله حراً في ذهابه وإيابه"^(٣).

ج- نشاط اللقيمي العلمي في بلاد الشام:

التقى اللقيمي أثناء إقامته في فلسطين بعدد كبير من علمائها ومشايخها وفقهائها، وأول من التقى بهم شيخه مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٥٢هـ/١٧٣٩م) الذي أخذ عنه الطريقة الصوفية الخلوتية^(٤)، فقال عنه: "فاق بحسن سيرته النجوم الزواهر، وبجميل طلعه البدور النواضر، الراسخ في العلم الإلهي، المكاشف عن أسرار الحقائق كما هي، أستاذ كل أستاذ وملاذ كل ملاذ"^(٥)، ثم التقى بالشيخ محمد الخليلي (ت ١١٤٧هـ/١٧٣٤م)، فقال عنه: "رأيت الأنوار منه تلوح، وروائح

(١) - اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ١٢٦-١٣٠.

(٢) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٥٨-٢٠٠.

(٣) - خير بك، بشرى: فلسطين من خلال كتابات بعض الرحالة العرب من أواخر القرن السادس عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر دراسة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعمرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم رافق، جامعة دمشق، ١٩٩٠م، ص ١٧٣.

(٤) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ١٧٦.

(٥) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٤.

الأنس حول حماه تلوح^(١)، والتقى أيضاً ببعض علماء المسجد الأقصى وخطبائه كالشيخ أحمد المؤقت (ت ١١٨٦هـ / ١٧٧٣م)^(٢) وتباحث معهم حول تاريخ القدس^(٣).

وتوجه بعد ذلك إلى دمشق، وأخذ عن علماء الجامع الأموي، منهم الشيخ إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) واستجاز منهم، كما ذكر سابقاً، ثم زار مقاماتها وأضرحتها، ومن ثم توجه إلى بيروت، فزار فيها بعض المشاهد الدينية والأثرية، وبعد انتهاء زيارته ركب السفينة وعاد إلى موطنه دمياط، وبعد مدة وجيزة انتقل إلى دمشق واستقر به المطاف فيها، فبقي هناك حتى وافاه أجله ودفن فيها، ويبدو أن الشيخ اللقيمي أعجبه بلاد الشام لما رآه فيها من مشاهد وآثار ومقامات، وأحب الاستقرار فيها، وهذا ما دفعه إلى العودة إليها من جديد^(٤).

ومما سبق يمكن القول إن رحلة مصطفى اللقيمي إلى بلاد الشام لم تكن بنفس أهمية رحلة عبد الغني النابلسي (ت ١١٢٦هـ / ١٧١٤م) ومصطفى البكري الصديقي (ت ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م)، لأن اللقيمي كان في بداية سلك الطريقة مريداً، وتجربته الصوفية لا تقاس بتجربة كل من الصديقي الذي كان شيخ الطريقة الخلوتية وشهرته ملأت الآفاق، أو النابلسي الذي كان أحد أهم أقطاب التصوف في العالم الإسلامي، ولكن ذلك لا يمنع من القول إن رحلة اللقيمي كمريد لها فائدة كبيرة فيما يتعلق بالطريق الذي يسلكه من يريد سلوك الطريقة الخلوتية، إلى جانب التعريف بجغرافية المناطق التي زارها فضلاً عن التعريف بالمشاهد الدينية والأثرية آنذاك ومعلومات أخرى مهمة وردت في الرحلة.

ثالثاً: حركة القسيسين العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

لم يكن للمسيحيين في البلدان العربية بشكل عام ومنها بلاد الشام ومصر وضع تعليمي متميز، بل كان التعليم لديهم كالتعليم عند المسلمين تقليدياً يهتم بالدرجة الأولى بالعلوم الدينية، إلى جانب تخصص البعض بالعلوم الدنيوية، ولم يكتفِ البعض من هؤلاء بما حصلوه في ولايتهم فسعوا للارتحال والانتقال إلى الولايات المجاورة لطلب العلم إلى جانب سعيهم لتولي بعض المناصب الدينية

(١) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٥.

(٢) - أحمد بن محمد بن يحيى الشهير بالموقت القدسي المولد الغزي الأصل المالكي ثم الحنفي العلامة المحدث كان له التطلع من العلوم سيما في علم الميقات، قرأ على أيدي علماء عصره؛ حتى أجازه، فتصدّر للتدريس في المسجد الأقصى، وأفاد عدداً لا يحصى، ثم جمع بين إمامة الصخرة وإمامة المالكية، وانتفع به خلق كثير حتى وفاته. المرادي: سلك الدرر، ج ١، ص ١٧٥.

(٣) - اللقيمي: تهذيب موانح الأنس، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٤) - اللقيمي: لطائف أنس الجليل، ص ٢٠-٢١.

والعلمية، فضلاً عن الاشتغال بالأعمال التجارية والصناعية، أو لخدمة أبناء طائفتهم، أو للحج وزيارة الأماكن المقدسة^(١).

١ - حركة انتقال القسيسين العلمية من بلاد الشام إلى مصر:

لم تكن العلاقات العلمية بين مسيحيي مصر وبلاد الشام وليدة العصر العثماني فحسب، بل كانت امتداداً لعلاقات استمرت منذ القدم بين مصر وبلاد الشام -كما المسلمين-، على الرغم من أنها لم تسر على وتيرة واحدة، بل تراوحت بين قرن وآخر؛ وذلك تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرّت فيها كل من الولايتين.

فقد شهدت مصر في القرن السابع عشر انتقال عددٍ من القسيسين والآباء الشوام، لكن بأعداد ضئيلة جداً، وهذا ما أكّده الخوري بولس قرألي (ت ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)^(٢) الذي ذكر: "تكلل يوسف الماروني"^(٣) في ٢ تشرين الأول/أكتوبر في العام ١٠٥٢هـ/١٦٤٣م بحضور كل الموارنة^(٤)، ولقّلة عددهم حضروا جميعهم عرس يوسف الماروني^(٥). وعندما زار الأب يوحنا كويبة الفرنسي الشرق وزار مصر ١٠٤٧-١٠٤٨هـ/١٦٣٨-١٦٣٩م رأى فيها البطررك الماروني جرجس عميرة (ت ١٠٥٤هـ/١٦٤٤م)^(٦) يزور أبناء طائفته من الموارنة، وقال: "زرت بطرك الموارنة الذي وصل إلى القاهرة إذ كنت فيها، وتوجد في مصر قرى عدة، يقطن فيها الموارنة، فضلاً عن القاهرة، وجاء البطررك من بلاده لزيارتهم"^(٧).

(1)- Hajjar, Joseph: *Le christianisme en Orient*, Librairie du Liban, Beyrouth, 1971, p.VIII.

(٢)- الخوري بولس بابلو قرألي: مؤرخ لبناني ماروني، أنشأ (المجلة السورية) في العام ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م، وسماها بعد ست سنوات (المجلة البطريركية)، وله مصنفات كثيرة، أشهرها: "السوريون في مصر" و"حروب إبراهيم باشا المصري في سورية والأناضول". الزركلي: الأعلام، ج ٢، ص ٧٨.

(٣)- لم أعثر له على ترجمة.

(٤)- بولس قرألي: السوريون في مصر، ج ١، ص ٩٦.

(٥)- بولس قرألي: السوريون في مصر، ج ١، ص ٩٦.

(٦)- جرجس عميرة: أحد كبار الموارنة، ولد ونشأ في اهدن (بلدة جبلية لبنانية)، وقد أكمل تحصيله العلمي في المعهد الماروني في أوروبا حتى عُين سفيراً للأمير فخر الدين المعني الثاني (ت ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) في أوروبا، ثم أصبح أحد بطاركة الموارنة في لبنان. زعيتز، محمد: المشروع الماروني في لبنان جذوره وتطورات، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م، ص ١١٧.

(٧)- مجموعة مؤلفين: اليوبيل القرن الثاني للرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل ١٨٤٧-١٩٤٧م، د. ن، القاهرة، د. ط، ١٩٤٥م، ص ٨.

وفي بداية القرن الثامن عشر ازدادت هجرة الشوام إلى مصر؛ بسبب الاضطرابات التي شهدتها بلاد الشام في ظل الحكم العثماني وازدياد طغيان باشواتها، الذي أثر بدوره في الطوائف المسيحية هناك، هذا فضلاً عن اشتداد الاضطهادات الدينية التي عانى منها الكاثوليك عامة والموارنة خاصة، والتي اشتدت في بلاد الشام وخاصة في مدينتي دمشق وحلب^(١).

وقد انتهاز العثمانيون هذه الفرصة لاضطهاد المسيحيين من المذهبين الكاثوليك والارثوذكسي، مما جعل عدداً ليس بقليل من القسيسين والآباء وبعض العائلات الشوام الكاثوليك ينزحون إلى مصر في القرن الثامن عشر، وقد استقر القسم الأكبر منهم في القاهرة، واتجه البعض منهم إلى دمياط والإسكندرية، وحققوا في هذه المدن نجاحاً باهراً في الأنشطة التجارية والصناعية، فوصلت أخبار هذا النجاح إلى إخوانهم في بلاد الشام، فتوالت الهجرات وتتابع، وكان الشوام الكاثوليك يؤلفون القسم الأكبر من هؤلاء النازحين^(٢).

ونتيجة لازدياد عدد المسيحيين الشوام في مصر، فقد طلبوا من الرهبانية الحلبية^(٣) أن ترسل لهم بعض رجال الدين ليتولوا رعايتهم الروحية، فاستجابت لهم وأرسلت في العام ١١٥٧هـ/١٧٤٥م القس موسى هيلانة الشامي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)^(٤) وعند وصوله إلى دمياط استقبل بمظاهر الإجلال

(١) - ساعد الأمير فخر الدين المعني الثاني (ت ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م) الإرساليات التبشيرية الكاثوليكية على النزول في بلاد الشام، فلجأ فريق من القسيسين والآباء المسيحيين إلى قناصل الدول الأوروبية واعتنقوا المذهب الكاثوليك؛ طمعاً في الحصول على المساعدة المادية من دولهم، مما أدى إلى ازدياد الاضطرابات بينهم وبين الأرثوذكس. بولس قرألي: السوربون في مصر، ج ١، ص ٨٢.

(٢) - بولس قرألي: السوربون في مصر، ج ١، ص ٨٢-٨٣.

(٣) - الرهبانية الحلبية: أسست هذه الرهبانية في نهاية القرن السابع عشر على يد ثلاثة شبان، وهم: جبرائيل حوا، وعبد الله قراعلي، ويوسف البتن. الذين قدموا جميعهم من حلب إلى الوادي المقدس في قنوبين في لبنان الشمالي، حيث كان مركز بطاركة الموارنة، وفي العام ١٠٧٤هـ/١٦٩٥م لحق بهم ابن مدينتهم جبرائيل فرحات، وقابلوا البطريرك إسطفان الدويهي، وقدم لهم المساعدة بالتعرف على الحياة الرهبانية، بعد ذلك انتقل المؤسسون إلى دير مار اليشع، وتم إنشاء مدرسة فيه لتعليم الأولاد. وفي السنة التالية باسروا بوضع القانون لتنظيم سائر أعمالهم. وقررت السلطة الرهبانية في قانونها أن يكون لها مجمع عام رهباني يعقد مرة كل ثلاث سنوات، وفي العام ١١٨٣هـ/١٧٧٠م صدر الأمر من الكرسي الرسولي بقسم الرهبنة إلى اثنتين: الرهبنة الحلبية، والرهبنة البلدية، وما يهم البحث الرهبانية المارونية الحلبية: التي أخذت تجدد أديارها ومراكزها ورسالاتها، وزادت عليها حتى أصبح لديها في لبنان وخارجه الكثير من الأديرة، والمدارس، والجامعات. فهد، بطرس: المطران عبد الله قراعلي مؤسس الرهبانية المارونية الحلبية اللبنانية ١٦٩٤ في وادي قاديشا المقدس في عهد البطريرك الماروني العظيم إسطفانوس الدويهي علامة دهره، جامعة الروح القدس الكسليك، لبنان، د. ط، ١٩٩٣م، ص ١١-١٤٧.

(٤) - القس موسى هيلانة الشامي: ولد في دمشق وحصل علومه فيها حتى برع بعدة لغات منها اللاتينية والإيطالية واليونانية فضلاً عن لغتيه العربية والسريانية. خوري، القس بطرس: تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري ١٧٤٥-١٩٢٧، مطبعة يوسف كوى بمصر، القاهرة، د. ط، د.ت، ص ١٥-١٦.

والاعتدال، وياشر بإعداد أحد بيوت الطائفة لإقامة الشعائر الدينية ريثما يتم تجهيز كنيسة لهم، وبعد جهد وعناء طويلين وجد بناية كبيرة تُعرف بـ: "البارجة" من أوقاف الحاج إبراهيم الخفاجي^(١) فاستأجرها منه، وتعهّد بإجراء كافة الإصلاحات اللازمة في البارجة على نفقته الخاصة، وبعد انتهائه من الترميمات قسم المكان إلى: "محلّ لخدمة الجلال الإلهي، ومحلّ آخر لسكناه"^(٢)، لكن حلمه لم يكتمل بتأسيس الرسالة إذ توفي إثر إصابته بداء الرئة في العام ١١٦٠هـ / ١٧٤٨م^(٣).

وعند وصول نبأ وفاته إلى الرهبانية في بلاد الشام، أرسلت القس أنطون أنقره الحلبي^(٤) خلفاً للأب موسى، وزودته بالتعليمات اللازمة، ففضى في البارجة ست سنوات في خدمة الرسالة، إلا أنه عاد إلى لبنان، فخلفه الأب توما رزق الله (ت ١١٦٩هـ / ١٧٥٦م)^(٥) في العام ١١٦٥هـ / ١٧٥٣م لكن مدته لم تطل إذ توفي بعد وصوله، فخلفه القس أنطون بحر الحلبي (ت ١١٩٥هـ / ١٧٨١م)^(٦) في العام ١١٧٢هـ / ١٧٦٠م، وقام بخدمة الرسالة في ثغر دمياط على أكمل وجه، ثم تطلع إلى نشر الرسالة خارج دمياط، فطاف في سبيل ذلك من بلد إلى آخر؛ للالتقاء بأبناء طائفته وتزويدهم بالنصائح الروحية، وبقي على هذه الحال حتى وافاه أجله، وفور وفاته أرسلت الرهبانية الأب رافائيل مسايكي الحلبي^(٧) واستمر في خدمة الرسالة ثلاث سنوات، ثم خلفه الأب بطرس ذكره الحلبي (ت ١٢١١هـ / ١٧٩٧م)^(٨) لخدمة الرعية في ثغر دمياط، إلا أنه نُقل إلى القاهرة في العام ١٢٠٢هـ / ١٧٨٨م وخلفه الأب يوسف السمعاني^(٩) في مهمته^(١٠).

وفي العام ١٢١٠هـ / ١٧٩٦م أصدر والي مصر مراد بك^(١١) أمراً بإغلاق كنيسة البارجة في دمياط، وحرّم على الكاثوليك القيام بشعائهم الدينية، وأمر بحبس القس يوسف السمعاني وعدد من

(١) - لم أعثر له على ترجمة.

(٢) - خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ١٣-١٧.

(٣) - خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ١٣-١٧.

(٤) - لم أعثر له على ترجمة.

(٥) - لم أعثر له على ترجمة.

(٦) - القس أنطون بحر الحلبي: مولده في حلب ووفاته في دمياط. خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ١٣-١٧.

(٧) - لم أعثر له على ترجمة.

(٨) - لم أعثر له على ترجمة.

(٩) - الأب يوسف السمعاني: ولد ونشأ في حصرون بجبل لبنان، وتابع تحصيله العلمي حتى أصبح من كبار مشاهير الرهبانية الحلبية. خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ١٧-٢٢.

(١٠) - خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ١٧-٢٢.

(١١) - مراد بك: والي عثماني، حكم مصر بين العامين ١١٩٨-١٢١٧هـ / ١٧٨٤-١٨٠١م.

الشوام الكاثوليك معه، ووضعهم في السجن مدة عشرة أيام، وطلب منهم أن يدفعوا ثلاثين ألف ريال؛ بحجة أنّ البارجة وقف إسلامي، ولم يصدر فيها فرمان يجيز للمسيحيين إقامة كنيسة فيه^(١).

وقد رفع الأب يوسف السمعاني وأعيان الطوائف المسيحية الكاثوليكية عرائض استرحام إلى السلطان العثماني سليم الثالث (١٢٠٣-١٢٢٢هـ/١٧٨٩-١٨٠٧م)^(٢)، الذي أصدر فرماناً بعدم التعرض لهم ولا لبارجتهم بشيء مغاير للشرع الشريف، وسمح للكاثوليك أن يواصلوا عبادتهم في البارجة حسب عوائدهم السابقة، وطلب من الهيئات الحاكمة إعطاء الكاثوليك تصريحاً لذلك، واستمر الأب يوسف السمعاني في أداء مهمته في البارجة حتى نهاية القرن الثامن عشر، وخلفه عدد من الآباء الشوام لإتمام الرسالة التي أرسلوا لأجلها^(٣).

وفضلاً عن ذلك، فقد عمل بعض مسيحيي بلاد الشام المقيمين في مصر في نهاية القرن الثامن عشر مترجمين أثناء الحملة الفرنسية على مصر في العام ١٢١٣-١٢١٧هـ/١٧٩٨-١٨٠١م؛ "لإجادتهم اللغتين الفرنسية والإيطالية"^(٤) بسبب حاجة الحملة لمترجمين دائمين ينقلون عنها الأوامر، ويترجمون المنشورات، ويكونون وسطاء في نقل الحديث بين الحكام والمحكومين^(٥). وتعقيباً على ما سبق يمكن القول: أن مسيحيي بلاد الشام تمكنوا في مرحلة البحث وخاصة في القرن الثامن عشر من الاستقرار في مصر، وتولي مناصب دينية وعلمية رفيعة؛ بهدف خدمة أبناء طائفتهم هناك، والمحافظة عليهم، ومما ساعد على ذلك أنّ السلطنة سمحت لهم بالانتقال من بلاد الشام إلى مصر دون وضع العراقيل أمام تنقلهم، مثلهم مثل باقي سكان السلطنة.

٢- حركة انتقال القسيسين العلمية من مصر إلى بلاد الشام:

لم يكن للمسيحيين المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر أي شأن علمي يذكر، إذ اقتصر انتقاليهم؛ لزيارة الأماكن المقدسة، وللحج في بيت المقدس، فكانت تلك الزيارة تأخذ شكل القافلة التي تخرج من المطرية (في ضواحي القاهرة)، وتتجه شرقاً؛

(١)- خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ٢٤.

(٢)- أحد سلاطين بني عثمان، تولى عرش السلطنة بعد وفاة عمّه السلطان عبد الحميد الأول (ت ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م) اتجه خلال مدة حكمه للتجديد والإصلاح متأثراً بالغرب، وأمر في سبيل ذلك تأسيس الروح الغربية في البلاد أولاً بتنظيم الجيش بالطريقة التي أرادها، كما أسس جيشاً باسم النظام الجديد، وألبسه الأطقم الأوروبية، وما إن مضت مدة قصيرة حتى اشتعلت نيران الثورات في الأناضول والرومل، حتى اضطر السلطان إلى إلغاء الجيش الذي أسسه، وتنازل عن عرش السلطنة. فريد بك: تاريخ الدولة العلية، ص ٣٦٣-٣٩٢.

Osmanli padisahlari ottoman sultans- osmanische herrscher, p.p 57.

(٣)- خوري: تاريخ الرسالة المارونية، ص ٢٧-٢٨.

(٤)- الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٥٩-١٦٠.

(٥)- الجبرتي: عجائب الآثار، ج ٣، ص ١٥٩-١٦٠.

لتأخذ درب السلطاني (طريق القوافل) عبر سيناء (شمال شرقي مصر) إلى العريش (شمال شرق سيناء)، ثم غزة ومنها إلى الرملة، وأخيراً إلى القدس، ويضاف إلى المؤونة والزاد المصاحبة لقافلة الزيارة إرسال مؤونة أخرى إضافية عن طريق البحر، وتنقل هذه المؤونة من القاهرة إلى ميناء دمياط، حيث تُنقل بالبحر إلى يافا، ومنها تنتقل بالبر إلى القدس^(١).

وكان عريان درب السلطاني (سكان الأرياف) الممتد من مصر إلى غزة يلجأون إلى التمرد أحياناً، كما حدث في مطلع القرن الثامن عشر، وهذا بدوره كان يؤدي إلى قطع الطريق الذي هو بمثابة الطريق الرئيس الذي يسلكه الأقباط في زياراتهم إلى القدس، مما يفرض على الأقباط الذين يتوقون إلى زيارة القدس أن يأخذوا طريق البحر إلى الشام مع سفن التجارة أو يعرجوا إلى الطريق البري الشاق الممتد جنوب سيناء عبر وادي التيه إلى فلسطين^(٢)، وكان يشترط على الحجاج القادمين إلى القدس أن يرافقهم كاهن كي يعلمهم طقوس الحج. وكانوا في أثناء أدائهم مراسم الحج وطقوسه يرتدون الملابس البيضاء؛ إظهاراً للرغبة في التطهر من الذنوب^(٣).

وكان الحجاج الأقباط يأتون إلى القدس لحضور احتفال "سبت النور"، وهو حسب اعتقاد النصارى يمثل اليوم الذي تخرج من القبر المقدس الشعلة المقدسة إلى السماء؛ لذلك يجتمعون لإضاءة شموعهم ورؤية هذه الشعلة، كما يفد الحجاج المصريون إلى القدس قبل عيد الفصح؛ للمشاركة في الاحتفالات والطقوس التي تُقام، وذلك بزيارة القبر المقدس في كنيسة القيامة والكنائس المحيطة بها، مع حضور بعض القداسات الدينية التي يقيمها رؤساء الدين لكل طائفة، ويذهب بعضهم إلى نهر الأردن حيث عمّد النبي عيسى عليه السلام، وبعد الانتهاء منه يعودون إلى مصر تاركين الأعداد الهائلة من قطع الأقمشة ذوات الألوان المختلفة معلقة على الأشجار أو الشبايك في الأماكن المقدسة، وتُقص هذه الأقمشة من ثياب الحجاج ذكرى مجيئهم إلى الأراضي المقدسة^(٤).

وقد حرصت السلطنة العثمانية على توفير الأمن للحجاج المسيحيين في أثناء الاحتفالات الدينية، حيث كان متصرف القدس يتخذ كافة الاحتياطات للحفاظ على الأمن ومنع المنازعات الطائفية، بتوزيع الجنود في كافة أنحاء مدينة القدس وكنيسة القيامة، وقد أثنى رجال الدين على تلك

(١) - عفيفي، محمد: **الوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر**، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية، دار الكتب والوثائق القومية، د. ط، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٥٧.

(٢) - عفيفي: **الوجود القبطي**، ص ٦٧.

(٣) - رودلف، الأمير: **رحلة الأمير رودلف إلى الشرق**، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٦م، ج ٣، ص ٥٢-٥٣.

(٤) - القضاة، أحمد حامد: **نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٣٠٨-٤٢٥.

الجهود، وعند نهاية الاحتفالات يرفع رؤساء طوائف النصارى عرائض الشكر إلى الباب العالي مشيدين بالتدابير والإجراءات الأمنية التي اتخذها متصرف القدس، وأنه لم يحصل ما يعكر صفو الأمن، وشكلت هذه الزيارات وبخاصة الحج مورداً مهماً من موارد الكنائس والأديرة، كما زادت روابط العلاقات بين مصر وبلاد الشام عامة وبين مصر والقدس خاصة^(١).

خامساً: حركة الحاخامات العلمية بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر:

راعى سلاطين بني عثمان تنوع الأديان والطوائف في السلطنة آخذين بالحسبان اتساع الرقعة الجغرافية للأراضي التي تخضع لحكمهم، لذلك لا غرابة أن يتمتع اليهود نتيجة ذلك باستقلال ذاتي في النواحي التشريعية كالزواج والطلاق والنفقة والحقوق المدنية، والنواحي الإدارية كإدارة الممتلكات والتعليم والكنائس، وكان "الحاخام باشي"^(٢) في استانبول يمثل جميع اليهود التابعين له أمام السلطنة العثمانية، وتقع على عاتقه المسؤولية في تحديد الضرائب للطائفة اليهودية، والمصادقة على اختيار حاخامات^(٣) الولايات العربية، ثم توجيه قائمة بأسمائهم إلى السلطان العثماني لإصدار قرار رسمي بالموافقة على تعيينهم أو تعيين أحد آخر مكانهم^(٤)، وقد أدى الحاخامات المقيمين في مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر دوراً كبيراً في توثيق العلاقات العلمية اليهودية بين هاتين الولايتين.

(١) - عبد الجبوري: القدس في العهد العثماني، ج ٢، ص ٣٠١-٣٠٥.

(٢) - الحاخام باشي: مصطلح استخدم في العصر العثماني للزعيم الملي لليهود. المسيري، عبد الوهاب: موسوعة

اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م، مج ٥، ص ١٥١.

(٣) - الحاخام كلمة عبرية معناها "الرجل الحكيم أو العاقل"، وقد كان هذا المصطلح يطلق على جماعة المعلمين الفريسيين "حاخاميم"، ومنها أخذت كلمة حاخام لتدل على المفرد. وقد بقي هذا المصطلح متداولاً في بعض المناطق، وخصوصاً في السلطنة العثمانية، وللحاخام اليهودي وظائف عدة منها تفسير التوراة وتطوير الشريعة الشفوية لكونه فقيهاً ومفتياً، والإشراف على الصلوات في المعبد اليهودي، كما كان يقوم بشرح التوراة في كل من المعبد والبيت همدراش "المدرسة الملحقة بالمعبد"، وإصدار الفتاوى، والإشراف على التعليم الديني، ومراقبة تنفيذ الأوامر والنواهي كقوانين الطعام وإقامة شعائر السبت وغير ذلك. المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج ٥، ص ١٥١، ٢٢٢.

(٤) - ج. شو، ستانفورد: يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة وتقديم وتعليق: الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥م، ص ١٣-١٤.

Parkes, james: History of the jewish people, a pelican book, London, 1962, p.p 150.

١- حركة انتقال الحاخامات العلمية من مصر إلى بلاد الشام:

إن الملاحظ لتراجم اليهود المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر يجد أن انتقالهم تركز بالدرجة الأولى على الاشتغال بالأعمال المالية التي شملت الصرافة، وتقديم القروض ورسوم الجمارك وتحصيل الضرائب، إلى جانب الاشتغال بالأعمال التجارية والصناعية^(١)، بينما وجد عدد لا بأس به من الحاخامات المصريين الذين انتقلوا إلى بلاد الشام بهدف الاشتغال بالمسائل العلمية والدينية الخاصة بأبناء طائفتهم.

ومن بين الحاخامات الذين انتقلوا إلى بلاد الشام في مرحلة البحث الحاخام موردخاي هاليفي (ت ١٠٩٦هـ / ١٦٨٥م)^(٢) الذي كان كبير حاخامات القاهرة، ومسؤولاً عن الشؤون الدينية والعلمية هناك، وكانت له صلة وثيقة مع حاخامات القدس كالحاخام موشيه جالانتى^(٣) والحاخام ديفيد هوكين^(٤)، وقد سافر الحاخام هاليفي إلى القدس في العام ١٠٩٥هـ / ١٦٨٤م للتباحث معهم والأخذ برأيهم، في بعض فتاويه وقضاياه، وكانت قضية إعفاء الطلاب اليهود المتخصصين في دراسة التوراة من الضرائب من بين القضايا التي تباحث بها معهم، وبقي هاليفي في القدس حتى وافاه أجله^(٥).

وفي القرن الثامن عشر اشتهر الحاخام حاييم يوسف ديفيد إزولاوي المصري^(٦) كبير حاخامات القاهرة، الذي توجه إلى القدس على رأس وفد ضخم في العام ١١٧٧هـ / ١٧٦٤م بهدف التباحث مع كبار حاخامات اليهود الفلسطينيين حول بعض المسائل والقضايا الخاصة بالطائفة اليهودية هناك^(٧). واختصاراً لما سبق ذكره يمكن القول إن حركة انتقال الحاخامات المصريين إلى بلاد الشام اقتصرَت على التباحث مع حاخامات فلسطين في المسائل العلمية والدينية.

(١)- حول أعمال اليهود المصريين في بلاد الشام انظر:

Braude, Benjamin: **Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Abridged Edition**, Lynne Rienner, Boulder, 2014, p44-60. Tanyu, Hikmet: Tarih Boyunca Yahudiler ve Türkler, **Elips Kitap, İstanbul, 1976, s.s 75.**

(٢)- لم أعثر له على ترجمة.

(٣)- لم أعثر له على ترجمة.

(٤)- لم أعثر له على ترجمة.

(٥)- هافلين، شلومو زالمان: **النتاج الفكري ليهود مصر**، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تحرير يعقوب لاندان، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، د.ط، ١٩٨٨م، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٦)- لم أعثر له على ترجمة.

(٧)- هافلين: **النتاج الفكري ليهود مصر**، ص ٣٨١.

٢- حركة انتقال الحاخامات العلمية من بلاد الشام إلى مصر:

شهدت مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر هجرة عدد لا بأس به من الحاخامات اليهود الفلسطينيين؛ لتولي المناصب الدينية والعلمية في مصر؛ وذلك بناءً على طلب من رؤساء طائفتهم، ويعد الحاخام بمثابة العمدة والقائد الروحي لأبناء طائفته، كما يعد مسؤولاً عن الأمور الدينية والدنيوية، فقد كان إماماً للصلاة وخبيراً بكافة أوجه القانون الديني، وكان مسؤولاً عن الأحوال الشخصية كالزواج والإرث والوصية، وحل النزاعات بين أبناء طائفته، وكان أيضاً بمثابة رئيس المعلمين لمدارس طائفته، وعلى عاتقه تقع إدارة المدرسة الابتدائية العامة والجامعة التي تضم الطلاب البالغين الذين "يواصلون دراسات عليا تلمودية بجانب دراسة علوم الحساب والفلك والعلوم الطبيعية"^(١).

ومن بين الحاخامات الشوام الذين انتقلوا إلى مصر في هذه المرحلة الحاخام يعقوب بيرف الثاني الذي عمل حاخاماً لطائفة اليهود الصقليين في مصر، كما عمل الحاخام يعقوب كاسترو (ت ١٠٢٠هـ/ ١٦١٢م)^(٢) حاخاماً لطائفة المستعربين في القاهرة، وعمل الحاخام موشيه دموهي^(٣) رئيساً لطائفة اليهود الغربيين، وشغل الحاخام يشوعاه شابابو ديديع^(٤) في العام ١١١٣هـ/ ١٧٠١م منصب حاخام الطائفة اليهودية الصقلية في القاهرة، ثم تولى منصب رئاسة الطائفة، وعمل الحاخام بنيامين هكوهين معلى^(٥) حاخاماً في القاهرة، وشغل الحاخام حايبم أفراهم سورانجه^(٦) خلال منتصف القرن الثامن عشر منصب حاخام القاهرة^(٧). ومن خلال ذلك يمكن القول: أن منصب الحاخام في مصر لم يكن حكراً على اليهود المصريين دون غيرهم، لأن اختيارهم كان يتم بناءً على الكفاءة العالية والخبرة في الشؤون الدينية والدنيوية، وهذا كان عاملاً أساسياً في توثيق علاقة اليهود ببعضهم البعض.

(١) - ج. شو: **يهود الدولة العثمانية**، ص ١٢٠-١٢٦. قاسم، قاسم عبده: **اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى**

الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٠م، ص ١٧-٢٥.

(٢) - لم أعثر له على ترجمة.

(٣) - لم أعثر له على ترجمة.

(٤) - لم أعثر له على ترجمة.

(٥) - لم أعثر له على ترجمة.

(٦) - لم أعثر له على ترجمة.

(٧) - بورنشتاين، ليئه: **الطائفة اليهودية ومؤسساتها**، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تحرير

يعقوب لاندوا، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، د.ط، ١٩٨٨م، ص ١٨٢-٢٠٠.

خامساً: استنتاجات الفصل الرابع:

- شكلت الرحلة في طلب العلم والحصول على إجازات جديدة ورتب علمية جزءاً إضافياً من اهتمامات طلاب العلم والعلماء المصريين والشوام الذين سعوا إلى مثل ذلك، فلم يكتفوا بما حصلوا عليه بل قصدوا الولايات المجاورة وأخذوا عن علمائها ودرسوا في مراكزها العلمية، كما كان الذهاب إلى العاصمة استانبول والملازمة فيها والتدريس في بعض مدارسها شكلاً آخر لإتمام تعريف العالم وتمييزه من المتعلم في بلاد الشام ومصر، والذي ينتهي بالشروع في التدريس بإحدى المدارس أو المساجد بموجب أمر أو براءة سلطانية من استانبول.
- كان لتمييز المدارس في استانبول، وتحقيقها لمستويات عُليا في التدريس غير المتوفر في الولايات العربية الحافز الأول لالتحاق طلاب العلم والعلماء الطموحين بتلك المدارس، وعلاوة على ذلك فقد كانت الأوامر السلطانية المعنية بتعيين المدرسين والقضاة والمفتين... الخ تصدر من دار السلطنة؛ لذلك استقطبت استانبول هؤلاء العلماء لإتمام تحصيلهم الشرعي من جهة؛ للحصول على الوظائف الدينية في ولايات السلطنة من جهة أخرى.
- كما أنَّ غالبية علماء مصر في القرنين السابع عشر والثامن عشر الذين انتقلوا إلى بلاد الشام تمكنوا من تولي مناصب علمية مهمة فيها، ودرَّسوا عدداً كبيراً من طلاب العلم الشوام، فبلغت نسبتهم في القرن السابع عشر حوالي ٩٣.٧٥% (بالنسبة لكل المصريين في بلاد الشام)، بينما بلغت في القرن الثامن عشر حوالي ٧٦.٩٢% (بالنسبة لكل المصريين في بلاد الشام)، وهذه النسب كبيرة جداً مقارنة مع نسبة الطلاب المصريين المنقلين إلى بلاد الشام آنذاك. أما بالنسبة لعلماء بلاد الشام الذين تولوا المناصب العلمية في مصر خلال مرحلة البحث، فقد كانوا من الطلاب الذين ارتحلوا في بداية الأمر للدراسة في الأزهر الشريف حتى أجازوا منه، فكبر شأنهم، وتصدَّروا فيه للإفادة والتدريس، وعلى الرغم من ضعف نسبتهم التي بلغت في القرن السابع عشر ٤.٢٧%، وفي القرن الثامن عشر ٢.١٧%، أن تميزهم ساهم مساهمة كبيرة في دعم التعليم في مصر، ونفع عدد لا يُحصى من طلاب العلم.
- وكان لتولي القضاء بين علماء مصر وبلاد الشام الشأن نفسه، ذلك أنَّ السلطنة العثمانية لم تمنع أحداً من رعاياها المسلمين من الوصول إلى أعلى المناصب القضائية في السلطنة، إذا حصلوا على التعليم الذي يسمح لهم بذلك، وتوفَّرت فيهم الشروط اللازمة لتولي هذه المناصب الرفيعة، وقد ترجمت ذلك السلطنة من خلال إرسال علماء بلاد الشام ممن أكملوا تعليمهم العالي في استانبول إلى تولي مناصب القضاء المختلفة في ولايتهم أو في مصر، والحال نفسه لعلماء مصر الذين أُرسِلوا بعد تخرجهم إلى مناصب القضاء في ولايتهم أو في

بلاد الشام. وهذا طبيعي فكل الولايات العربية وغير العربية تابعة سياسياً وإدارياً واقتصادياً وفكرياً للسلطنة العثمانية.

- وكان للرحلات العلمية التي دَوَّنها الرّحالة العلماء بين مصر وبلاد الشام في القرنين السابع عشر والثامن عشر إسهامٌ بالتعرف على جغرافية المناطق التي مرّوا بها، وبإعطاء وصف واضح للمزارات والأضرحة والمشاهد الدينية التي زاروها، وبالتعرف على الطرق الصوفية المنتشرة في هذه الولايات، وأشهر متصوفيهـا ومريديها.
- أما بالنسبة للقسيسين والآباء المسيحيين الذين انتقلوا من بلاد الشام إلى مصر، فقد أسهموا بدعم أبناء طائفتهم المستقرين هناك عن طريق إنشاء كنيسة خاصة بهم؛ لإقامة الطقوس الدينية فيها، أما بالنسبة إلى المسيحيين المرتحلين إلى بلاد الشام؛ فلم يكن لهم أي شأن علمي يذكر حيث اقتصر انتقالهم على زيارة الأماكن المقدسة وتأدية الحج، وكان للحاخامات اليهود بين مصر وبلاد الشّأن نفسه من حيث الانتقال إلى الولاية الأخرى لخدمة أبناء طائفتهم في الشؤون الدينية والعلمية.

الخاتمة:

أسهمت حركة انتقال طلبة العلم والعلماء والرحالة المصريين إلى بلاد الشام وطلبة العلم والعلماء والرحالة الشوام إلى مصر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر للاستفادة والاستزادة في مختلف العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والعلوم العقلية، كما أسهمت في ظهور نخبة من العلماء في كل من الولاياتين جمعوا بين العلوم التي كانت تُدرّس في مصر وبلاد الشام، مما أدى إلى تعزيز أواصر التبادل الثقافي والمعرفي بين الولاياتين، فبرز نتيجةً لذلك نتاجٌ علمي جمع بين الفكر المصري والشامي، فضلاً عن ذلك، فقد أسهم هؤلاء العلماء بنشر معارفهم العلمية مشافهةً لطلبة العلم في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي، إلى جانب تدوينها كمخطوطات ليحفظوا كنوزهم العلمية للأجيال اللاحقة.

ومن أشهر الكنوز العلمية التي تركها العلماء المصريون الذين درسوا في بلاد الشام والعلماء الشوام الذين درسوا في مصر خلال مرحلة البحث في مجال الرحلات: ما دونه عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م)، ومصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)، ومصطفى أسعد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ/١٧٦٤م) في رحلاتهم لما مروا به من البلدان والقرى، وكان دافعهم لزيارتها التبرك بقبور الأولياء والصالحين فيها، فزاروا: بلاد الشام، ومصر، والحجاز، وتركوا من المخطوطات: "الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية" و "حلة الذهب الإبريز، في الرحلة إلى بعلبك وبقاع العزيز" و "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز" و "الرحلة إلى إستانبول" و "الرحلة الحجازية والرياض الأنسية" لمؤلفها عبد الغني النابلسي.

وترك مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م) من الرحلات المخطوطة: "الخمرة الحسية في الرحلة القدسية"، و "النحلة النصرية بالرحلة المصرية"، و "تفريق الهموم وتغريق الغموم في الرحلة إلى بلاد الروم"، و "الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية"، و "الحلة الفانية رسوم الهموم والغموم في الرحلة الثانية إلى بلاد الروم"، و "الخطرات الثانية الأنسية للرحلة الدانية القدسية"، و "كشف الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان"، و "الفيض الجليل في أراضي الخليل"، و "برء الأسقام في زيارة برزة والمقام"، و "رد الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان"، و "لمع برق المقامات العوال في زيارة سيدي حسن الراعي وولده عبد العال"، و "الحلة الحقيقية لا المجازية في الرحلة الحجازية"، و "الحلة الرضوانية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية"، و "حلة الأردن في الرحلة إلى جبل لبنان".

أما مصطفى أسعد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م)، فقد ترك من الرحلات "موانح الأنس برحلتني لوائي القدس"، و"لطائف الأنس برحلتني لوائي القدس"، و"الحلة المعلمة البهيجة بالرحلة المقدسية المهيجة".

وتتبع أهمية هذه الرحلات من خلال تدوين الرحالة فيها وصفاً دقيقاً لجغرافية الأراضي التي مروا بها، وتراجماً لأشهر علمائها وأعيانها الذين التقوا بهم أثناء رحلاتهم، فضلاً عن حديثهم عن: المدارس، ودور العلم، والزوايا ومتصوفتها، والحارات، والأروقة والكنائس، والأضرحة، والمقامات، والمشاهد الدينية والأثرية، إلى جانب إعطاء صورة حقيقية عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلدان التي مروا بها، فضلاً عن اهتمامهم بتأليف بعض الرسائل والرد على ما ورد عليهم من أقرانهم في تلك المدن من أسئلة علمية تناولوا الرد عليها في التأليف أو الشرح، وعلى ذلك، فقد تضمنت هذه الرحلات معلومات ذات قيمة كبيرة في مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية، والعمرانية وغيرها، وتعود قيمة هذه المعلومات وأهمية دراستها ونشرها لعدم ذكرها في مصادر أخرى تعود لتلك المرحلة، الأمر الذي يجعل كتب الرحلات مصدراً مهماً من المصادر الأولية لتاريخ البلدان عامةً، ومنها تاريخ مصر وبلاد الشام.

أما في مجال فضائل المدن، فقد اكتفى العلماء بتأليف مختصرات على أمهات الكتب التي دوت في هذا المجال، منها: تاريخ دمشق لابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م)، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل لمؤلفه مجير الدين العلمي (ت ٩٢٧هـ/ ١٥٢١م)، حيث اختصر مصطفى بن أحمد اللقيمي (ت ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م) كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، وتناول إسماعيل العجلوني (ت ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م) تاريخ دمشق لابن عساكر مختصراً.

وفي مجال التراجم، فقد عني كل من العلماء المصريين الذين درسوا في بلاد الشام والعلماء الشوام الذين درسوا في مصر بهذا المجال، ومن أشهر مؤلفاتهم: "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لمؤلفه عبد الحي بن أحمد العكر الشهير بابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٨هـ/ ١٦٧٨م)، و"خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر"، و"نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة"، و"فيض المنان في تراجم أعيان الزمان" لمؤلفها محمد أمين بن فضل الله المحبي (ت ١١١١هـ/ ١٦٩٩م)، وكتاب الحسن بن محمد البوريني (ت ١٠٢٤هـ/ ١٦١٥م) "تراجم الأعيان من أبناء الزمان... إلخ، وتعد هذه الكتب في مقدمة المصادر التي تعنى بالجوانب الحضارية والفكرية، فضلاً عن أنها تلقي ضوءاً على النظم السياسية والإدارية والمالية من خلال تركيزها على تراجم: السلاطين، والوزراء، والولاة، والقضاة، والكتّاب، وإن كانت تتناول تراجم أرباب العلوم والآداب من: نحاة، ولغويين، وأدباء، وفقهاء، وقراء، وحكماء، وأطباء، فهي تقدم معلومات وفيرة عن الحياة الثقافية، وإن تناولت الصوفية، فإنها تعكس

التيارات العقلية والروحية التي أثرت في المجتمع المصري والشامي، وهي في مجموعها نبغ لا ينضب من المعلومات عن كل ماله علاقة بالحياة العلمية والفكرية، مما لا يمكن الاستغناء عنها.

وفي مجال اللغة العربية وآدابها، فقد اهتم كل من العلماء المصريين في بلاد الشام والعلماء الشوام في مصر بـ: التلخيص، والتعليق، والنظم، والشرح، أو التأليف في رسائل مختلفة، وكانت المؤلفات القديمة في اللغة العربية وآدابها من شروح ومتون وتأليف محل اهتمامهم، فقصدوها في قراءاتهم ودروسهم، ووضعوا عليها الشروح والمتون والحواشي، منها: شرحهم للأجرومية في النحو لأبي عبد الله أحمد بن علي الرملي (ت ٩٧٣هـ/١٥٦٢م)، وشرحهم لألفية ابن مالك (ت ٦٧٢هـ/١٢٧٤م) المعروفة باسم: "الألفية النحوية" ولمؤلفه أيضاً "الكافية الشافية".

أما الشعراء منهم، فقد اهتموا بـ: النظم، والتشطير، والمعارضة، والتخميس، والتضمين، والإنشاء، فأتوا من خلالها على أبواب متعددة وأغراض مختلفة بصورة تكاد تكون جديدة في بناء القصائد وأشكالها التي تضمنتها مجموعة من الدواوين المطبوعة والمخطوطة، أو ما ورد منها كـ: محاورات، ومطارحات، وإخوانيات شعرية، ومذائح نبوية، وخمريات صوفية في معرض تراجم الشعراء والأدباء المختلفة، ومن أشهرها: "ديوان الحقائق ومجموع الرقائق" لمؤلفه عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ/١٧٣١م)، و"ديوان روح الأرواح" لمؤلفه مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)، و"مجموعة أشعار ورسائل شعرية" لمحمد العمادي (ت ١١٣٥هـ/١٧٢٥م)، وتأتي أهمية هذه المؤلفات والدواوين من أنها تعكس روح المجتمع آنذاك إلى جانب تأريخها الحوادث المهمة في مصر وبلاد الشام.

أما في مجال العلوم الشرعية، فقد كان الفقهاء والقراء والمحدثون والأئمة المصريون والشوام متصلين مع واقعهم الاجتماعي بصورة واضحة؛ لأن الفتوى والقاعدة الفقهية كانت نتاج مجتمع التعامل والمعاقدة المختلفة آنذاك، إذ عرضوا لمسائل اجتماعية واقتصادية متباينة، فضلاً عن إجاباتهم عن الأسئلة التي وردت إليهم من مدن مختلفة، فتركوا لنا مؤلفات معظمها شروحات وحواشٍ لأُمَم الكتب في العلوم الشرعية، منها: "رسالة في قواعد القراءة من طريق الطيبة"، و"رسالة في قراءة حفص"، و"قواعد أبي جعفر ويعقوب وخلف العاشر"، و"فيض الودود بقراءة حفص عن عاصم بن أبي النجود" لمؤلفها أبو المواهب بن عبد الباقي الحنبلي (ت ١١٢٦هـ/١٧١٥م). و"حاشية على الإحياء للغزالي" و"حاشية على شرح المنهج في الفقه" لمؤلفها عبد العال الخليلي (ت ١١٨٢هـ/١٧٦٩م)، وشرح على البخاري لعلّي الدباغ (ت ١١٧٤هـ/١٧٦١م)، و"إتحاف ذوي الألباب في قوله تعالى: يحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب"، و"إحكام الأساس في قوله تعالى: إن أول بيت وضع للناس"، و"فتح المنان بتفسير آية المتنان" و"الكلمات البينات في قوله تعالى: وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، و"قلائد

العقيان في قوله تعالى: إن الله يأمر بالعدل والإحسان، و"أزهار الفلاة في آية قصر الصلاة" لمؤلفها الشيخ مرعي بن يوسف الكرمي (ت ١٠٣٣هـ / ١٦٢٤م).

وترك لنا كل من العلماء المصريين في بلاد الشام والعلماء الشوام في مصر خلال مرحلة البحث في مجال العلوم العقلية مجموعة من المؤلفات والرسائل منها: "نزهة نفوس الأخيار، ومطلع شوارق الأنوار" في علم الفلك، و"تحقيق الظنون بأخبار الطاعون" والآخر بعنوان: "ما يفعله الأطباء والداعون لدفع أشرار الطاعون" في علم الطب. وترك عبد الغني النابلسي (ت ١١٤٣هـ / ١٧٣١م) في هذا المجال رسالة "محو الظلام في رسم الرخامة" في علم التقاويم وحساب الأيام وحركة النجوم والكواكب، ورسالة أخرى "الملاح في علم المساحة" ولا يقف عند هذا الاهتمام وحسب، بل يتعداه إلى العلوم البحتة، فيؤلف في الطب "رسالة في الطاعون". وألف عبد الجليل بن محمد المعروف بابن عبد الهادي الشافعي (ت ١٠٨٧هـ / ١٦٧٦م) مؤلفاً في الفلك هو: "الدر اللامع في العمل بالربع الجامع في الفلك" وبالرغم من قلة المؤلفات في هذا المجال إلا أنها تعكس الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء في محاولة التعمق في مجال العلوم العقلية وإن كانت مؤلفاتهم نظرية فقط ولم تطبق على المجتمع.

ونتيجة لما سبق، فقد بقيت بصمات العلماء المصريين والشوام خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر خالدة حتى وقتنا الحاضر، والمنتبع تراثهم المخطوط يلاحظ أن جُلَّهُ مازال مادة خام، ولم تمسه الأيدي، وبقي محفوظاً في المكتبات الحكومية في مصر وبلاد الشام الذي يحتاج بدوره إلى باحثين أكاديميين لدراسته وتحقيقه، أما القلة القليلة من المحقق أو المطبوع من هذه الكنوز العلمية، فله أهمية عظيمة في معارف متعددة.

الملاحق

الملحق الأول

نماذج من الإجازات العلمية التي مُنحت لطلاب بلاد الشام في مصر

الإجازة الأولى: وهي الإجازة التي منحها محمد المصليحي الشافعي الأزهري لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي في القرن الثامن عشر^(١).

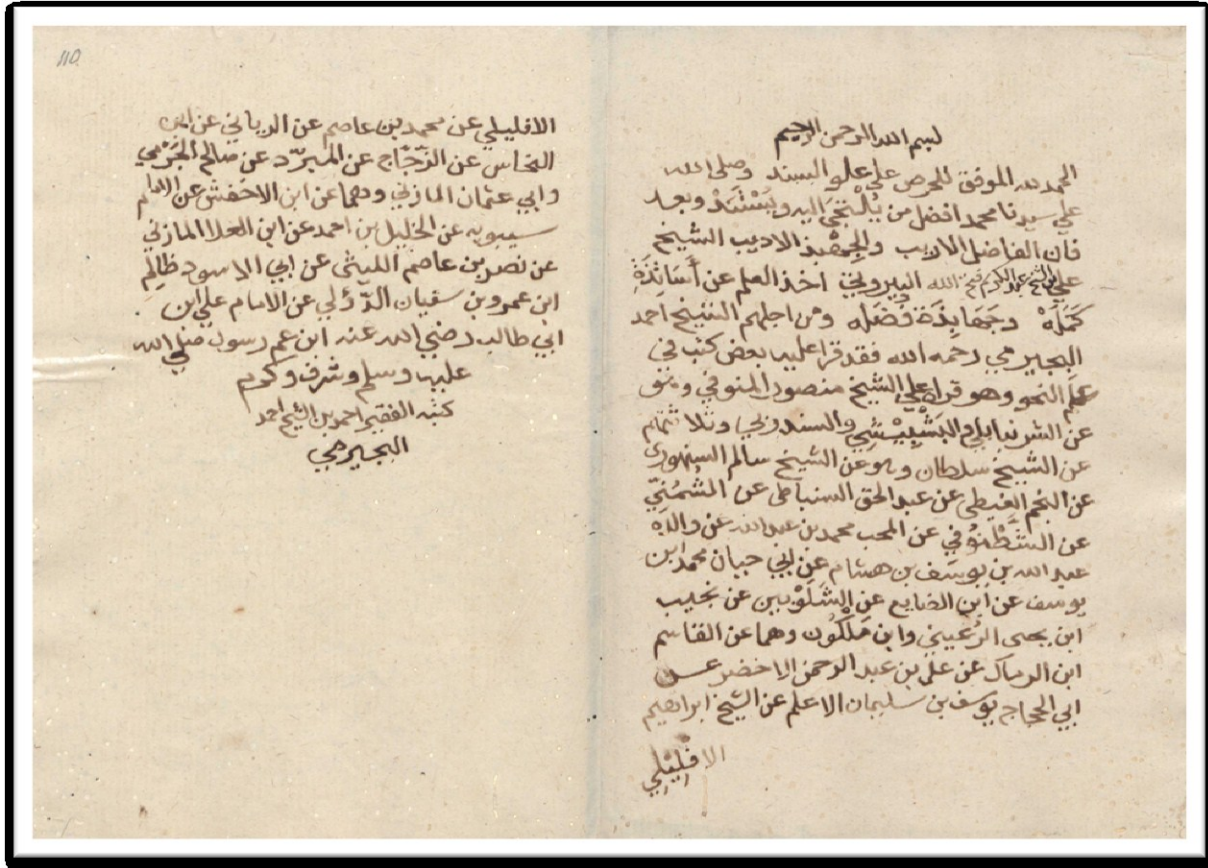


(١) - المصليحي، محمد: إجازة من محمد المصليحي الشافعي الأزهري لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي،

مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (٥ق)، رقم (١٥-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط

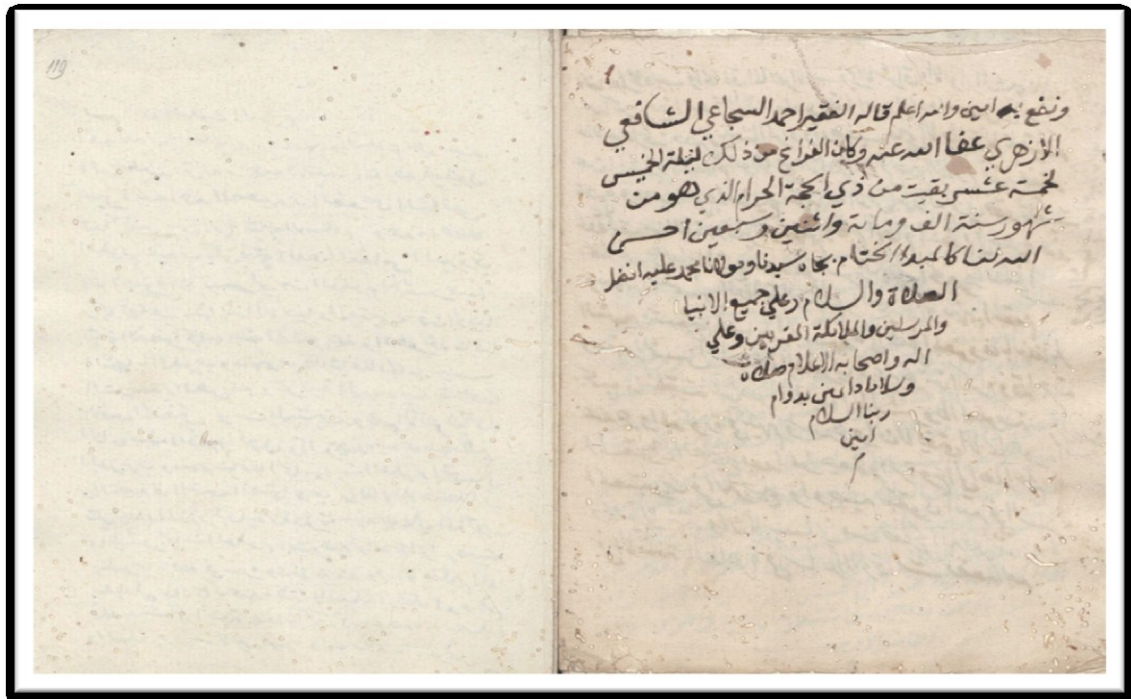
<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>.

الإجازة الثانية: وهي الإجازة التي منحها أحمد بن أحمد البجيرمي لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي في القرن الثامن عشر^(١).



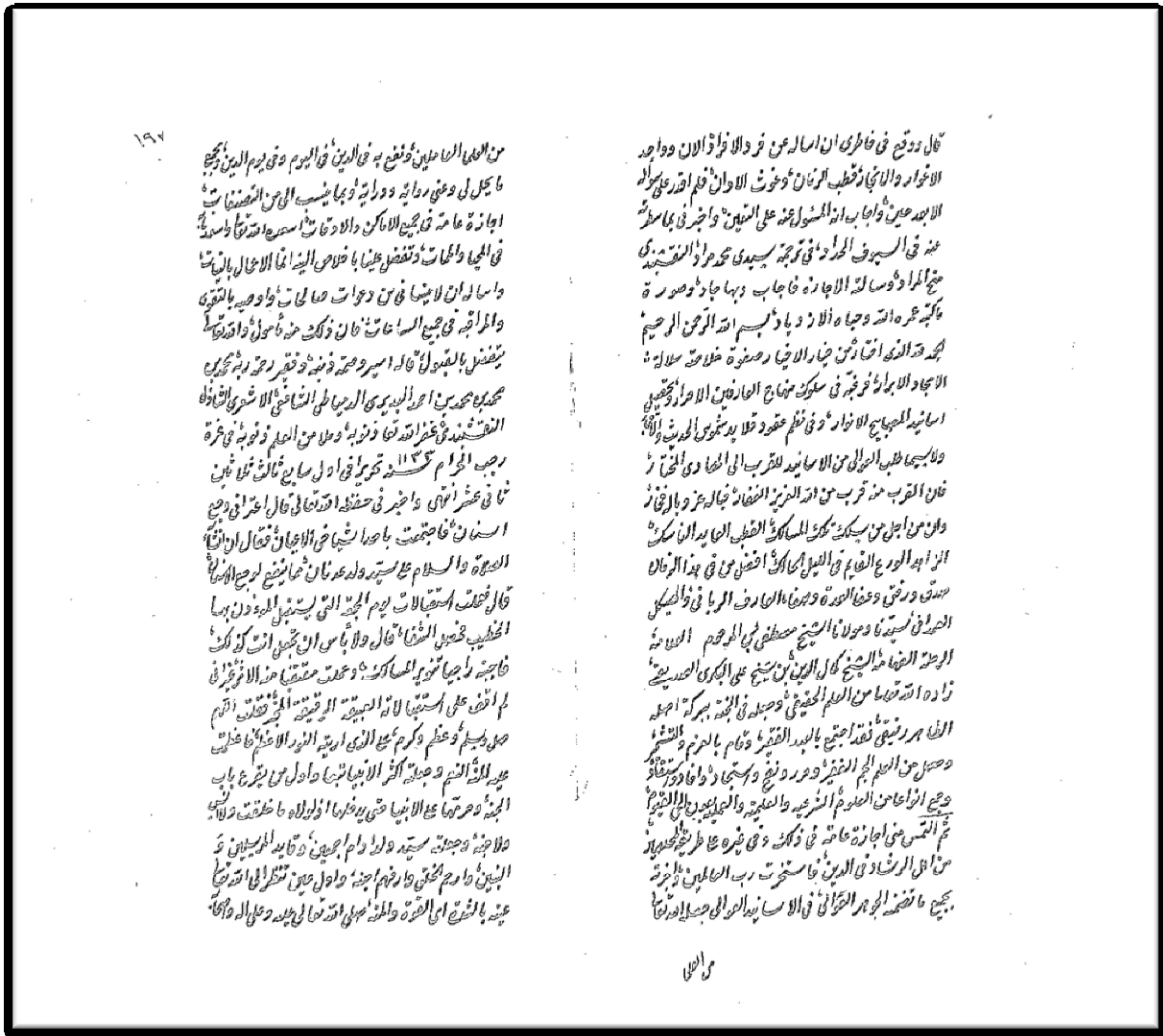
(١) - البجيرمي، أحمد بن أحمد: إجازة من أحمد بن أحمد البجيرمي لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (اق)، رقم (٧٢٩-٠٩)، ويوجد على هذا الرابط <https://www.refaiya.uni-leipzig.de>.

الإجازة الثالثة: وهي الإجازة التي منحها أحمد بن أحمد السجاعي لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي في القرن الثامن عشر^(١).



(١) - السجاعي، أحمد بن أحمد بن محمد: إجازة من أحمد بن أحمد السجاعي الشافعي الأزهرى لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (٣ق)، رقم (١٢-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>).

الإجازة الرابعة: وهي الإجازة التي منحها الشيخ محمد بن أحمد البديري (ت ١١٤٠هـ / ١٧٢٨م) للشيخ مصطفى البكري الصديقي (ت ١١٦٢هـ / ١٧٤٨م) ^(١).

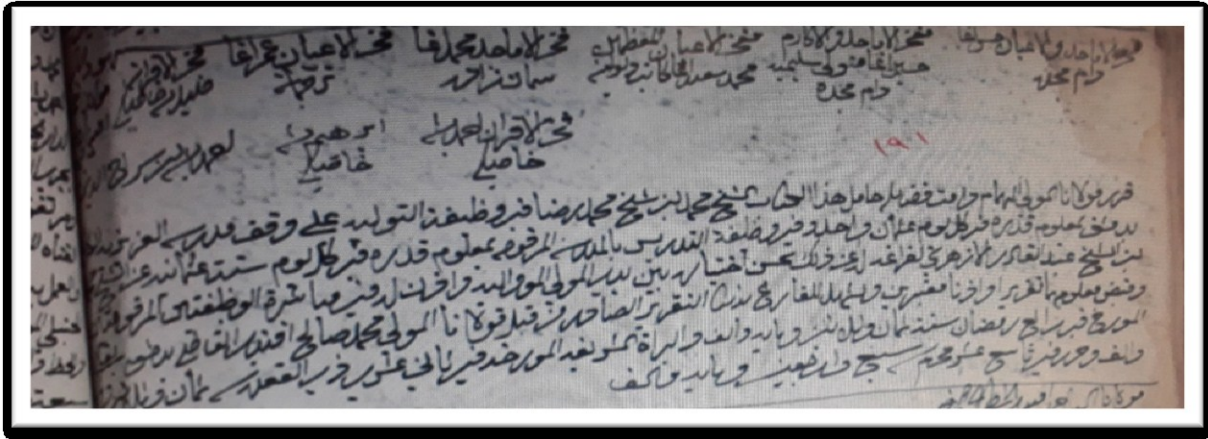


(١) - البكري الصديقي، مصطفى: مجموع رحلات البكري، مخطوط محفوظ في الجامعة الإسلامية في السعودية (٢١١ ق)، رقم ٥٩٣١.

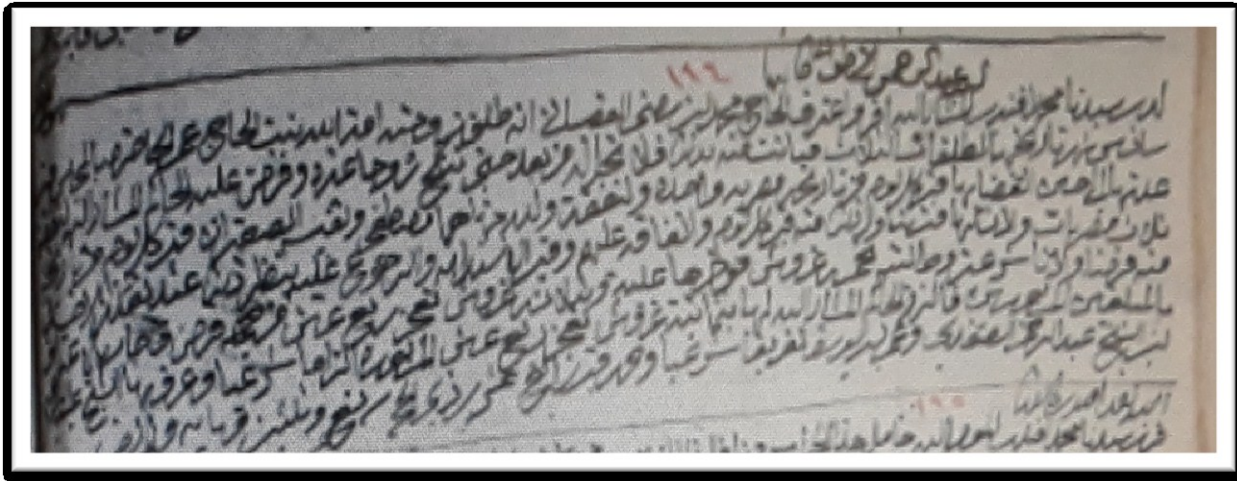
الملحق الثاني

نماذج من قرارات تعيين العلماء المصريين في بلاد الشام

الوثيقة الأولى: تعيين الشيخ عبد القادر الأزهري (ت ٥٠٠٠هـ/ ١٠٠٠م) في المدرسة العزيزية في دمشق^(١).



الوثيقة الثانية: تعيين الشيخ عبد الباسط المصري (ت ٥٠٠٠هـ/ ١٠٠٠م) في المدرسة الخاتونية بدمشق^(٢).



(١) - وثيقة رقم ١٩١، سجل دمشق، رقم ٧١، ص ٣٩، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٧هـ / ١٧٣٧م.

(٢) - وثيقة رقم ١٩٤، سجل دمشق، رقم ٦١، ص ٩٧، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.

الملحق الثالث

تولي العلماء الشوام المناصب في الأزهر الشريف

الوثيقة الأولى: شهادة الحلبي (ت ١٠١٠هـ / ١٦٠٢م)؛ ناظر الأزهر الشريف وشيخ رواق الريافة، إلى جانب وصفه بـ "شيخ الشيوخ بالجامع الأزهر" (١).



(١) - وثيقة رقم ١٨٤١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ٤٢٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ

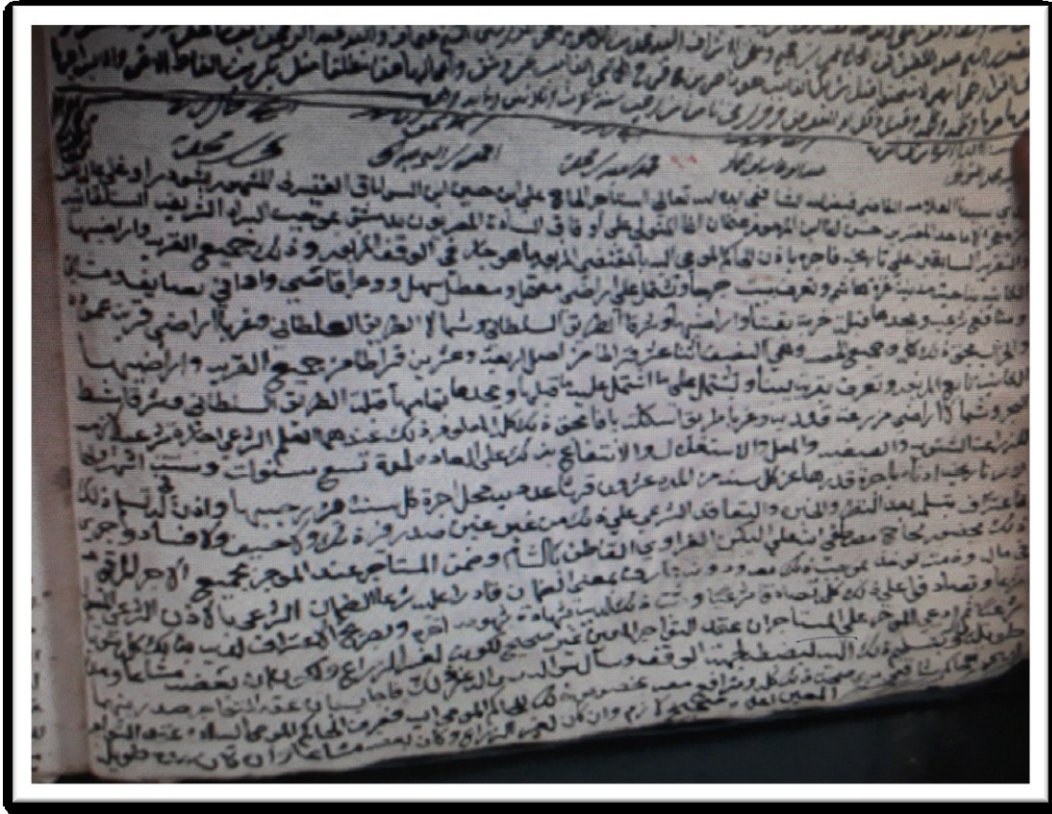
الوثيقة الثانية: وصف شهادة الحلبي (ت ١٠١٠هـ / ١٦٠٢م)؛ بـ "شيخ الشيوخ بالجامع الأزهر" (١).



(١) - وثيقة رقم ١٦٠١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ١٨٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م.

الملحق الرابع

أوقاف السادة المصريين في بلاد الشام^(١)



(١) - وثيقة رقم ٦٣، سجل دمشق، رقم ٤٣، ص ٣٥، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٣٣هـ / ١٧٢١م.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق غير المنشورة:

- سجلات المحاكم الشرعية في مدينة دمشق:
 - وثيقة رقم ٣١، سجل دمشق، رقم ١٢١، ص ١٦، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ٩٩٠هـ / ١٥٨٣م.
 - وثيقة رقم ٦٣، سجل دمشق، رقم ٤٣، ص ٣٥، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٣٣هـ / ١٧٢١م.
 - وثيقة رقم ١٩١، سجل دمشق، رقم ٧١، ص ٣٩، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٧هـ / ١٧٣٧م.
 - وثيقة رقم ١٩٤، سجل دمشق، رقم ٦١، ص ٩٧، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٠هـ / ١٧٢٧م.
 - وثيقة رقم ٤٤٣، سجل دمشق، رقم ٥١، ص ٢٥٢، سجلات المحاكم الشرعية، دمشق، تاريخ ١١٤٢هـ / ١٧٢٩م.

• سجلات المحاكم الشرعية في مدينة حلب:

- وثيقة رقم ٩٧، سجل حلب، رقم ١٥٠، ص ٢٢، سجلات المحاكم الشرعية، حلب، تاريخ ٩٧٢هـ / ١٥٦٥م.

• سجلات محكمة الباب العالي في القاهرة:

- وثيقة رقم ١٦٠١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ١٨٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م.
- وثيقة رقم ١٨٤١، سجل القاهرة، رقم ٥٩، ص ٤٢٤، محكمة الباب العالي، دار الوثائق القومية، القاهرة، تاريخ ١٠٠١هـ / ١٥٩٢م.

ثانياً: المصادر المخطوطة:

- البجيرمي، أحمد بن أحمد: إجازة من أحمد بن أحمد البجيرمي لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (اق)، رقم (٧٢٩-٠٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>).
- البكري الصديقي، مصطفى: الخمرة الحسية في الرحلة القدسية، مخطوط محفوظ في مكتبة الأسد بدمشق (٤٢ق)، رقم (٦٠٦٠٩).
- البكري الصديقي، مصطفى: مجموع رحلات البكري، مخطوط محفوظ في الجامعة الإسلامية في السعودية (٢١١ق)، رقم ٥٩٣١.
- ابن حبيش، محمد البديري المقدسي: ثبت كشف الحزن وحلول المنن في أوصاف السيد حسن، مخطوط محفوظ صورة عنه في مكتبة المخطوطات الكبرى (٩ق)، رقم (٢٦٩٣)، ويوجد على هذا الرابط (<http://wqf.me/?p=16659>).
- السجاعي، أحمد بن أحمد بن محمد: إجازة من أحمد بن أحمد السجاعي الشافعي الأزهري لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (٣ق)، رقم (٧٢٩-١٢)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>).
- الشنواني، أبي بكر بن إسماعيل: الدرة الشنوانية على شرح الأجرومية، مخطوط محفوظ في دار الكتب المصرية (١٢٩ق)، رقم ١٠٩، ويوجد على هذا الرابط (<http://wqf.me/?p=16797>).
- الصفوري، عبد القادر: ثبت الشيخ عبد القادر الصفوري، مخطوط محفوظ في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (٨ق)، رقم ١٢٢٢.
- طلس، مصطفى بن محمد: الجامع الأزهر لتراجم الأئمة والفضلاء الحلبيين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر، مخطوط محفوظ في معهد المخطوطات، المملكة العربية السعودية (٣٧ق)، رقم (٥٣٠٠)، ويوجد على هذا الرابط: (<https://www.4shared.com/web/q/#quer>).
- المقدسي الحنبلي، أحمد بن عوض: ثبت الكواكب الزاهرة في آثار أهل الآخرة، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر، (٩٨ق)، رقم ٢٠٣٨، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>).

- العجلوني، إسماعيل: إجازة العجلوني إلى مصطفى بن أحمد اللقيمي، مخطوط محفوظ في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق (٣ق)، رقم ٢٩.
- الكامل، محمد بن علي: ثبت الشيخ شمس الدين محمد الكامل، مخطوط محفوظ في مكتبة جامعة الملك سعود في السعودية، (١٣ ق)، رقم (٤٩٨٩)، ويوجد على هذا الرابط: <https://www.alukah.net/library/0/100204>
- المحبي، فضل الله بن محب الدين: فيض المنان في تراجم أعيان الزمان، مخطوط توجد صورة عنه في مكتبة فيصل بن يوسف العلي في الكويت، (٣٥٠ق)، رقم ٤٤٢، ويوجد على هذا الرابط (<https://wqf.me/?p=16670>).
- مجهول، مجهول: تراجم علماء مصر في القرنين الثاني والثالث عشر، مخطوط محفوظ في دار الكتب القومية بمصر، (٩٤ق)، رقم (٢٣٢٨)، ويوجد على هذا الرابط (<http://wqf.me/?p=16797>).
- المصليحي، محمد: إجازة من محمد المصليحي الشافعي الأزهرى لفتح الله علي بن عبد الكريم البيروتي، مخطوط محفوظ في جامعة لايبزيغ الألمانية (٥ق)، رقم (١٥-٧٢٩)، ويوجد على هذا الرابط (<https://www.refaiya.uni-leipzig.de>).

ثالثاً: المصادر المطبوعة:

- القرآن الكريم.
- الأمين، محسن: أعيان الشيعة، حققه وأخرجه حسن الأمين، ١٢ جزء، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، د.ط، ١٩٨٣م.
- البديري، أحمد بن بدير الحلاق: حوادث دمشق اليومية ١١٥٤-١١٧٥هـ/١٧٤١-١٧٦٢م، تحقيق أحمد عزت عبد الكريم، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط ١، ١٩٥٩م.
- البرماوي، إلياس بن أحمد: إمتاع الفضلاء بتراجم القراء فيما بعد القرن الثامن الهجري، تقديم محمد تميم الرعبي، جزأين، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ٢٠٠٠م.

- البغدادي، إسماعيل باشا:
- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، عني بتصحيحه محمد شرف الدين بالتقاي، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، جزءان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ١٩٥١م.
- البقاعي، إبراهيم بن عمر: **إظهار العصر لأسرار أهل العصر**، تحقيق محمد بن سالم العوفي، ٣ أجزاء، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط١، ١٩٩٢م.
- البوريني، الحسن بن محمد: **تراجم الأعيان من أبناء الزمان**، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي، دمشق، ط١، ١٩٥٩م.
- البيطار، عبد الرزاق: **حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**، تحقيق محمد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، د.ط، ١٩٦٣م.
- ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف: **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، ١٦ جزء، دار الكتب المصرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، د.ط، د.ت.
- التغلبي، عبد القادر: **ثبت مفتي الحنابلة بدمشق الشيخ عبد القادر التغلبي**، تخريج تلميذه محمد بن عبد الرحمن الغزي، اعتنى به محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، الكويت، د.ط، د.ت.
- التهانوي، محمد علي: **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مجلدان، مكتبة لبنان، بيروت، ط١، ١٩٦٦م.
- الثعالبي، عيسى بن محمد: **ثبت شمس الدين البابلي المسمى منتخب الأسانيد في وصل المصنفات والأجزاء والمسانيد ويليه المربي الكابلي في من روى عن الشمس البابلي**، تحقيق بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن: **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، تحقيق عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، ٣ أجزاء، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.
- ابن جبير، محمد بن أحمد الأندلسي: **رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك المعروف برحلة ابن جبير**، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، د.ت.

- الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م.
- ابن الجزري، محمد: **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** ويليه ثلاثة ملاحق لأبي شامة وابن تيمية وابن حجر، اعتنى به علي بن محمد العمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٩م.
- جليبي، أوليا: **الرحلة إلى مصر والسودان وبلاد الحبش** ١٠٨٢-١٠٩١هـ/١٦٧٢-١٦٨٠م، إشراف وتقديم محمد حرب، ترجمة حسين مجيب المصري وآخرون، راجعها وأكمل مواقفها ماجدة مخلوف، مجلدان، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦م.
- الجواليقي، موهوب بن أحمد: **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، تحقيق ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.
- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله: - **تحفة الكبار في أسفار البحار**، تحقيق محمد حرب وتسليم حرب، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط ١، ٢٠١٧م.
- **فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار "تاريخ ملوك آل عثمان"**، تحقيق سيد محمد السيد، مؤسسة العالي أتاورك للثقافة واللغات والتاريخ، أنقرة، د. ط، ٢٠٠٩م.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تحقيق محمد شرف الدين يالنتقايا، جزاءن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- ابن حجر، أحمد بن علي: - **أنباء الغمر بأبناء العمر**، تحقيق حسن حبشي، ٤ أجزاء، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د، ط، ١٩٦٩م.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ٤ أجزاء، مجلس دائرة المعارف العثمانية، صيد آباد، الهند، ط ٢، ١٩٧٢م.
- ابن الحاج، محمد بن محمد العبدري المالكي الفاسي: **المدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيات والتنبيه على بعض البدع والعوائد التي انتحلت وبيان شناعتها**، ٤ أجزاء، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.
- الحسيني، حسن بن عبد اللطيف: **تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر الهجري**، تحقيق سلامة صالح النعيمات، الجامعة الأردنية، ط ١، ١٩٨٥م.

- الحصري، محمد أديب: **منتخبات التواريخ لدمشق**، قدم له كمال الدين سليمان الصليبي، ٣ أجزاء، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.
- الحموي، مصطفى بن فتح الله: **فوائد الارتحال ونتائج السفر في أخبار القرن الحادي عشر**، تحقيق عبدالله محمد الكندري، ٤ أجزاء، دار النوادر، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- الحنبلي، محمد بن عبد الباقي: **مشيخة أبي المواهب الحنبلي**، تحقيق محمد مطيع الحافظ، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
- الخفاجي، أحمد بن محمد: **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، جزءان، دار الكتب العلمية، بيروت، د، ط، ٢٠٠٥م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق عبد السلام الشداوي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥م.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.
- الدكدجي، محمد بن إبراهيم: **مشيخة العلامة المحدث فخر الدين الدكدجي**، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، أروقة للدراسات والنشر، عمان، ط١، ٢٠١٦م.
- الدمياطي، أحمد بن محمد البنا: **إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر**، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، جزءان، عالم الكتب، بيروت، د.ط، ١٩٨٧م.
- الذهبي، محمد بن أحمد:
- **تذكرة الحفاظ**، ٤ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- **سير أعلام النبلاء**، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون ، ٢٥ جزء، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط١١، ٢٠٠١م.
- **الموقظة في علم مصطلح الحديث**، تحقيق محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠١٨م.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط١، ١٩٥٧م.

- السخاوي، محمد بن عبد الرحمن:
- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ١٢ جزء، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق صلاح محمد عويضة، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
- السيوطي، جلال الدين:
- الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، ١٩٧٤م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، جزآن، المكتبة العصرية، صيدا، د.ط، د.ت.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، مكتبة الكوثر، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- ابن شاشو، عبد الرحمن بن محمد الذهبي: تراجم بعض أعيان دمشق من علمائها وأدبائها، المطبعة اللبنانية، بيروت، د.ط، ١٨٨٦م.
- ابن شداد، يوسف بن رافع:
- الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (قسم دمشق)، تحقيق سامي الدهمان، جزآن، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، د.ط، ١٩٥٦م.
- سيرة صلاح الدين الأيوبي المسمى النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، ٢٠١٥م.
- الشيزري، عبد الرحمن بن نصر: نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق السيّد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ط٢، ١٩٨١م.
- طاشكبري زاده، أحمد بن مصطفى: الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ويلييه العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ط، ١٩٧٥م.
- الطباخ، محمد راغب: إعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء، صححه وعلق عليه محمد كمال، ٨ أجزاء، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٩٢م.

- الطبري، محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ١١ جزء، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٦٧م.
- الطرطوشي، محمد بن الوليد الفهري: سراج الملوك، تحقيق محمد فتحي أبو بكر، جزءان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م.
- ابن طولون، محمد بن علي:
- إعلام الوری بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٤م.
- الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، د.ط، ١٩٨٠م.
- ابن عربي، محيي الدين: الإسفار عن نتائج الأسفار، ضمن كتاب: رسائل ابن عربي، جمع محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠١م.
- العلمي، مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد أبو تيانة، جزأين، مكتبة دنديس، الخليل، ط١، ١٩٩٩م.
- ابن العماد الحنبلي، عبد الحي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر أرناؤوط ومحمود أرناؤوط، ١٠ أجزاء، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٩٨٦م.
- الغزي، كامل بن حسين بن محمد: نهر الذهب في تاريخ حلب، تقديم شوقي شعث ومحمود فاخوري، جزأين، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٩٩٩م.
- الغزي، كمال الدين محمد: الورد الأنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف عبد الغني النابلسي، اعتنى به وعلق عليه أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.
- الغزي، محمد بن محمد: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، وضع حواشيه خليل منصور، ٣ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- فريد بك، محمد: تاريخ الدولة العلية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٩٨١م.

- القشيري، عبد الكريم: الرسالة القشيرية، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، مطابع مؤسسة دار الشعب، القاهرة، د.ط، ١٩٨٩م.
- القلقشندي، أبي العباس أحمد: صبح الأعشى في كتابة الإنشاء، ١٤ جزء، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٢٢م.
- القيصري، داود: الرسائل، تحقيق محمد بايراقدار، مطبعة قيصري، د. ط، ١٩٩٧م.
- الكفوي، محمود بن سليمان: كتاب أعلام الأخبار من فقهاء مذهب النعمان المختار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.
- ابن كنان، محمد بن عيسى: الحوادث اليومية من تاريخ أحد عشر وألف ومية، تحقيق أكرم العلبي، دار الطباع، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.
- اللقيمي، مصطفى أسعد:
- تهذيب موانح الأنس برحلتني لوادي القدس، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، د.ط، ٢٠١٢م.
- لطائف أنس الجليل في تحائف القدس والخليل، تحقيق خالد عبد الكريم الهمشري، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ٢٠٠٠م.
- اللكنوي، محمد عبد الحي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني، دار السعادة، القاهرة، د.ط، ١٩٠٧م.
- المحبي، محمد أمين بن فضل الله:
- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ٤ أجزاء، د.م، د.ط، د.ت.
- نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ٣ أجزاء، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م.
- المرادي، محمد خليل بن علي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ٤ أجزاء، المطبعة الميرية العامة، تصوير دار ابن حزم والبشائر، القاهرة، د.ط، ١٣٠١هـ.
- المراغي، عبدالله مصطفى: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، جزءان، مطبعة السنة المحمدية بمصر، القاهرة، ١٩٤٧م.
- ابن مسكوية، أبو علي أحمد بن محمد: تهذيب الأخلاق، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ١٩٨١م.

- المقدسي، أبي المعالي المشرف بن المرجي بن إبراهيم: فضائل بيت المقدس، تحقيق أيمن نصر الدين الأزهرى، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠٠٢م.
- المقرئ، أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، ٨ أجزاء، دار صادر، بيروت، د.ط، ١٩٦٨م.
- المقرئ، أحمد بن علي بن عبد القادر:
- اتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال ومحمد حلمي محمد أحمد، ٣ مجلدات، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف: الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، تحقيق محمد أديب الجادر، جزأين، دار صادر، دمشق، د. ط، ١٩٩٩م.
- النابلسي، عبد الغني:
- الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز، تقديم وإعداد: أحمد عبد المجيد هريدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٨٦م.
- ديوان الحقائق ومجموع الرقائق، ضبطه وعلق على حواشيه محمد عبد الخالق الزناتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان، نشره محمد أحمد دهمان، المكتبة السلفية، دمشق، د.ط، ١٣٤٣هـ.
- الفتح الرباني والفيض الرحمانى، وضع حواشيه عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، القاهرة، د.ط، ٢٠١٠م.
- النجدي، محمد بن عبد الله بن حميد: السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، تحقيق بكر بن عبد الله أبو زيد وعبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ابن نجيم، إبراهيم بن محمد: البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية، ضبطه وخرج آياته وأحاديثه زكريا عميرات، ٩ أجزاء، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، ٢٠١٣م.
- النعيمي، عبد القادر محمد: الدارس في تاريخ المدارس، أعدَّ فهرسه إبراهيم شمس الدين، جزآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

رابعاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، سمير: الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٢م.
- أبو عبيدة، طه عبد المقصود: الحضارة الإسلامية، دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- أبو غدة، عبد الفتاح: صفحات من صبر العلماء على شوائد العلم والتحصيل، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٩٧٤م.
- أوغلي، أكمل الدين إحسان، صالح، صالح سعادوي: الثقافة التركية في مصر: جوانب من التفاعل الحضاري بين المصريين والأتراك، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية إرسیکا، استانبول، د. ط، ٢٠٠٣م.
- البعيني، حسن أمين: دروز سورية ولبنان في عهد الانتداب الفرنسي ١٩٢٠ - ١٩٤٣ دراسة في تاريخهم السياسي، المركز العربي للأبحاث والتوثيق، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.
- بولس قرألي، الخوري: السوريون في مصر، جزءان، مطبعة جريدة العلم، لبنان، د. ط، ١٩٣٣م.
- التونجي، محمد: بلاد الشام إبان العهد العثماني، دار المعرفة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- حجي، حياة ناصر: صورة من الحضارة العربية الإسلامية في سلطنة المماليك، دار القلم، الكويت، ط١، ١٩٩٢م.
- حرب، محمد: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط٣، ٢٠١٢م.
- حمادة، فاروق: المنهج الإسلامي في الجرح والتعديل، دار نشر المعرفة، الرباط، ط٢، ١٩٨٤م.
- حنفي، سحر علي: العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى في القرن الثامن عشر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.
- خفاجي، محمد عبد المنعم: الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، ٦ أجزاء، مكتبة الكليات الأزهرية، بيروت، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧م.
- خوري، القس بطرس: تاريخ الرسالة المارونية في القطر المصري ١٧٤٥-١٩٢٧، مطبعة يوسف كوى بمصر، القاهرة، د. ط، د. ت.

- الداقوقي، إبراهيم: التأثير المتبادل بين اللغتين العربية والتركية في العهد العثماني، بحث أُعد في كتاب الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، جمع عبد الجليل التميمي، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، ١٩٨٨م.
- رافق، عبد الكريم: بلاد الشام ومصر من الفتح العثماني إلى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦-١٧٩٨م، د.ن، دمشق، ط٢، ١٩٦٨م.
- زعيتر، محمد: المشروع الماروني في لبنان جذوره وتطورات، الوكالة العالمية للتوزيع، بيروت، د.ط، ١٩٨٦م.
- زناتي، أندر محمود: موسوعة تاريخ العالم تاريخ العرب والمسلمين منذ ظهور الإسلام وحتى العصر المعاصر، د.ن، د.م، د.ط، ٢٠٠٧م.
- زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، دار الهلال، القاهرة، د.ط، ١٩٣١م.
- سامح، كمال الدين: العمارة الإسلامية في مصر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.
- سليم، محمود رزق: الأشرف قانصوه الغوري، مكتبة مصر، القاهرة، د.ط، د.ت.
- سليمان، صبحي ومروان، أحمد: مشاهير الفن المعماري، دار الكتب المصرية - وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط١، ٢٠١٨م.
- سليمان، عبد الحميد حامد: تاريخ الموانئ المصرية في العصر العثماني، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٥م.
- شلبي، أحمد: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة، القاهرة، ط١، ١٩٥٤م.
- الشناوي، عبد العزيز:
- الأزهر جامعاً وجامعة، مجلدان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٤م.
- الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ٤ أجزاء، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٠م.
- الطباع، إياد خالد: الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي معلمة العلوم الإسلامية، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

- طقوش، محمد سهيل: التاريخ الإسلامي (الوجيز)، دار النفائس، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦م.
- تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة ٥٦٩-٥٦١هـ/١١٧٤-١٢٦٣م، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٨م.
- تاريخ الفاطميين في شمالي إفريقيا ومصر وبلاد الشام ٢٩٧-٥٦٧هـ/٩١٠-١١٧١م، دار النفائس، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح: العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٦م.
- عبد الجبوري، أحمد: القدس في العهد العثماني (١٦٤٠-١٧٩٩م)، جزءان، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠١١م.
- عبد الرحيم، عبد الرحمن عبد الرحيم: القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧-١٧٩٨م) بحوث في التاريخ الحديث بمناسبة انقضاء عشرين عاماً على سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، مطبعة جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦م.
- عثمان، ناصر عبد الله: الحركة العلمية في مصر في القرن السابع عشر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، د. ط، ٢٠١٢م.
- ابن عزوز، محمد: الحشرات فيمن رحل للسمع على محدث فوجده قد مات، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥م.
- عطا، عبد القادر: التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٩٨٧م.
- عفيفي، محمد: الوجود القبطي في القدس في العصر الحديث والمعاصر، بحث ضمن أبحاث مؤتمر القدس عبر العصور، بمناسبة الاحتفال بالقدس عاصمة للثقافة العربية، دار الكتب والوثائق القومية، د. ط، القاهرة، ٢٠٠٩م.
- عكاشة، أمير: ملوك ورؤساء صنعوا تاريخاً (مصر أوراق مبعثرة)، وكالة الصحافة العربية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٧م.
- عكاشة، طلعت: الفتاوي الدينية وأثرها في المجتمع مصر والشام - عصر سلاطين المماليك، عين الدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، ط ١، ٢٠١٨م.
- العلبي، أكرم حسن:
- دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين ٩٠٦-٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥٢٠م، الشركة المتحدة للطباعة والنشر، دمشق، ط ١، ١٩٨٢م.

- يهود الشام في العصر العثماني من خلال سجلات المحاكم الشرعية في مركز الوثائق التاريخية بدمشق ٩٩١-١٣٣٦هـ/١٥٨٣-١٩٠٩م، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠١١م.
- علي، عبدالله شعبان: اختلافات المحدثين والفقهاء في الحكم على الحديث، دار الحديث، القاهرة، د.ط، ١٩٩٧م.
- عنان، محمد عبد الله: تاريخ الجامع الأزهر، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط١، ١٩٤٢م.
- عوض، حازم: القاهرة محروسة بألف مئذنة، دار المنهل، د.م، ط١، ٢٠١٧م.
- غالب، عبد الرحيم: موسوعة العمارة الإسلامية، جروس برس، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.
- فهد، بطرس: المطران عبد الله قراعلي مؤسس الرهبانية المارونية الحلبية اللبنانية ١٦٩٤ في وادي قاديشا المقدس في عهد البطريرك الماروني العظيم إسطفانوس الدويهي علامة دهره، جامعة الروح القدس الكسليك، لبنان، د. ط، ١٩٩٣م.
- فياض، عبدالله: الإجازات العلمية عند المسلمين، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط١، ١٩٦٧م.
- قاسم، قاسم عبده: اليهود في مصر منذ الفتح الإسلامي حتى الغزو العثماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٠م.
- قرألي، بولس: علي باشا جنبلاط والي حلب ١٦٠٥ - ١٦١١م، منشورات دار المكشوف، بيروت، د.ط، ١٩٣٩م.
- القضاة، أحمد حامد: نصارى القدس دراسة في ضوء الوثائق العثمانية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
- كرد علي، محمد: خطط الشام، ٦ أجزاء، مطبعة المفيد، دمشق، ط١، ١٩٢٨م، ج٦، ص٨٦-٨٧.
- الكوثري، محمد زاهد: البحوث السنية عن بعض رجال أسانيد الطريقة الخلوتية، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ط، د. ت.
- كوندز، أحمد آق وأوزتوك، سعيد: الدولة العثمانية المجهولة، وقف البحوث العثمانية، استانبول، د. ط، ٢٠٠٨م.
- كيدو، أكرم: مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، مجلدان، منشورات جروس بروس، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- مأمون، جيهان ممدوح: دولة سلاطين المماليك في مصر، تقديم قاسم عبده قاسم، سلسلة عصور مصرية، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.
- مبارك، علي: الخطط التوفيقية الجديدة، ٦ أجزاء، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط١، ١٣٠٦هـ.

- مجموعة مؤلفين: الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسكية والتوثيق والمعلومات، زهوان، د. ط، ١٩٨٨م.
- مجموعة مؤلفين: المدن العربية الكوسموبوليتية بين ١٨٧٠ - ١٩٣٠، مركز الطباعة الحديثة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
- مجموعة مؤلفين: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، إشراف جوزيف أبي نهرا وحبيب بدر وسعاد سليم، مجلس كنائس الشرق الأوسط، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- مجموعة مؤلفين: اليوبيل القرنى الثاني للرهبانية الحلبية المارونية في وادي النيل ١٨٤٧ - ١٩٤٧م، د. ن، القاهرة، د. ط، ١٩٤٥م.
- مجموعة مؤلفين: جغرافية البلاد العربية، مكتبة العلوم والآداب للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٤٩م.
- هويدي، صلاح أحمد: الجاليات في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني (٩٢٣ - ١٢١٣هـ / ١٥١٧ - ١٧٩٨م) دراسة وثائقية من سجلات المحكمة الشرعية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- وافي، علي عبد الواحد: لمحة في تاريخ الأزهر، كلية الآداب بالجامعة المصرية وأقسام التخصص بالأزهر، القاهرة، ط٢، ١٩٣٦م.
- ياغي، أحمد إسماعيل: العالم العربي في التاريخ الحديث، العبيكان للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

خامساً: المراجع المترجمة:

- أرمسترونج، كارين: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر ومحمد عنانى، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية، د. ط، ١٩٩٨م.
- أوزتونا، يلماز: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سليمان، مراجعة محمود الأنصاري، شركة الهلال للمساهمة، استانبول، د. ط، ١٩٩٠م.
- المدخل إلى التاريخ التركي، ترجمة أرشد الهرمزي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية ١٢٣١ - ١٩٢٢م، ترجمة محمود سلمان، جزآن، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

- إينالجيك، خليل: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، جزءان، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢م.
- البجونج، جان: بصمات في التاريخ العثماني، ترجمة عبير الشناوي، دار النيل، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥م.
- بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، ١٠ أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، ١٩٥٩م.
- بورنشتاين، ليئه: الطائفة اليهودية ومؤسساتها، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تحرير يعقوب لاندائو، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، د.ط، ١٩٨٨م.
- بوين، هارولد، جب، هاملتون: المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة أحمد إيبش، جزءان، دار الكتب الوطنية، أبوظبي، ط ١، ٢٠١١م.
- ج. شو، ستانفورد: يهود الدولة العثمانية والجمهورية التركية، ترجمة وتقديم وتعليق: الصفصافي أحمد القطوري، دار البشير، القاهرة، ط ١، ٢٠١٥م.
- حنا، نللي: تجارة القاهرة في العصر العثماني سيرة أبو طاقة شاهبندر التجار، ترجمة رؤوف عباس، دن، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م.
- رودلف، الأمير: رحلة الأمير رودلف إلى الشرق، ترجمة عبد الرحمن الشيخ، ٣ أجزاء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ١٩٩٦م.
- ريمون، أندريه: الحرفيون والتجار في القاهرة في القرن الثامن عشر، ترجمة ناصر أحمد إبراهيم وياتسي جمال الدين، مراجعة وإشراف: رؤوف عباس، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٥م.
- شيلشر، ليندا: دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ترجمة عمر الملاح ودينا الملاح، مراجعة عطف مارديني، دار الجمهورية، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م.
- كولن، صالح: سلاطين الدولة العثمانية، ترجمة منى جمال الدين، دار النيل، القاهرة، ط ١، ٢٠١٤م.
- مانتران، روبير: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، جزءان، دار الفكر للدراسات، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣م.
- مجموعة مؤلفين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف أكمل الدين إحسان أوغلي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الفنون والثقافة الإسلامية، استانبول، ط ١، ١٩٩١م.
- هافلين، شلومو زلمان: النتاج الفكري ليهود مصر، ترجمة جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد، تحرير يعقوب لاندائو، الشركة الدولية للطباعة، القاهرة، د.ط، ١٩٨٨م.

سادساً: المعاجم والموسوعات:

- الخطيب، مصطفى: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- الزركلي، خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، ٨ أجزاء، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- ابن زكريا، أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ٦ أجزاء، دار الفكر، بيروت، د.ط، ١٩٧٩م.
- صابان، سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط ١، ٢٠٠٠م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٨، ٢٠٠٥م.
- كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ١٥ جزء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية، هيئة الموسوعة العربية، دمشق، ط ١، ١٩٩٨م.
- المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ مجلدات، دار الشروق، القاهرة، ط ١، ١٩٩٩م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، ١٥ جزء، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م.

سابعاً: الرسائل الجامعية:

- حمادة، محمد فؤاد: تاريخ الحركة العلمية في مدينة دمشق في القرن السابع عشر الميلادي، إشراف الأستاذة الدكتورة بشرى خيربك، اطروحة دكتوراة، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ٢٠١٨-٢٠١٩م.
- خير بك، بشرى: فلسطين من خلال كتابات بعض الرحالة العرب من أواخر القرن السادس عشر حتى أواخر القرن التاسع عشر دراسة اقتصادية وسياسية واجتماعية وعمرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم رافق، جامعة دمشق، ١٩٩٠م.

- علي، محمد كمال الدين: الحركة العلمية في مصر في دولة المماليك الجراكسة دراسة عن التاريخ والمؤرخين ٧٨٤-٩٢٢هـ / ١٣٨٢-١٥١٧م، أطروحة دكتوراة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٩م.

ثامناً: المقالات العلمية:

- خيربك، بشرى: دراسة رحلة الخمرة الحسية في الرحلة القدسية للشيخ مصطفى البكري الصديقي ١٠٩٩-١١٦٢هـ / ١٦٨٨-١٧٤٩م، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، دمشق، المجلد ٣٤، العدد الثاني، ٢٠١٨م.
- الصباغ، ليلي: الوجود المغربي في المشرق المتوسطي في العصر الحديث، المجلة التاريخية المغربية، زغوان تونس، العدد ٨٧، يناير، ١٩٧٧م.
- عامر، محمود: المصطلحات المتداولة في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد ١١٧-١١٨، ٢٠١٢م.

تاسعاً: المراجع والمقالات الأجنبية:

- Ágoston , Gábor and Masters, Bruce :**Encyclopedia of the Ottoman empire**, Library of Congress, New York, 2009.
- Akkach, Samer: **Abd al-Ghani al-Nabulusi Islam and the Enlightenment**, One world oxford, England, 2007.
- Akyüz, Yahya: **Türk Egitim Tarihi (Baslangıçtan1993'e)**, Kültür Koleji Yayınları, istanbul, 1994.
- Aslan, irem: **16th century mathematics general features**, yayınlanan makale, Ankara University, Ankara, tarih yok.
- Atçıl, abdurrahman: **scholars and sultans in the early modern ottoman empire**, university Cambridge press, United Kingdom, 2017.

- Basaran, Ethem: **Türkiye Eğitim Sistemi**, Ankara, 1994.
- Braude, Benjamin: **Christians and Jews in the Ottoman Empire: The Abridged Edition**, Lynne Rienner, Boulder, 2014.
- Hajjar, Joseph: **Le christianisme en Orient**, Librairie du Liban, Beyrouth, 1971.
- **Osmanli padisahlari ottoman sultans– osmanische herrscher**, Tarih ve Medeniyet, Istanbul, tarih yok.
- Ozcep, Ferhat: **Notes on the history of geophysics in the Ottoman Empire**, Department of Geophysical Engineering, Istanbul University, 2014.
- Parkes, james: **History of the jewish people**, a pelican book, London, 1962.
- Quataert, Donald: **The Ottoman Empire 1700–1922**, Cambridge University Press, New York, 2005.
- Somel, selcuk aksin: **The A to Z of the ottoman empire**, the scarecrow press, America, 2010.
- **Tanyu, Hikmet: Tarih Boyunca Yahudiler ve Türkler, Elips Kitap, Istanbul, 1976.**
- Unat, yavuz: **Development of Astronomy in ottoman**, yayınlanan makale, Kastamonu University, Ankara, 2012.
- *Uzunçarşılı, İsmail Hakkı : Osmanlı Devletinin İlmiye Teşkilatı*, TÜRK TARİH KURUMU BASIMEVİ, Ankara, 1988.

Abstract:

It must be noted that the information that was found about the scientific relations between Egypt and the Levant in the seventeenth and eighteenth centuries imposed a research plan, so it was adopted in the division of the research plan on: Muslim students of knowledge, Muslim scholars, Sufi travelers, priests and rabbis only, as for Christian, Jewish and Shiite students. At this stage, no information was reported in the research to benefit this aspect – unfortunately – because the sources did not mention any movement for them.

The research included an introduction, four chapters, and a conclusion that included the results of the research, with evidence of the sources and references adopted by the research, as well as a set of documents related to the subject of the study in the form of appendices to enrich the research. The introduction dealt with the importance of the research, the reasons for choosing it, its goal, its problematic, its methodology, and its most important sources.

In the first introductory chapter entitled: "The importance of scientific relations between Egypt and the Levant," the scientific importance of Egypt and the Levant for the Ottoman Sultanate was discussed, and then he spoke with a glimpse of education in the Ottoman Sultanate from its inception until the end of the sixteenth century, in addition to explaining the

factors Influencing the scientific exchange between Egypt and the Levant, and then the scientific relations between Egypt and the Levant before the research stage, that is, in the sixteenth century AD.

The second chapter, entitled: "Student Movement in Scientific Institutes between Egypt and the Levant in the Seventeenth and Eighteenth Centuries" was devoted to talking about the scientific institutes that attracted science students from the Levant to Egypt, and from Egypt to the Levant, and he talked in detail about places Their residency, their sources of income and spending.

The talk in the third chapter was on "Types of Sciences and Licenses between Egypt and the Levant in the Seventeenth and Eighteenth Centuries". The research clarified the sciences that were taught from Sharia sciences, including: Qur'anic readings, Islamic jurisprudence, interpretation, and the noble Prophet's hadith, in addition to: The sciences of the Arabic language, and the mental sciences, and then the concept of scientific leave and the types of mutual leave between the two states was explained, and then a part of the class was devoted to the comparison between the leaves in terms of their method. In order to know the difference in the style of writing licenses between the two states.

The fourth chapter, entitled: "The Movement of Muslim Scholars, Sufi Travels, Priests and Rabbis between Egypt and the Levant in the Seventeenth and Eighteenth Centuries" was devoted to talking about Muslim scholars between Egypt and the Levant, and it follows the scholarly positions they assumed, their places of residence, their sources of income and spending, then the hadith. On the models of the scientific Sufi traveler movement between Egypt and the Levant, the most important of them are: the traveler Abd al-Ghani al-Nabulsi, Mustafa al-Bakri al-Siddiqi, and Mustafa Asad al-Luqaimi, then he explained the scientific movement of the two priests between Egypt and the Levant in the seventeenth and eighteenth centuries, and then the movement of scientific rabbis between Egypt And the Levant in the seventeenth and eighteenth centuries, and the research ended with a conclusion that included the most prominent findings of the study, a list of annexes, and then a list of sources and references.

Syrian Arab Republic
University of Damascus
Faculty of Art and Humanities
History Department



Scientific Relations Between Egypt and Bilad AL- Sham in the seventeenth and eighteenth centuries

**this dissertation is submitted for the degree of master's
of modern and Contemporary history**

By Marah Rafea Albarghash

Pervised by: Dr. Pr. Boshra kherbeek

(2019–2020 AD/ 1440–1441 AH)